



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الإسراء والكهف ومريم

إعداد

الباحثة / آمال خميس حماد .

إشراف

الدكتور / عبد الرحمن يوسف الجمل .

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن

ربيع الأول 1427 هـ - إبريل 2006م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الإسراء والكهف ومريم

إعداد

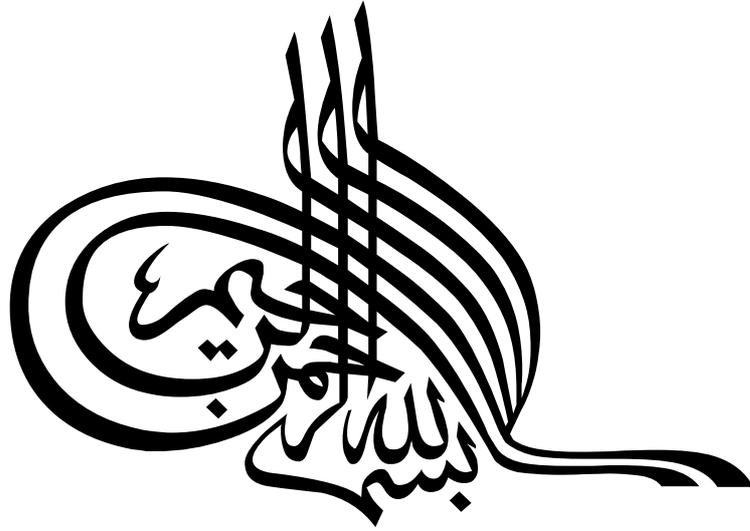
الباحثة / آمال خميس حماد .

إشراف

الدكتور / عبد الرحمن يوسف الجمل .

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن

ربيع الأول 1427 هـ - إبريل 2006 م



الإهداء

إلى والديّ حفظهما الله.

إلى زوجي وأبنائي وبناتي الأحباء.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء.

إلى أرواح شهدائنا الأبرار.

إلى صديقاتي وزميلاتي في طريق المعرفة.

إلى كل محب للعلم، وطالب لتقريب الله.

إليهم جميعاً

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فإني امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ لقمان {12} ، وقول الرسول ﷺ: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (1). أسجل هنا شكري وتقديري وعرفاني بالجميل لفضيلة الدكتور: عبد الرحمن الجمل الذي تفضل على رغم أعبائه الكثيرة بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، ولما بذله من جهد في قراءتها، وإبداء النصيح والتوجيه طوال فترة الإشراف، جزاه الله عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان لمناقشي الفاضلين:

فضيلة الدكتور: رياض قاسم - حفظه الله.

وفضيلة الدكتور: وليد العامودي - حفظه الله.

لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وما أبدياه من توجيه وملاحظات لتخرج في أفضل صورة ممكنة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني هنا أن أسجل تقديري للجهود الكريمة التي تبذلها الجامعة الإسلامية بصورة عامة، وكلية أصول الدين بخاصة، ممثلة بأساتذتها الكرام من كافة التخصصات لتتقيف هذا الجيل بالتقافة الإسلامية، وإرشاده إلى طريق الحق والخير؛ لنصرة هذا الدين العظيم.

ومن باب الاعتراف بالفضل لأهله لا يسعني إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى عمي الشيخ الأستاذ: محمد عوض الله، الذي فتح لي أبواب مكتبته الخاصة، وبذل الكثير من وقته في تولى تدقيق هذه الرسالة، والشكر متواصل إلى الأستاذ الدكتور عادل عوض الله الذي تكرم بترجمة ملخص الرسالة إلى اللغة الإنجليزية.

(1) أخرجه أحمد في مسنده (2/ ح: 7926 ، 8006 ، 9022 ، 9945 ، 10382) . وأبو داود (255/4) في كتاب الأدب ، باب: في شكر المعروف، حديث رقم: (4811). والترمذي (339/4) في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: (1954) ، وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح " .

وأقدم شكري ودعائي إلى كل من أسدى إليّ معروفاً، أو أعارني كتاباً، أو قدم لي خدمة أو أبدى تشجيعاً، أو دعا لي في ظهر الغيب، فلهم مني جميعاً كل شكر وتقدير، وجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأخيراً، أسأل الله الحنان المنان أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني القبول إنه سميع مجيب.

مِفْتَاحُ مَخْتَصَرَاتِ وَرَمُوزِ الرِّسَالَةِ

أبجد العلوم	=	أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن.
الإبانة	=	الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي.
الإتحاف	=	إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي.
الإتقان	=	الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
الأحرف السبعة	=	الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن ضياء الدين عتر.
أضواء البيان	=	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي.
اهـ	=	انتهى.
البدر الطالع	=	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني
البصائر	=	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي.
بغية الوعاة	=	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي
بلاغة الكلمة	=	بلاغة الكلمة في التعبير القرآني لفاضل السامرائي.
البلغة	=	البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي.
تاج العروس	=	تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي.
تفسير ابن كثير	=	تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.
تفسير أبي السعود	=	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي.
تفسير البغوي	=	معالم التنزيل لأبي محمد البغوي.
تفسير البيضاوي	=	أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي.
تفسير الثعالبي	=	الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.
تفسير الخازن	=	لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن.
تفسير السعدي	=	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي.

تفسير الشوكاني	= فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني.
تفسير الطبرسي	= مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الطبرسي.
تفسير الطبري	= جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.
تفسير القاسمي	= محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي.
تفسير القرطبي	= الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي.
تفسير الكشاف	= الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري.
التفسير المنير	= التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهاب الزحيلي.
ج	= جزء.
حاشية الشهاب	= حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين الخفاجي.
حاشية زادة	= حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي لمحمد بن مصطفى القوجوي الحنفي.
الدر	= الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي.
الدرر الكامنة	= الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني
الديباج	= الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون.
روح المعاني	= روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألويسي.
زاد المسير	= زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.
الشامل	= الشامل في القراءات المتواترة لمحمد حبش.
شرح التصريح	= شرح التصريح على التوضيح (وبهامشه حاشية الحمصي) للأزهري.
ص	= صفحة.
غاية النهاية	= غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري
فتح الباري	= فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
الفريد	= الفريد في إعراب القرآن المجيد لحسين بن أبي العز الهمداني

الكشف	= الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب.
اللباب	= اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي الحنبلي.
لباب النقول	= لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي.
المحتسب	= المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني.
المحرر الوجيز	= المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.
المرشد الوجيز	= المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة.
المستدرك	= المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري.
المستتير	= المستتير في تخريج القراءات المتواترة لمحمد سالم محيسن.
معرفة القراء	= معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي.
المغني	= المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد سالم محيسن.
مغني اللبيب	= مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري.
مفاتيح الأغاني	= مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرمانلي.
مفردات الراغب	= معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
المقتطف	= المقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الخيري المنصوري.
ملاك التأويل	= ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المنتشابه اللفظ من أي التنزيل لأحمد بن الزبير الغرناطي.
الملخص	= الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي.
الميسر	= الميسر في القراءات الأربع عشرة لمحمد فهد خاروف.
النجوم الزاهرة	= النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي.
النشر	= النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير ابن الجزري.
نظم الدرر	= نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي.
همع الهوامع	= همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية لجلال الدين السيوطي.
...	= في هذا المكان حذف كلام من النص المنقول.

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت {42}، هو حبل الله المتين ، والعروة الوثقى والصراط المبين، فهو نور يضيء الظلمات ويحيي الموات، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ النساء {174} ، فهو خليق أن تبذل في خدمته الجهود، وتسهر من أجله العيون، وتستوفى من أجله غاية المجهود.

فتفسيره وبيان أحكامه ووجوه إعجازه من أشرف العلوم، فقد دعانا الله ورسوله لتدبره، قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ سورة ص {29} ، وقال ﷺ : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " . (1) لذلك تصدى لتفسير كتاب الله تعالى وبيان معانيه جمهرة من علماء المسلمين على مرّ العصور، خاضوا في أعماقه، والتقطوا نفائسه ودرره، وقدموها لنا على اختلاف وسائلهم ومناهجهم .

ولمّا كان كتاب الله تعالى لا تنقضي عجائبه ولا يخلق مع كثرة الردّ فقد ظهرت في كل فترة تفاسير تضيف أبعاداً جديدة للتفسير على مرّ العصور .

ومن هنا كانت هذه الدراسة بعنوان : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال

سور: الإسراء والكهف ومريم .

(1) رواه البخاري عن عثمان بن عفان ؓ في كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم (5027).
{ فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (74/9) .}

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

- 1- حداثة الموضوع من حيث العرض .
- 2- الموضوع يبين لوناً من ألوان الإعجاز القرآني .
- 3- عودة المسلمين إلى الاهتمام بتعلم القرآن بالقراءات العشر .
- 4- أهمية تفسير كتاب الله تعالى في حياة المسلمين .
- 5- أثر القراءات القرآنية في إضافة معانٍ جديدة في التفسير، وفي الاستنباطات الفقهية وغيرها.

أهداف البحث :

- 1- بيان ارتباط القراءات القرآنية بعضها ببعض.
- 2- إبراز أثر القراءات القرآنية في التفسير .
- 3- إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن من خلال القراءات القرآنية .
- 4- إضافة لون جديد من ألوان التفسير إلى المكتبة الإسلامية .
- 5- بيان أهمية تعلم القراءات القرآنية ودراستها وفهمها .

الجهود السابقة :

- 1- بعد البحث لم يصل إلى علمنا أن أحداً تناول تفسير القرآن من خلال القراءات القرآنية المختلفة بشكل مستقل .

وتعتبر هذه الفكرة وليدة الجامعة الإسلامية حيث تناول عدة إخوة من طلبة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن هذا الموضوع في رسائل ماجستير بعنوان هذه الرسالة نفسه وقد وصل التفسير إلى سورة الإسراء .

- 2- تعرض الكثير من المفسرين للقراءات وتوجيهها من خلال تفاسيرهم للقرآن ومن هذه

التفاسير :

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري .
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني لأبي الفضل الألويسي .
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي .

3- تناول كثير من العلماء توجيه القراءات القرآنية وبيان حججها في كتب مستقلة منها :-

- حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة .
- الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب.
- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي .
- المهذب في توجيه القراءات العشر للدكتور محمد سالم محيسن .
- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن .

أسماء الرسائل والأبحاث التي كتبت حول الموضوع :

- 1- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام
رسالة دكتوراه / أم القرى 1413هـ .
- 2- القراءات مصدراً للتفسير عند ابن عطية في المحرر الوجيز
رسالة ماجستير / الاسكندرية 1989م .
- 3- مكانة القراءات من خلال منهج القراء في التفسير
رسالة ماجستير / محمد الخامس 1985م .
- 4- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة ، البقرة ، آل عمران)
رسالة ماجستير / الجامعة الإسلامية - غزة 2002م .

منهج البحث :

- 1- التمهيد للموضوع من خلال الحديث عن القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز وأثرها في التفسير ، مع بيان لمعنى الأحرف السبعة وفوائدها وعلاقتها بالقراءات وأنواع القراءات وأقسامها وما يتعلق بها من مصطلحات مختلفة لتكون مدخلاً للموضوع .
- 2- وضع تفسير لآيات من سور: الإسراء والكهف ومريم من خلال الجمع بين القراءات القرآنية الصحيحة في الكلمة الواحدة والتي لها علاقة بالمعاني .
- 3- بيان أثر القراءات في التفسير .

أما عن منهج التفسير المتبع فهو:

- 1- كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة ومشكلة برواية حفص عن عاصم .
- 2- بيان القراءات المختلفة في الآية بالرجوع إلى كتب القراءات المشهورة ، وضبط الكلمات بالكلمات والحركات .
- 3- بيان المعنى اللغوي للقراءات القرآنية بالرجوع إلى كتب اللغة وقواميسها وكتب غريب القرآن .
- 4- تفسير الآية تفسيراً إجمالياً مع الالتزام بالقواعد المقررة في التفسير .
- 5- الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة .
- 6- توجيه القراءات من خلال الرجوع إلى كتب توجيه القراءات والاحتجاج لها .
- 7- بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات القرآنية وبيان المعاني التي أضافتها كل قراءة إلى غيرها .
- 8- نسبة الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية .
- 9- ذكر الأحاديث النبوية المتعلقة بالتفسير وتخريجها بحسب الأصول وذكر حكم أهل الاختصاص عليها .
- 10- بيان معاني المفردات الغريبة في الحاشية .
- 11- وضع مختصرات لأسماء المصادر والمراجع في بداية الرسالة، والتوثيق في الحاشية عند أول ذكر لتلك الكتب؛ بذكر اسم الكتاب والمؤلف، أما باقي المعلومات فمثبت في فهرس المصادر والمراجع في نهاية الرسالة.
- 12- الترجمة للأعلام والقراء من مظانها .

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما التمهيد:

فقد جاء بعنوان: **القراءات وعلاقتها بالأحرف السبعة وفوائدها**. وفيه مطالب :-

المطلب الأول: تعريف القراءات لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات . وفيه:

أولاً: أحاديث الأحرف السبعة.

ثانياً: رتبة حديث نزول القرآن على سبعة أحرف.

ثالثاً: معنى الأحرف السبعة.

رابعاً: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.

خامساً: صلة القراءات بالأحرف السبعة.

المطلب الثالث: أقسام القراءات وأنواعها . وفيه:

أولاً: نشأة القراءات.

ثانياً: أقسام القراءات.

ثالثاً: أنواع القراءات وأحكامها.

رابعاً: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم.

المطلب الرابع: علاقة القراءات بالإعجاز وأهميتها في التفسير . وفيه:

أولاً: علاقة القراءات بالإعجاز.

ثانياً: أهمية القراءات في التفسير . وفيه:

❖ ما لم يكن له تعلق بالتفسير بحال.

❖ ما كان له تعلق بالتفسير من جهات متفاوتة.

وسيتيم الاقتصار فيه على القراءات المتواترة. ومن ذلك:

• قراءات بينت معنى الآية.

• قراءات وسعت معنى الآية.

- قراءات أزالَت الإشكال عن معنى الآية.
- قراءات خصصت عموم الآية.
- قراءات بينت إجمال الآية.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان: تفسير سورة الإسراء من خلال القراءات العشر المتواترة:

وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : تعريف عام بسورة الإسراء . وفيه :

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة النحل.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الثاني : عرض وتفسير لآيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات العشر.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: تفسير سورة الكهف من خلال القراءات العشر المتواترة:

واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : تعريف عام بسورة الكهف. وفيه:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- سبب نزول السورة .
- مناسبتها لسورة الإسراء.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الثاني : عرض وتفسير لآيات سورة الكهف المتضمنة للقراءات العشر.

والفصل الثالث جاء بعنوان: تفسير سورة مريم من خلال القراءات العشر المتواترة:

واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : تعريف عام بسورة مريم. وفيه:

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة الكهف.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الثاني : عرض وتفسير آيات سورة مريم المتضمنة للقراءات العشر.

الخاتمة :

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس:

وتشتمل على:

- 1- فهرس آيات القراءات القرآنية .
- 2- فهرس الأحاديث والآثار .
- 3- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- 4- فهرس المصادر والمراجع .
- 5- فهرس الموضوعات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثة: آمال حماد.

التمهيد

القراءات وعلاقتها بالأحرف السبعة وفوائدها

ويشتمل على عدة مطالب:

- المطلب الأول : تعريف القراءات لغة واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات .
- المطلب الثالث : أقسام القراءات وأنواعها .
- المطلب الرابع : علاقة القراءات بالإعجاز وأهميتها في التفسير .

التمهيد

القراءات وعلاقتها بالأحرف السبعة وفوائدها

المطلب الأول: تعريف القراءات لغة واصطلاحاً :

أولاً: القراءات لغة:

القراءات: جمع قراءة ، ومادة { ق . ر . أ } تدور حول الجمع والاجتماع . (1) والقراءة مصدر سماعي لقرأ (2) ، يُقال: قرأ فلان، يقرأ قراءة وقرآناً، فهو قارئ، وهم قرءاء وقارئون. (3) قال ابن منظور (4): " قرأه ، ويقرأه ، ويقرأه ، قرءاً ، وقرءةً ، وقرآناً ، فهو مقروء... ومعنى القرآن معنى الجمع ، وسمي قرآناً ؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ القيامة {17} أي: جمعه وقراءته ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ القيامة {18} أي: قراءته ... وقرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، وما قرأت جنيناً قط ، أي: لم يضطمّ رحمها على الجنين... ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً " . (5)

ثانياً: القراءات اصطلاحاً:

للعلماء في تعريف القراءات جملة من التعريفات جميعها تدور في فلك واحد وإن كان بعضها أكثر شمولاً وإحاطة من الآخر. (6)

-
- (1) انظر: معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسن ابن فارس (ص84) مادة: قرى.
 - (2) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (343/1) .
 - (3) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي (101/1). مادة: قرأ.
 - (4) هو : محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقة بن منظور، أبو الفضل الأنصاري الأفرقي المصري، ولي قضاء طرابلس، من أشهر كتبه: لسان العرب في اللغة. توفي سنة 711هـ { انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (248/1) } .
 - (5) انظر: لسان العرب لابن منظور(3563/5) . مادة: قرأ.
 - (6) انظر من تعريفات قدماء العلماء: تعريف أبي حيان في البحر المحيط (14/1) ، وتعريف الزركشي في البرهان (395/1-396) ، وتعريف القسطلاني في لطائف الإشارات (170/1) ، وتعريف الدمياطي في إتحاف فضلاء البشر (ص6) ، ومن تعريفات العلماء المحدثين: الزرقاني في مناهل العرفان (343/1) ، ومحمد سالم محيسن في المغني في توجيه القراءات (45/1).

وأكثر تعريف من هذه التعريفات ضبطاً وشمولاً والذي كان أساساً لتعريفات بعض من جاء بعده من العلماء هو تعريف ابن الجزري⁽¹⁾ إذ يقول: "القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل... والمقرىء: العالم بها رواها مشافهة؛ فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرىء بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة".⁽²⁾

وقد تتبع شهاب الدين القسطلاني⁽³⁾ تعريف ابن الجزري، وفصل فيه فقال في تعريفه لعلم القراءات: "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة، والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع. أو يقال: علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل".⁽⁴⁾

أما عبد الفتاح القاضي فقد عرفها بقوله: "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله".⁽⁵⁾

يظهر من هذه التعريفات أنها ركزت على ثلاثة عناصر رئيسة هي:

1- مواضع الاختلاف في القراءات.

2- النقل الصحيح للقراءات.

3- حقيقة الاختلاف بين القراءات.

يقول د. عبد الرحمن الجمل - حفظه الله - بعد أن ساق بعض التعريفات وعلق عليها:
"وخلاصة القول في ذلك: أن القراءات هي تلك الاختلافات الحاصلة في أداء وتلاوة ألفاظ القرآن الكريم، والتي أنزلها الله - جل ذكره - تيسيراً على الأمة، ورفعاً للحرج عنها، وذلك أن

(1) هو: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، أبو الخير، ألف في التفسير والحديث والفقه والعربية، له كتب كثيرة، أشهرها كتاب النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء. توفي سنة 833هـ { انظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري (247/1) }.

(2) انظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري (ص3).

(3) هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني الأصل المصري، ولد بمصر 851هـ ونشأ فيها، كان متعففاً جيد القراءة للقرآن والحديث والخطابة، كان عالماً بالقراءات، له مؤلفات كثيرة منها: الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز، وشرحاً للشاطبية، توفي سنة 923هـ. { انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني (102/1-103) }.

(4) لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني (170/1).

(5) البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرى: عبد الفتاح القاضي (ص5).

القرآن الكريم نزل لفظه ونصه وكيفية أدائه بالأوجه المختلفة من عند الله تعالى، وعلمه جبريل عليه السلام رسولنا محمداً عليه السلام الذي قام بدوره فعلمه بالكيفية نفسها التي تلقاها عن جبريل عليه السلام للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وعلموه بالكيفية نفسها التي تلقوه عليها للتابعين، وعلمه التابعون لأتباعهم، وهكذا إلى وقتنا الحاضر.

ثم إن هذه الاختلافات التي بين الرواة في كيفية أداء القرآن الكريم وتلاوته يعزوها كل راوٍ بسنده عن تلقى عنهم مسلسلاً إلى النبي الكريم عليه السلام، فكما أن القرآن الكريم من عند الله - سبحانه وتعالى - ولا يشك في ذلك إلا معاند ومكابر؛ فكذلك قراءاته من عند الله تعالى، نزل بها الروح الأمين على قلب الرسول الكريم عليه السلام. هذا أمر لا بد أن نعيه ونفهمه جيداً، وألا يساورنا فيه أدنى شك؛ لندحض به أباطيل المستشرقين ومن سار سيرهم، واقتفى أثرهم من أبناء العرب والمسلمين الذين زعموا أن القراءات القرآنية ليست توقيفية، وإنما كانت باجتهاد من الصحابة ومن جاء بعدهم، فيما وافق خط المصحف؛ وما أرادوا بذلك إلا فتح باب واسع للطعن في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه". (1)

المطلب الثاني: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات:

أولاً: أحاديث الأحرف السبعة:

ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله عليه السلام قال: "أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف". (2)

وما رواه عن عمر بن الخطاب أنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله عليه السلام، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله عليه السلام، فكذت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله عليه السلام، فقلت: كذبت، فإن رسول الله عليه السلام قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله عليه السلام، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله عليه السلام: أرسله، أقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة

(1) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره للدكتور عبد الرحمن الجمل (ص4) رسالة ماجستير.

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث (4991). {فتح الباري (23/9)}.

ومسلم في صحيحه (561/1). كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف. حديث رقم (819).

التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه " . (1)

وروى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضواء بني غفار (2)، قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأبى حرف قرأوا عليه فقد أصابوا " . (3)

وروى الترمذي في صحيحه عن أبي بن كعب قال لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال يا محمد: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي بن كعب. (4)

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث (4992). { فتح الباري (23/9) }.
ومسلم في صحيحه (560/1). كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (818).
والترمذي (193/5) في كتاب: القراءات. باب: ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف. حديث (2943). والنسائي في المجتبى (150/2، 151) في كتاب الافتتاح. باب: جامع ما جاء في القرآن. حديث (936، 937، 938). وأبو داود (75/2) في كتاب الصلاة. باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف. حديث (1475). وأحمد (24/1، 40، 42) في مسند عمر بن الخطاب. حديث (158، 277، 296).

(2) الأضواء: الغدير، قال ابن سيده: الأضواء: الماء المستنقع من سيل أو غيره، والجمع أضواء، وأضأ، مقصور وإضاء وإضون.
{انظر: لسان العرب (90/1)}. ومستنقع الماء كالغدير؛ وكان بموضع من المدينة المنورة ينسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده.
{انظر: فتح الباري (28/9)}.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (562/1). كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف. حديث (821).
والنسائي في المجتبى (152/2) في كتاب الافتتاح. باب: جامع ما جاء في القرآن. حديث (939). وأبو داود (76/2) في كتاب الصلاة. باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف. حديث (1478). وأحمد (127/5، 128) في مسند الأنصار. حديث (21210، 21214).

(4) أخرجه الترمذي في سننه (194/5) في كتاب القراءات. باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف. حديث (2944). وأحمد في مسند الأنصار حديث (21242).

ثانياً: رتبة حديث نزول القرآن على سبعة أحرف:

يعتبر حديث " نزول القرآن على سبعة أحرف " من الأحاديث المتواترة لما يلي:

1- ورد حديث " نزول القرآن على سبعة أحرف " من طرق عدة في أمهات كتب السنة . فمنها: ما أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، والترمذي في كتاب القراءات، وأبو داود في كتاب الصلاة، والنسائي في كتاب الافتتاح، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وغيرهم.

2- كثرة أسانيد هذا الحديث وصحة كثير منها حتى إن بعضها من السلاسل الذهبية:

فقد رواه جمع من الصحابة بلغ واحداً وعشرين صحابياً عددهم السيوطي في الإتيان⁽¹⁾. أما الدكتور حسن ضياء الدين عتر فقد عددهم أربعة وعشرين صحابياً؛ فقد أورد في كتابه أحاديث عن ثلاثة من الصحابة لم يذكرهم السيوطي ؛ وهم: زيد بن ثابت، وعبادة بن الصامت، وأم أيوب.

ثم قال: " إذا كانت زيادة عدة الأسانيد على ثلاثة تجعل الحديث في رتبة المشهور، فالحكم على حديث الأحرف السبعة بالشهرة من مسلمات علوم الحديث. لكن استفاضة حديث الأحرف السبعة البالغة، وتعدد أسانيده، وانتشار شهرته وكثرة رواته بما يتمتع معه تواطؤهم على الكذب يؤدي إلى الحكم بتواتره " .⁽²⁾

وقال ابن الجزري: " وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - على أن هذا الحديث تواتر عن النبي ﷺ . قلت: وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك " .⁽³⁾

ثالثاً: معنى الأحرف السبعة:

لقد اختلف العلماء في تحديد المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كبيراً، حتى إن السيوطي قد أوصل اختلافهم إلى أربعين قولاً عدَّ منها خمسة وثلاثين قولاً⁽⁴⁾، وقد دفع الاختلاف بين العلماء

(1) انظر: الإتيان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (1/145).

(2) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها: حسن ضياء الدين عتر (ص107-109).

(3) النشر في القراءات العشر: ابن الجزري (1/24).

(4) انظر هذه الأقوال في الإتيان (1/145-156).

في معنى الأحرف السبعة ابن سعدان النحوي⁽¹⁾ إلى القول بأن حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حديث مشكل لا يدري معناه⁽²⁾، وبإمعان النظر في آراء العلماء نجد أنها لا تخرج عن ثلاثة اتجاهات هي :

الاتجاه الأول: يرى بأن الأحرف السبعة تتعلق بالأنواع والمعاني لا بالألفاظ : وينقسم هذا الاتجاه إلى فريقين:

الفريق الأول:

أصحاب هذا الرأي من المتخصصين في العلوم المختلفة الذين يحاولون إسقاط أحاديث الأحرف السبعة على تخصصاتهم باختلافاتها ، وهم لا أدلة نقلية على أقوالهم ، كما أنهم لا يستندون على بحث علمي منطقي، على رغم أن حوالي عشرين قولاً من الأربعين من أقوالهم ، وقد رفض أقوالهم معظم العلماء . ومن أمثلتهم:

أهل اللغة يرون أن المراد بها: الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار والكنائية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب.

وأهل العقيدة يرون أن المراد بها: علم الإثبات والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيه، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات والإمامات.

الفريق الثاني:

يرى أصحاب هذا الفريق أن المراد بالأحرف السبعة: سبعة أصناف من المعاني أنزل الله القرآن عليها، وهذه الأصناف هي: (أمر ونهي، ووعد ووعد، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه وأمثلة). وعدادوا غير ذلك من الأنواع⁽³⁾.

وأصحاب هذا الرأي يستندون إلى أحاديث قد رد بعضها أهل العلم أو ضعفها.

يقول مناع القطان: " ظاهر الأحاديث – أحاديث الأحرف السبعة – يدل على أن المراد بالأحرف

(1) هو: محمد بن سعدان، أبو جعفر الكوفي الضرير، مقرئ، نحوي، صنف كتباً في القراءات والنحو وغيرهما، توفي سنة 231هـ { انظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري (2/143) ، تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي (5/324) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (3/140). }.

(2) انظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: أبي شامة المقدسي (93) .

(3) انظر هذا الاتجاه والرد عليه في كتاب الأحرف السبعة (ص122-147). وقارن بالإتقان (1/147-156).

السبعة أن الكلمة تقرأ على وجهين أو ثلاثة إلى سبعة توسعة للأمة. والشيء الواحد لا يكون حلالاً وحراماً في آية واحدة، والتوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة " . (1)

الاتجاه الثاني:

يرى أن الأحرف السبعة هي سبعة أوجه يقع فيها التغيرات: وقد ذهب إلى هذا الرأي طائفة من العلماء، منهم: ابن قتيبة (2)، والقاضي ابن الطيب (3)، وأبو الفضل الرازي (4)، وابن الجزري، وغيرهم. ورجحه من المتأخرين الزرقاني، وصبحي الصالح. (5)

ونمثل لهذا الاتجاه بأكثر المذاهب شمولاً وهو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي إذ يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف:

- الأول: اختلاف الأسماء من أفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث.
- الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.
- الثالث: اختلاف وجوه الإعراب .
- الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة .
- الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير .
- السادس: الاختلاف بالإبدال .
- السابع: اختلاف اللغات يريد اللهجات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك . (6)

(1) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص164).

(2) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد الشهير بابن قتيبة، كان رأساً في العربية واللغة، ثقة ديناً فاضلاً، له تصانيف كثيرة منها: إعراب القرآن، ومختلف الحديث، وغيرهما، توفي سنة 276هـ. { انظر: الفهرست: ابن النديم (1/115)، طبقات المفسرين: الداودي: (245/1) }.

(3) هو: محمد بن الطيب بن جعفر، أبو بكر الباقلائي، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي، توفي سنة 403هـ. { انظر: البداية والنهاية: ابن كثير (350/11) }.

(4) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار بن إبراهيم بن جبريل، أبو الفضل الرازي العجلي، الإمام المقرئ، الثقة، مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره. توفي سنة 454هـ { انظر: غاية النهاية (361/1) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن عماد الحنبلي (293/2) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي (71/5) } .

(5) منهج الإمام الطبري في القراءات (ص82). وانظر أدلة هذا الاتجاه ومناقشة د. عبد الرحمن له (ص87-93).

(6) انظر: النشر (28/1) ، الإتيان (147/1) ، مناهل العرفان (1/136) وانظر هذا الاتجاه والرد عليه في كتاب الأحرف السبعة (148-167).

الاتجاه الثالث: يرى أن الأحرف السبعة هي : سبع لغات من لغات العرب.

وينقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى فريقين :

الفريق الأول : يرى أن الأحرف السبعة هي: سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني، وعدم تناقضها، وذلك نحو : هلم ، وتعال ، وأقبل ، وإليّ ، ونحوي، وقصدي ، وقربي ، فهذه الألفاظ السبعة مختلفة يعبر بها عن معنى واحد وهو طلب الإقبال .

وهو رأي جمهور أهل الفقه والحديث.⁽¹⁾ واختاره القرطبي⁽²⁾، ونسبه إلى ابن جرير الطبري⁽³⁾.

الفريق الثاني : يرى أصحاب هذا الرأي:

أن القرآن نزل على سبع لغات متفرقة فيه ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ، أي: الأحرف السبعة متفرقة فيه. يفسر أبو عبيد⁽⁴⁾ أحد القائلين بهذا الرأي معناه حيث يقول: " قوله سبعة أحرف يعني سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به قط، ولكن نقول: هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة ".⁽⁵⁾ وهذا الرأي كما نرى يختلف عن سابقه.

الرأي المختار:

بالموازنة بين هذه الاتجاهات والآراء المتعدده ، وبين أحاديث الأحرف السبعة يمكن القول إن المقصود بالأحرف السبعة هو :

سبع لغات من لغات العرب بما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة ، والتي منها اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى، وكذلك الاختلاف في هينات النطق و الأداء.

(1) منهج الإمام الطبري في القراءات (ص74).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن: أبي عبد الله القرطبي (53/1).

(3) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ابن جرير الطبري (16/1) وانظر تثبيث هذه النسبة للطبري من قبل د. عبد الرحمن في رسالته (منهج الطبري في القراءات) وأدلته على ذلك. وردده أيضاً على هذا الرأي (ص75-79).

(4) هو: القاسم بن سلام ، أبو عبيد الخرساني الأنصاري مولا هم البغدادي، إمام كبير حافظ علامة، صاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر. توفي بمكة سنة 224هـ. { انظر: غاية النهاية (18/2) ، معرفة القراء (ص101-102) }.

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (ص200). وانظر: الإتيان (1/150) . وانظر أدلة هذا القول والرد عليه في: { منهج الإمام الطبري في القراءات (ص80-82) ، مناهل العرفان (156-155/1) ، الأحرف السبعة (ص170-173) }.

وهما اللآتي يظهر فيهما التيسير ورفع الحرج. وهذا ما ذهب إليه د. عبد الرحمن الجمل في رسالته.

يقول مكي بن أبي طالب (1): " إن الله ﷻ لم يجعل على عباده حرجاً في دينهم، ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم، وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومؤونة شديدة، فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعانٍ متفقة ومختلفة، ليقرأ كل قوم على لغتهم وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم... وقرأوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب منهم وكان في ذلك رفق عظيم بهم " . (2)

ويؤيده حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذي عن أبي بن كعب والذي قال فيه ﷺ لجبريل: " يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط " . (3)

فإن طلب التخفيف لأمثال هؤلاء الذين اعتادت أسنتهم على كيفية معينة في النطق لا يستطيعون التحول عنها أكبر دليل على أن المراد بالأحرف السبعة ما تم اختياره وترجيحه.

رابعاً: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف:

المقصود من هذا البند بيان فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف، أو بتعبير آخر: حكم نزول القرآن على سبعة أحرف. بالإضافة إلى بيان فوائد اختلاف القراءات في التفسير. ولنشرع الآن في ذكر هذه الفوائد:

• حكم نزول القرآن على سبعة أحرف:

1- التخفيف على الأمة الإسلامية، وإرادة التيسير بها والتهوين عليها، شرفاً لها، وتوسعة ورحمة؛ فإنها كانت قبائل كثيرة بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات، وطريقة الأداء، فلو أخذت بحرف واحد لشق عليها ذلك.

(1) هو: مكي بن حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي المغربي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، العلامة المقرئ، أستاذ القراء والمجودين، عالماً بمعاني القراءات، له تصانيف في القراءات أشهرها: التبصرة في القراءات والكشف عن معاني القراءات. ولد سنة 355هـ، وتوفي سنة 437هـ. { انظر: غاية النهاية (2/309)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: أبي عبد الله الذهبي (ص220) }.

(2) انظر: الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب (ص59).

(3) سبق تخريجه. انظر: (ص5) .

يقول ابن الجزري: " وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفاً لها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها ". (1)

ويقول ابن قتيبة: " فكان من تيسير الله أن أمر الرسول ﷺ بأن يقرأ كل قوم بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم... ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لأشدت ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلاً، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين ". (2)

2- إظهار نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدثها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل. وفي هذا تأكيد لإعجازه في فصاحته وبلاغته.

3- بيان صدق الرسول ﷺ في أنه رسول رب العالمين، وأن هذا القرآن كلام الله؛ إذ القرآن مع كثرة هذا التنوع في القراءات لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض، بل كله يصدق بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وفي ذلك برهان قاطع على صدق من جاء به، وهو رسول الله محمد ﷺ.

4- سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة؛ إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه، وأقرب إلى فهمه، وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة، لا سيما فيما كان خطه واحداً، فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً.

5- إعظام أجور هذه الأمة؛ من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم في تتبع معاني القراءات، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، وكشف خفايا القرآن وأسرار ألفاظه، بالإضافة إلى الأجر والثواب على تلاوة القرآن.

6- بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، والبحث عن لفظه لفظة لفظة، والبحث عن صيغته صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وبيان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف.

(1) النشر (25/1).

(2) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة (ص39-40) باختصار يسير.

7- إظهار ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة لهذه الأمة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة، وإعظاماً لقدرها.

8- ظهور سر الله تعالى في تولية حفظه كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل، فإنه لم يخل عصر من الأعصار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله، وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته.

9- توحيد لغات العرب؛ حيث إن نزول القرآن على سبعة أحرف كان تهويناً على العرب بسبب اختلاف لغاتهم، ثم استقر في العرصة الأخيرة في معظمه على لغة قريش، فعليها استقرت قراءة القرآن وانتظمت آياته وسوره، لذا كتب عثمان رضي الله عنه بها فيما بعد المصاحف للأمصار. (1)

• فوائد اختلاف القراءات في التفسير:

ولاختلاف القراءات أهمية في التفسير تتمثل في ناحيتين:

الناحية الأولى: في التفسير عموماً.

الناحية الثانية: في تفسير آيات الأحكام.

❖ أهمية اختلاف القراءات في التفسير عموماً:

1- عملت على توضيح المبهم :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ القارعة {5} ، فقد جاء في قراءة شاذة (كالصوف المنفوش) فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف.

2- عملت على تجلية عقيدة ضل فيها بعض الناس :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ الإنسان (20) جاءت القراءة المتواترة بضم الميم وسكون اللام في لفظ (ومُلْكًا كبيراً) ، وجاءت قراءة شاذة (ومَلِكًا كبيراً) بفتح الميم وكسر اللام (2) في هذا اللفظ نفسه، فرفعت هذه القراءة الثانية نقاب الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة. (3)

(1) انظر حكم نزول القرآن على سبعة أحرف في : النشر (47/1-48) ، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام: محمد عمر

بازمول (ص180-186)، الأحرف السبعة (ص214-228) ، مناهل العرفان (1/129-133) ، الإتقان (1/254-255).

(2) ذكرها ابن الجزري في النشر (1/30) وأسندها إلى ابن كثير. (3) انظر : مناهل العرفان: الزرقاني(132\1).

3- عملت على إثراء المعاني المستنبطة من الألفاظ :

نحو قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ البقرة(37) ، جاءت القراءة برفع (آدَمُ) ونصب (كلماتٍ) ، أما ابن كثير فقد قرأها بنصب (آدَمَ) ورفع (كلماتٍ) . فجاءت القراءة الأولى لتبين أن آدَم هو الذي تلقى الكلمات من ربه ، وهذا يدل على حرصه على التوبة ، أما القراءة الثانية فتفيد أن الكلمات التي ألهم الله بها آدَم هي التي تلقته، وفي هذا دلالة على محبة الله لآدم بسبب حرصه على التوبة.(1)

4- عملت على بيان صحة لغة من لغات العربية:

نحو قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ النساء {1}، فقد ورد فيها قراءتان متواترتان؛ فقد قرأ حمزة وحده ﴿والأرحام﴾ بالخفض، وقرأها الباقون ﴿والأرحام﴾ بالنصب (2)، والقراءة المتواترة هي قرآن بإجماع علماء الأمة، لذلك فهي حجة على جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة العامل.

❖ أهمية القراءات في التفسير الفقهي:

أما أهميتها في النواحي الفقهية فتتمثل في الآتي :

1- بيان حكم شرعي مجمع عليه :

كقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً أَوْ وَلَةً أَوْ أَخًا أَوْ أُخْتًا فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾ النساء{12} ، قرأ سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم) (3) بزيادة لفظ (من أم) ، فتبين بها أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأُم دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمر مجمع عليه.

2- الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين :

كقوله تعالى: ﴿ فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ البقرة {222} قرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة (يَطْهُرْنَ) بالتشديد في حرف الطاء، وقرأ الباقون (يَطْهُرْنَ)

(1) انظر: تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاحة، البقرة، آل عمران) رسالة ماجستير/ للباحث: عبد الله الملاحي (ص73).

(2) انظر: النشر (186/2) .

(3) أخرج هذه القراءة عن سعد: الدارمي في سننه ، وابن جرير في تفسيره وغيرهما. وإسناد هذه الرواية حسن كما توصل إليه محمد عمر بازمول {انظر في الكلام عن روى القراءة وسننها والحكم عليها: القراءات وأثرها في التفسير (186/1-187) هامش} .

بالتخفيف في حرف الطاء،⁽¹⁾ ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين

أحدهما: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بانقطاع الحيض، على قراءة التخفيف.

وثانيهما: أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إذا بالغت في الطهر؛ وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء . وهو مذهب الشافعي ومن وافقه أيضاً.

3- الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين :

كقوله تعالى في بيان الوضوء ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة {6} ، قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام في لفظ ﴿ أَرْجُلَكُمْ ﴾ ، وقرأ الباقر بن جبرها⁽²⁾، فالنصب يفيد طلب غسلها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ ﴿ وجوهكم ﴾ المنصوب وهو مغسول، والجر يفيد طلب مسحها لأن العطف حينئذ يكون على لفظ ﴿ رؤوسكم ﴾ المجرور وهو ممسوح، وقد بين الرسول ﷺ أن المسح يكون للابس الخف، وأن الغسل يجب على من لم يلبس الخف.

4- دفع توهم ما ليس مراداً:

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الجمعة {9} ، وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود في قراءة شاذة (فامضوا إلى ذكر الله)⁽³⁾ ، فالقراءة الأولى يتوهم منها وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم؛ لأن المضي ليس من مدلوله السرعة.

(1) انظر: النشر (171/2) .

(2) انظر: النشر (191/2) .

(3) هذه القراءة لا يقرأ بها لمخالفتها رسم المصحف. وقد نقلها ابن الجزري في النشر ولم ينسبها. أما محمد عمر بازمول فقد خرجها في كتابه: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (189/1) وقال: قرأ بذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود وعبد الله بن الزبير وأبي بن كعب. أما شوقي ضيف في مقدمة تحقيقه لكتاب السبعة في القراءات فقد نسبها إلى أبي بن كعب وابن مسعود. انظر: كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد (ص18) .

5- ترجيح حكم اختلف فيه :

كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المائدة {89}.

وقرىء (أو تحرير رقبة مؤمنة)⁽¹⁾ بزيادة لفظ: (مؤمنة) في كفارة اليمين . فزيادة لفظ (مؤمنة) في بعض الروايات ترجيح لاشتراط الإيمان في الرقبة المعتقة ، كما ذهب إليه الشافعي .⁽²⁾

خامساً: صلة القراءات بالأحرف السبعة:

توهم عوام الناس أن القراءات القرآنية هي الأحرف السبعة؛ ويرجع سبب هذا التوهم إلى ما فعله ابن مجاهد⁽³⁾ عندما اختار من القراء الذين انتشروا في عصره سبعة قراء، فوافق عدد القراء الذين اختارهم عدد القراءات السبع، فظن من لا علم له بأصل المسألة أن المراد بالقراءات السبع الأحرف السبعة، لاسيما وقد كثر استعمالهم الحرف في موضع القراءة فقالوا: اقرأ بحرف نافع، بحرف ابن كثير، فتأكد الظن بذلك.⁽⁴⁾

وإنما جاء اقتصار ابن مجاهد على القراء السبعة، لأنه اشترط على نفسه ألا يروي إلا عن اشتهر بالضبط، والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة، واتفق الآراء على الأخذ عنه والتلقي منه، فوافق ذلك العدد سبعة.⁽⁵⁾

يقول د. أحمد سعد الخطيب: " نسبة القراءات السبع إلى الأحرف السبعة هي نسبة الخاص إلى العام ، فالأحرف السبعة تشمل جميع القراءات بما فيها السبع، ومن يعتقد أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، فقد أبان عن جهله، وكشف النقاب عن قلة إدراكه؛ لأن هؤلاء القراء السبعة هم⁽⁶⁾: ابن عامر، وابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، ونافع، وأبو الحسن الكسائي

(1) ذكر هذه القراءة ابن الجزري في النشر ولم ينسبها. { انظر: النشر (29/1) }.

(2) انظر في فوائد اختلاف القراءات في التفسير : المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: محمد سالم محيسن (791-81)، مناهل العرفان (1301-132)، الإتيان (2541-255)، النشر (291-30)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (186/1-191) .

(3) هو: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، التميمي، الحافظ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبغ السبعة، ولد سنة 245هـ وتوفي سنة 324هـ. { انظر: سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله الذهبي (272/15)، معرفة القراء (ص153) }.

(4) انظر: فتح الباري (30/9) . وانظر هذا القول والرد عليه في: كتاب الأحرف السبعة (ص346-350) . ومنهج الإمام الطبري في القراءات (ص107-109) ، البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (407/1-408).

(5) انظر: مناهل العرفان (347/1).

(6) سوف يأتي التعريف بالقراء السبعة أصحاب هذه القراءات في المطلب القادم إن شاء الله تعالى، ومعهم بقية العشرة.

أقول: هؤلاء القراء السبعة لم يكونوا قد ولدوا حين ذكر النبي ﷺ الأحرف السبعة، فهل معنى ذلك أن حديث النبي ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" كان عارياً من الفائدة، وبعيداً عن الواقع، إلى أن ظهر هؤلاء القراء، وماذا فهم الصحابة إذن من الحديث؟ ما أبعد هذا القول عن الواقع، بل ما أجهل قائله!!" (1).

أما العلماء فقد تباينت آراؤهم في تحديد العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

إن القراءات السبع والثلاث المكملة للعشر وقراءة الحسن البصري (2) واليزيدي (3) وغيرها من القراءات الثابتة كلها ليست إلا حرفاً واحداً من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عليه عثمان رضي الله عنه مصحفه ووزعه على الأقطار الإسلامية (4). وقد ذهب إلى القول بهذا جماعة من العلماء على رأسهم الإمام الطبري حيث يقول: " فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة " (5).

يقول د. عبد الرحمن الجمل في الرد على هذا القول: " قلت: إن هذا الرأي لا يتفق وواقع الاختلاف بين القراءات والتي مرجعها اختلاف لغات العرب في كيفية النطق بالكلمات، وذلك أن الإمام الطبري نفسه - رحمه الله - ذكر في غير موضع من تفسيره عند حديثه عن توجيه القراءات أن بعض القراءات سبب الاختلاف بينها هو اختلاف لهجات القبائل أو لغاتها، فبين أن وجه من قرأ كذا أنها لغة تميم مثلاً، ومن قرأ بكذا أنها لغة أهل الحجاز وهكذا " (6).

-
- (1) المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات (ص20) (شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.Tafsir.net).
 - (2) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، السيد الإمام أبو سعيد البصري، إمام زمانه علماً وعملاً، قرأ على حطان الرقاشي عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية عن أبي زيد، وعنه أبو عمرو بن العلاء، وسلام بن سليمان، ويونس بن عبيد. ولد لسنتين بقبينا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك سنة إحدى وعشرين، وتوفي سنة عشر ومائة {غاية النهاية (1/235)}.
 - (3) هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة، الإمام أبو محمد العدوي البصري، المعروف باليزيدي، نحوي مقرر، ثقة علامة كبير، خلف أبا عمرو في القيام بالقراءة في البصرة، له عدة تصانيف منها: كتاب النوادر، وكتاب المقصود، وكتاب المشكل. توفي 202هـ. { غاية النهاية (2/375) }.
 - (4) انظر: الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله القرطبي (1/58).
 - (5) تفسير الطبري (1/22).
 - (6) منهج الإمام الطبري في القراءات (ص110).

القول الثاني:

هو قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم ومفاده: أن القراءات الثابتة سواء في ذلك العشر وغيرها هي بمجموعها الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن. بل يرى بعضهم أن الأحرف السبعة مستمرة النقل بالتواتر إلى اليوم.

وحجتهم في ذلك أن الأمة لا يجوز لها ترك شيء من الأحرف السبعة وإلا تكون الأمة جميعها عصاة مخطئين في ترك ما تركوا منه، كيف وهم معصومون من ذلك؟.

وقد رد ابن الجزري هذا القول قائلاً: "وأنت ترى ما في هذا القول فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول قلّ من كثير، ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين؛ وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أمماً لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر، وهلم جراً، فلما كانت المائة الثالثة واتسع الخرق، وقلّ الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات " (1).

ويقول د. عبد الرحمن الجمل: "ثم القول بهذا لا يجعل أي فائدة لما صنعه عثمان رضي الله عنه لمنع اختلاف المسلمين، ووضع حد للتنازع بينهم، وإن كان عثمان رضي الله عنه أبقى الأحرف السبعة واستمر تناقل المسلمين لها إلى اليوم، فكيف أنهى عثمان رضي الله عنه الخلاف بين المسلمين، وما فائدة أمره للصحابة - رضي الله عنهم - بتحريق المصاحف التي في حوزتهم " (2).

القول الثالث:

إن القراءات إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. ذهب إلى القول بهذا عدد من العلماء منهم: مكي بن أبي طالب، وابن الجزري. (3) قال مكي بن أبي طالب: "إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن " (4).

(1) انظر: النشر (38/1 ، 33). وقارن بالأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها (354-355).

(2) منهج الإمام الطبري في القراءات (ص111).

(3) انظر: المرشد الوجيز (141 ، 151) ، الإبانة (ص22).

(4) الإبانة (ص22).

ويقول الكواشي (1): " وكل ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية ، ووافق لفظه خط المصحف الإمام، فهو من السبعة المنصوصة فعلى هذا الأصل بني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو الشاذ " . (2)

القول الراجح:

كتب مصحف عثمان رضي الله عنه على أكثر من حرف واحد كما دل عليه قوله للنساج القرشيين الثلاثة: " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم " . (3)

ومن ناحية أخرى: لا شك أن خلو المصاحف المرسله إلى الأمصار من النقط والشكل والألفات المتوسطة جعلها أكثر احتمالاً لتعدد وجوه القراءة فيما لا يخالف خط المصحف، فقرأ كل مصر من الأمصار على ما تلقوه سماعاً من الصحابة متقيدين بذلك بخط المصحف، فتعددت القراءات الموافقة لخط المصحف العثماني والثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانت بلا شك من الأحرف السبعة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، فنشروها في الآفاق، وتناقلتها عنهم الأئمة إلى عصرنا هذا. وهذا يثبت بشكل واضح أنه قد نُقل إلينا بعض ما في الأحرف السبعة بالقراءات الثابتة الموافقة للخط العثماني. (4)

وعلى ذلك فالعلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات هي علاقة عموم وخصوص؛ فالقراءات هي جزء من الأحرف السبعة. وبذلك تظهر قوة الرأي الثالث.

يقول د. عبد الرحمن الجمل: " فإن الرأي الذي هو أقرب الآراء للصواب، وأمثلها بما دلت عليه الآثار هو الرأي الأخير، والذي ينص على أن القراءات جزء من الأحرف السبعة. وذلك أن هذا الرأي أقرب الآراء إلى معنى التيسير ورفع الحرج من القول بأنها ترجع إلى حرف واحد، فإنه يظهر من اختلاف القراءات في هيئات النطق من إمالة وفتح وتخفيف الهمز وتسهيله معنى التيسير، وذلك أن بعض القبائل كانت تنطق بالإمالة وأخرى بالفتح، وهذه بتسهيل

(1) هو: أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، الإمام أبو العباس الكواشي الموصلي المفسر، عالم زاهد كبير القدر (590-680هـ).
{ انظر: غاية النهاية (151/1) }.

(2) فتح الباري (32/9).

(3) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن . باب جمع القرآن . حديث (4987) { انظر: فتح الباري (11/9) }.

(4) انظر: الأحرف السبعة (356-357) بتصرف.

الهمز وأخرى بتحقيقه. فأن تكون الاختلافات بين القراءات على هذا النحو دليل على أن القراءات جزء من الأحرف السبعة لا أنها ترجع إلى حرف واحد " . (1)

ويقول د. شعبان إسماعيل: " إن القراءات التي نقرأ بها اليوم، سواء كانت سبعة أم عشرية أم شاذة، إنما هي جزء من هذه الأحرف السبعة، وأن الأحرف السبعة منها ما نسخ بالعرضة الأخيرة التي عرضها جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم في رمضان من السنة الأخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم " . (2)

المطلب الثالث: أقسام القراءات وأنواعها :-

أولاً: نشأة القراءات:

مرت القراءات القرآنية بأدوار مختلفة قطعتها ضمن مراحل شتى، متداخل بعضها في بعض حتى استقرت علماً مدوناً له تصنيف وقراء مشهورون.

فأول نشوء القراءات كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان يأتي جبريل عليه السلام ليقريء النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، وكان يقريء صحابته كما أقرأه جبريل، وقد كان بدء نزول الأحرف السبعة على أرجح الأقوال في المدينة المنورة بعد الهجرة وبعد دخول كثير من قبائل العرب في الإسلام، ومن رحمة الله بهذه الأمة أنه أنزل القرآن على سبعة أحرف تهويناً عليها، ورفعاً للحرَج عنها. وكان صلى الله عليه وسلم يقريء كل صحابي بما يسهل عليه في النطق، ومن هنا بدأ الاختلاف بين الصحابة في قراءة القرآن، كما حصل الخلاف بينهم وتخاصموا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففصل بينهم بقوله: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف " .

وتفرق الصحابة - رضي الله عنهم - في الأمصار وهم على هذه الحال من الاختلاف في قراءة القرآن، وأقرأ كل صحابي أهل المصر الذي نزل فيه بما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فاختلقت القراءة بين الأمصار، واختلف أخذ التابعين عن الصحابة، وتتابع هذا الخلاف حتى وصل الأمر إلى القراء المشهورين الذين انقطعوا للقراءة والإقراء، وأمضوا حياتهم في التلقي وضبط القراءة، فاخترتوا لأنفسهم من القراءات الكثيرة التي تلقوها قراءة لزموا القراءة بها والمداومة عليها حتى نسبت إليهم.

(1) منهج الإمام الطبري في القراءات (ص112-113). وقد رجح هذا الرأي محمد سالم محيسن في كتابه المغني(91/1).

(2) القراءات أحكامها ومصدرها لشعبان إسماعيل (ص50).

وقد كثر عدد القراء في القرنين الثاني والثالث حتى جاء ابن مجاهد فاختر من القراء سبعة ليسهل حفظ قراءاتهم، ووافقهم الناس على ذلك، فأصبحت قراءة هؤلاء السبعة هي المشهورة والمتداولة بين الناس . (1)

يقول د. أحمد سعد محمد الخطيب: " وانطلاقاً من ذلك وبناءً عليه، فإن إضافة هذه القراءات إلى أفراد معينين، هم القراء الذين قرأوا بها، ليس لأنهم هم الذين أنشأوها أو اجتهدوا في تأليفها، بل هم حلقة في سلسلة من الرجال الثقات الذين رووا هذه الروايات ونقلوها عن أسلافهم انتهاءً بالنبي ﷺ ، الذي تلقى هذه القراءات وحياً عن ربه ﷻ. وإنما نسبت القراءات إلى القراء لأنهم هم الذين اعتنوا بها وضبطوها ووضعوا لها القواعد والأصول " . (2)

يقول ابن الجزري بعد ذكره لمن اشتهر من القراء: " ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا، وتفرقوا في البلاد، وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة، المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق؛ فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبيّنوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصلوها، وأركان فصلوها " . (3)

ثانياً: أقسام القراءات من حيث القبول وعدمه:

يروى البخاري في صحيحه: أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية (4) وأذربيجان (5) مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في

(1) انظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف لعبد الهادي الفضلي(ص13-26). ومنهج الإمام الطبري في القراءات(ص8,9,12).

والقراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها لراضي نواصرة (ص20-24). جميع المراجع السابقة باختصار وتصرف.

(2) المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات لأحمد الخطيب (ص16) { شبكة التفسير والدراسات القرآنية www. Tafsir .net }.

(3) النشر (1/15).

(4) هي: إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، جنوبي القوقاز، مساحتها 29800 كم2، وعدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة، وعاصمتها: يريفان. { انظر: المنجد في الأعلام لمجموعة من المؤلفين (ص 39) }.

(5) هي: إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، تقع على بحر قزوين وحدود إيران، مساحتها 86600 كم2 ، وعدد سكانها ستة ملايين نسمة، عاصمتها: باكو. { انظر: المنجد في الأعلام (ص33) }.

المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. (1)

يقول ابن الجزري: "وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص، وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن. وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله، وثبت تلاوته عن النبي ﷺ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط". (2)

وعليه فقد انقسمت القراءات في عهد عثمان رضي الله عنه إلى قسمين:

الأول: ما يقبل ويقرأ به: وهو ما وافق خط المصحف المجمع عليه مما نقله الثقات وتلقوه مسلسلاً إلى النبي ﷺ.

الثاني: ما لا يقبل ولا يقرأ به: وهو ما خالف خط المصحف المجمع عليه مخالفة شديدة ظاهرة كزيادة كلمة وتبديل كلمة مكان أخرى، ونحو ذلك. (3)

ثم توالى العصور، وفي كل عصر منها كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم العثماني، وبدأ أهل البدع والأهواء يقرءون بما لا يحل لأحد من المسلمين تلاوته، فتصدى لهم العلماء ورأوا الاجتماع على قراءات أئمة ثقات؛ (4) فكان أن تصدى لهذا العمل ابن مجاهد في القرن الرابع فاختر من بين القراء سبعة، وتابعه الناس على ذلك (5). فانقسمت القراءات حينها إلى قسمين:

الأول: القراءات الصحيحة التي أجمع عليها أكثر القراء، وهي قراءات الأئمة السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد وأودعهم كتابه السبعة.

(1) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث (4987) { انظر: فتح الباري (11/9) }.

(2) النشر: (14/1).

(3) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (ص16).

(4) انظر: منجد المقرئين (22-23)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين الدمياطي (ص7).

(5) انظر: الإبانة (64).

الثاني: القراءات الشاذة، وهي ما خلا القراءات السبع.

والمقصود بالشذوذ هنا هو: الخروج عن قراءة القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد على رغم أن كثيراً منها نازع القراءات التي اختارها ابن مجاهد في الصحة والفصاحة.

يقول ابن جني (1): " القراءات ضربان: ضربٌ اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر بن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة ... وضربٌ تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً، أي: خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه " . (2)

واستمر تناقل القراءات السبع مع قراءات صحيحة أخرى كقراءة يعقوب وأبي جعفر.

يقول مكي بن أبي طالب: " وتابعه - أي: ابن مجاهد - على ذلك من أتى بعده إلى الآن، ولم تترك القراءة برواية غيرهم، واختيار من أتى بعدهم إلى الآن، فهذه قراءة يعقوب الحضرمي غير متروكة، وكذلك قراءة عاصم الجحدري، وكذلك قراءة أبي جعفر وشيبة إمامي نافع " . (3)

ثم ظهرت تقسيمات جديدة، منها تقسيم مكي بن أبي طالب باعتبار قبول القراءات والقراءة بها وعدم ذلك إلى ثلاث أقسام.

القسم الأول: قسم يقرأ به اليوم، وهو قسم إذا اجتمع فيه ثلاث خصال هي:-

1- أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .

2- أن يكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً.

3- أن يكون موافقاً لخط المصحف.

قرىء به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جده.

(1) هو: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، كان من حذاق أهل الأدب، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف، صنف في النحو والتصريف كتباً كثيرة، كالخصائص، والمصنف، وغيرهما، ولد قبل الثلاثين وثلاث مائة، وتوفي سنة 392هـ. { انظر: شذرات الذهب (140/2)، سير أعلام النبلاء (17/17) }.

(2) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني (32/1).

(3) الإبانة (ص64).

القسم الثاني: 1- ما صح نقله عن الأحاد.

2- صح وجهه من العربية.

3- خالف لفظه خط المصحف.

فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين:-

إحدهما: أنه لم يوجد بإجماع، إنما أخذ بأخبار الأحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

ثانيهما: أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيبه وصحته، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به، ولا يكفر من جده.

القسم الثالث: وهو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة، ولا وجه له في العربية. فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف. (1)

ثم جاء ابن الجزري فقسم القراءات إلى قسمين (2) في اعتباره، ويمكن جعلها في ثلاثة أقسام هي:-

القسم الأول: القراءات المتواترة، وهي: كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف ولو تقديرًا، وتواتر نقلها، ويلحق بها القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة، المتناهاة بالقبول، وهي القراءات العشر.

القسم الثاني: القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة، لكنها لم يستفص نقلها، ولم تتلقها الأمة بالقبول. وهو ما نجده في أكثر القراءات الأربع التي بعد العشرة، وهي: قراءة الحسن البصري (3)، وابن محيصن (4)، واليزيدي (5)، والأعمش (6).

(1) انظر: الإبانة (39-40).

(2) انظر تقسيم ابن الجزري في منجد المقرئين (15-16).

(3) سبق الترجمة له. انظر: ص16

(4) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مولاهم المكي. مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، كان ممن تجرد للقراءة، وقام بها في عصر ابن كثير، كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته. توفي 123هـ. { غاية النهاية (167/2) }.

(5) سبق الترجمة له. انظر: ص16

(6) هو: سليمان بن مهران، الإمام العلم أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي المقرئ الحافظ، أصله من أعمال الري، وكان أبوه من سبي الديلم، قرأ القرآن على يحيى بن وثاب، وزر بن حبيش، وأقرأ الناس ونشر العلم دهرًا طويلاً، وكان مولده سنة إحدى وستين. وتوفي 148هـ. { انظر: معرفة القراء (ص54) وغاية النهاية (315/1) }.

القسم الثالث: القراءات الشاذة: وهي القراءات التي صح سندها، ووافقت العربية، وخالفت الرسم، ومثاله ما ورد بأسانيد صحاح في كتب الحديث من زيادة أو نقص، أو إبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك. (1)

وبهذا كان تقسيم ابن الجزري للقراءات آخر مرحلة مر بها تقسيم القراءات، وكان أساساً لتقسيمات العلماء من بعده.

وبعد هذا الاستعراض لأقسام القراءات، كان لابد أن يتم توضيح أنواع القراءات التي اندرجت تحت هذه الأقسام مع التمثيل لها.

ثالثاً: أنواع القراءات وأحكامها:

1- **المتواتر:** وهو ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه. وغالب القراءات كذلك.

مثاله: ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة، وهذا هو الغالب في القراءات.

2- **المشهور:** وهو ما صح سنده؛ بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء أكان عن الأئمة السبعة، أم العشرة، أم غيرهم من الأئمة المقبولين، واشتهر عند القراء، فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر. **مثاله:** ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض. وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف (2) من كتب القراءات.

حكمهما: هذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما، مع وجوب اعتقادهما، ولا يجوز إنكار شيء منهما.

3- **الآحاد:** وهو ما صح سنده، وخالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور. **مثاله:** ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكر أن النبي ﷺ قرأ (متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان) (3).

(1) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (ص23).

(2) فرش الحروف: هو الأحكام الخاصة ببعض الكلمات القرآنية المختلف فيها بين القراء مع عزو كل قراءة لصاحبها، نحو: (ملك يوم الدين) بسورة الفاتحة. فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة (ملك) بغير ألف، وقرأها عاصم والكسائي بإثبات ألف بعد الميم، هكذا (مالك). { المغني في علم التجويد للدكتور عبد الرحمن الجمل(ص382) }.

(3) مستدرک الحاكم (273/2)، كتاب التفسير، باب قراءات النبي، حديث (2986). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. أما القراءة المتواترة فهي: ﴿ مُتَكِّئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ الرحمن(76).

وقراءة: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بفتح الفاء. (1)

حكمه : هذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده .

4- الشاذ : وهو ما لم يصح سنده، كقراءة ابن السَّمِيعِ (2) : (فاليوم نُحَيِّكَ ببدنك) بالحاء المهملة، (لتكون لمن خَلَفَكَ آية) بفتح اللام من كلمة (خَلَفَكَ).

5- الموضوع : وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل .

مثاله: القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي (3) ونسبها إلى أبي حنيفة .
ومنها قراءة (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع الهاء ونصب الهمزة ، أي برفع لفظ الجلالة ونصب لفظ (العلماء) .

6- ما يشبه المدرج من أنواع الحديث : وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير .
كقراءة سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة لفظ (من أم) (4)، وقراءة (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج) بزيادة لفظ (في مواسم الحج) (5).

قال ابن الجزري: وربما كانوا يدخلون التفسير في الكلام إيضاحاً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه. وأما من يقول إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب (6). (7)

تواتر قراءات الأئمة العشرة:

مما سبق من استعراض لأقسام القراءات وأنواعها نستطيع الحكم بتواتر قراءات الأئمة العشرة، والذين سنتعرض لاحقاً للتعريف بهم .

(1) والقراءة المتواترة بضم الفاء. (من أنفسكم) التوبة (128).

(2) هو: محمد بن عبد الرحمن بن السميع، أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه. {غاية النهاية (161/2)}.

(3) هو: محمد بن جعفر الخزاعي، إمام جليل من أئمة القراء الموثوق بهم، والعهد في وضع الكتاب على الحسن بن زياد اللؤلؤي

صاحب أبي حنيفة، وهو ضعيف في الرواية جداً كذب غير واحد. وقد روى هذه القراءة عنه ابنه محمد بن الحسن بن زياد وعنه عمر

بن شبة النمري حسبما ذكره الخزاعي. {انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين الذهبي (239/2)، غاية النهاية (213/1)،

110/2، 116} وقال ابن الجزري في نسبة هذه القراءة إلى أبي حنيفة: " وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه، وتكلف

توجيهها، وإن أبا حنيفة لبريء منها " . {النشر (20/1)}.

(4) القراءة المتواترة (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) النساء (12).

(5) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) البقرة (198).

(6) انظر: النشر (32/1).

(7) انظر في أنواع القراءات: الإتيان (236\1-243) وكذلك: مناهل العرفان (357\1-358).

يقول د. شعبان إسماعيل: " فالمتواتر من الأخبار ما يرويه جماعة تحيل العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب، أو وقوع الكذب منهم مصادفة واتفاقاً عن جماعة كذلك من مبدأ السند إلى منتهاه. ويكون مستند الطبقة الأخيرة منه الحس من مشاهدة أو سماع، فلا يتحقق التواتر إلا إذا وجد العدد الموصوف بما ذكر في كل الطبقات من بدء السند إلى نهايته. فلو فقد هذا العدد في طبقة من طبقات السند انتفى التواتر. والمتواتر يفيد العلم.

وهذا المعنى متحقق في قراءات هؤلاء الأئمة لأنه قد رواها معظم الصحابة عن رسول الله ﷺ، ورواها عن الصحابة التابعون وأتباع التابعين، ومن هؤلاء وهؤلاء أئمة الأديان، وشيوخ الإقراء، ورواها عنهم أمم لا يحصون كثرة وعدداً في جميع العصور والأجيال، لم تخل أمة من الأمم ولا عصر من العصور، ولا مصر من الأمصار إلا وفيه من الكثرة والجم الغفير من يروي قراءات هؤلاء الأئمة، وينقلها لغيره إلى وقتنا هذا... والأدلة على تواتر قراءات الأئمة العشرة كثيرة منها:

أولاً: أن هذه القراءات أبعاض القرآن وأجزاؤه، وقد ثبت القرآن كله بجميع أبعاضه وأجزائه بطريق التواتر. فيكون كل جزء منه ثابتاً بطريق التواتر.

ثانياً: تواتر عن رسول الله ﷺ إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهذا الحديث يفيد العلم والقطع بإنزال القرآن على الأحرف السبعة. وقد دل الدليل على نسخ ما عدا القراءات العشر، فبقيت هذه القراءات على القطع بثبوتها.

ثالثاً: نصوص علماء الإسلام على ذلك كابن جرير الطبري، والقاضي أبي بكر بن أبي الطيب، والعلامة السبكي وغيرهم " (1).

(1) انظر: القراءات أحكامها ومصدرها لشعبان إسماعيل (ص99-101) باختصار وتصرف.

رابعاً: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم:

كان لابد قبل الشروع في تفسير القرآن بالقراءات العشر المتواترة أن نعرِّج على معرفة هؤلاء القراء الذين نسبت إليهم هذه القراءات بسلسلة سند صحيح إلى النبي ﷺ .

الإمام الأول: نافع المدني (70 - 169هـ):

هو: أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أحد القراء السبعة الأعلام، من علماء الطبقة الرابعة، ثقة صالح، أصله من أصفهان، كان أسود اللون حالكاً، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة، وإذا تكلم تُشَمَّ من فيه رائحة المسك، كان عالماً بوجوه القراءات، تلقى القراءات على سبعين من التابعين، وأقرأ الناس دهرًا طويلاً، وقد أخذ القراءة عنه خلق كثير، وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة، توفي - رحمه الله - في المدينة سنة تسع وستين ومائة للهجرة، أشهر الرواة عنه: قالون وورش. (1)

1. قالون: (120 - 220هـ).

هو: أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان، مولى بني زهرة، الملقب بقالون، لقبه به نافع لجودة قراءته، كان أصمَّ لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارئ فإنه يسمعه، توفي - رحمه الله - بالمدينة سنة عشرين ومائتين للهجرة. (2)

2. ورش: (110 - 197هـ).

هو: أبو سعيد، عثمان بن سعيد بن عبد الله، القبطي المصري، الملقب بورش لشدة بياضه، شيخ القراء المحققين، وإمام أهل الأداء المرتلين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، كان جيد القراءة، حسن الصوت، لا يمله سامعه، توفي - رحمه الله - بمصر سنة سبع وتسعين ومائة للهجرة، عن سبع وثمانين سنة. (3)

(1) انظر: غاية النهاية (2/330-331)، معرفة القراء (4-66)، النشر (1/92-93).

(2) انظر: غاية النهاية (1/615-616)، معرفة القراء (93-94)، النشر (1/93).

(3) انظر: غاية النهاية (1/502-503)، معرفة القراء (91-93)، النشر (1/93).

الإمام الثاني: ابن كثير المكي (45 - 120 هـ):

هو: أبو معبد، عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله المكي الداري، أصله فارسي، وأحد القراء السبعة، وهو من علماء الطبقة الثالثة، إمام أهل مكة في القراءة، ولد بمكة، ولقي بها عدداً من الصحابة منهم: عبد الله بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وروى عنهم، كان فصيحاً بليغاً، عليه السكينة والوقار، عالم بالعربية، توفي - رحمه الله - بمكة سنة عشرين ومائة للهجرة، أخذ القراءة عنه خلق كثير، وأشهر من روى عنه بواسطة اثنان هما: البزي وقنبل. (1)

1. البزي: (170 - 250 هـ):

هو: أبو الحسن البزي المكي، أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، مقيماً بمكة، ومؤذن المسجد الحرام، كان إماماً في القراءة، محققاً، ضابطاً، متقناً، أخذ القراءة بسنده إلى ابن كثير المكي، توفي - رحمه الله - سنة خمسين ومائتين للهجرة، عن ثمانين سنة. (2)

2. قنبل: (195 - 291 هـ):

هو: أبو عمر، محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد المخزومي بالولاء المكي، الملقب بقنبل، شيخ الإقراء بالحجاز، كان حسن السيرة، إماماً في القراءة ضابطاً ثقة، رحل إليه الناس من جميع الأقطار، كبر سنه وشاخ، وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين، أخذ القراءة بسنده إلى ابن كثير المكي، توفي - رحمه الله - بمكة سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة، عن ست وتسعين سنة. (3)

الإمام الثالث: أبو عمرو بن العلاء البصري: (68 - 154 هـ).

هو: زيان بن العلاء بن عمار بن العريان، التميمي المازني البصري، وهو من الطبقة الرابعة، وأحد القراء السبعة، ليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، سمع أنس بن مالك وغيره، وقرأ على كبار التابعين كالحسن البصري، وقرأ كذلك على عبد الله بن كثير، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية، صادقاً، ثقة، زاهداً كثير العبادة، صاحب كرامات، ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات - رحمه الله - بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة للهجرة. اشتهر بالرواية عنه :

(1) انظر: غاية النهاية (1/443-445)، معرفة القراء (49-50)، النشر (1/99).

(2) انظر: غاية النهاية (1/119-120)، معرفة القراء (102-105)، النشر (1/99).

(3) انظر: غاية النهاية (2/165-166)، معرفة القراء (133-134)، النشر (1/99).

الدوري والسوسي بواسطة يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي (1). (2)

1. الدوري: (ت 246هـ):

هو: أبو عمرو، حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهبان بن عدي، الدوري، الأزدي، البغدادي، النحوي الضرير، إمام القراءة، وشيخ الناس في زمانه، ثقة، ثبت، كبير، ضابط، أول من جمع القراءات، قرأ بسائر الحروف السبعة، وبالشواذ، توفي - رحمه الله - سنة ست وأربعين ومائتين للهجرة. (3)

2. السوسي: (ت 261هـ):

هو: أبو شعيب، صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن الجارود بن مسرح الرستبي، المعروف بالسوسي، مقرأ، ضابط، ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي، وقرأ على حفص قراءة عاصم، وأخذ القراءة عنه جماعة، توفي - رحمه الله - سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب التسعين. (4)

الإمام الرابع: ابن عامر الشامي: (8 - 118 هـ)

هو: أبو عمران، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليعصبى، وهو من التابعين، ومن علماء الطبقة الثالثة، إمام أهل الشام في القراءة، جمع بين الإمامة والقضاء ومشخة الإقراء في دمشق، وأجمع الناس على قراءته.

سمع من جماعة من الصحابة منهم: النعمان بن بشير، ومعاوية بن أبي سفيان، وفضالة ابن عبيد - رضي الله عنهم - ، وتلقى القراءة عن أبي الدرداء، وعن المغيرة بن أبي شهاب عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل عرض على عثمان نفسه.

ولد سنة ثمان من الهجرة، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وله سنتان، وتوفي - رحمه الله - بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة.

أشهر من روى عنه القراءة: هشام، وابن ذكوان، وقد أخذوا عنه القراءة بواسطة. (5)

(1) سبق الترجمة له. انظر: ص 16

(2) انظر: غاية النهاية (1/288-292)، معرفة القراء (58-62)، النشر (1/109).

(3) انظر: غاية النهاية (1/255-257)، معرفة القراء (113-114)، النشر (1/110).

(4) انظر: غاية النهاية (1/332-333)، معرفة القراء (115)، النشر (1/110).

(5) انظر: غاية النهاية (1/423-425)، معرفة القراء (46 - 49)، النشر (1/117).

1. هشام: (153 - 245 هـ).

هو: أبو الوليد، هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمى الدمشقي، إمام أهل دمشق، وخطيبهم، ومقرئهم، ومحدثهم، ومفتيهم، مشهورٌ بالنقل والفصاحة والعلم، والرواية والدراية، رُزق كبر السن وصحة العقل والرأي، فارتحل الناس إليه في القراءة، والحديث. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم التميمي، وعراك بن خالد، وسويد الواسطي، وصدقة بن خالد عن يحيى بن الحارث الذماري عن عبد الله بن عامر، روى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام قبل وفاته بنحو أربعين سنة، توفي - رحمه الله - سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة. (1)

2. ابن ذكوان: (173 - 242 هـ).

هو: أبو عمرو، عبد الله بن أحمد بن بشير، القرشي الفهري الدمشقي، الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام، وإمام الجامع الأموي، انتهت إليه مشيخة الإقراء بعد أيوب بن تميم. قرأ على الكسائي حين قدم الشام، قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان. أخذ القراءة عرضاً عن أيوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الذماري عن عبد الله بن عامر، توفي - رحمه الله - سنة اثنتين وأربعين ومائتين للهجرة. (2)

الإمام الخامس: عاصم الكوفي (ت 127 هـ).

هو: أبو بكر، عاصم بن أبي النجود، الأسدي مولا هم الكوفي، وهو من التابعين، ومن علماء الطبقة الثالثة، وأحد القراء السبعة، شيخ الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمى، جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمى، وأبي عمرو الشيباني، وروى عنه القراءة خلق كثير منهم: سليمان بن مهران الملقب بالأعمش، وأبو بكر شعبة بن عياش، وحفص بن سليمان، توفي - رحمه الله - سنة سبع وعشرين ومائة. ومن اشتهر بالرواية عنه: شعبة، وحفص. (3)

(1) انظر: غاية النهاية (2/354-356)، معرفة القراء (115-117)، النشر (1/117).

(2) انظر: غاية النهاية (1/404-405)، معرفة القراء (117-119)، النشر (1/118).

(3) انظر: غاية النهاية (1/346-349)، معرفة القراء (51-54)، النشر (1/126).

1. **شعبة:** (95 - 193 هـ)

هو: أبو بكر، شعبة بن عياش بن سالم، المعروف بالحناط، الأسدي النهشلي الكوفي، كان إماماً كبيراً وعالمًا عاملاً، من أئمة السنة، ختم القرآن ثماني عشرة ختمة، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري، توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وتسعين ومائة. (1)

2. **حفص:** (90 - 180 هـ)

هو: حفص بن سليمان أبو عمرو الدوري مولا هم الغاضري الكوفي البزار، المقرئ الإمام، صاحب عاصم، وابن زوجة عاصم، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان أعلم من روى عن عاصم بقراءته، وهو في القراءة ثقة ثبت ضابط لها، أقرأ الناس دهرًا، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي رضي الله عنه. توفي - رحمه الله - سنة ثمانين ومائة. (2)

الإمام السادس: حمزة الكوفي (80 - 156 هـ)

هو: أبو عمار، حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل، الكوفي التيمي مولا هم، الزيات، الإمام الحبر، من علماء الطبقة الرابعة، وأحد القراء السبعة، إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم، كان ثقة، حجة، مجوداً لكتاب الله، عارفاً بالفرائض، حافظاً للحديث، عابداً، قانتاً لله، أدرك بعض الصحابة، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش، وجعفر الصادق، وأبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي، وروى القراءة عنه سليم بن عيسى وهو أضبط أصحابه، وسفيان الثوري وغيرهما، توفي - رحمه الله - سنة ست وخمسين ومائة للهجرة. أشهر من روى عنه: خلف وخلاد، فقد أخذوا القراءة عنه بواسطة سليم بن عيسى عن حمزة. (3)

1. **خلف:** (150 - 229 هـ)

هو: أبو محمد، خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب، الأسدي البزار البغدادي، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم بن عيسى، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، كان ثقة، زاهداً، عابداً، عالماً، أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى، وعبد الرحمن بن حماد عن حمزة، وعن أبي زيد مسعد بن أوس الأنصاري، وقد اختار له قراءة انفرد بها، فخالف حمزة في مائة

(1) انظر: غاية النهاية (325/1)، معرفة القراء (80-83)، النشر (126/1).

(2) انظر: المراجع السابقة (254/1)، (84-85)، (126/1).

(3) انظر: المراجع السابقة (261/1)، (66-72)، (133/1).

وعشرين حرفاً، توفي - رحمه الله - سنة تسع وعشرين ومائتين للهجرة. (1)

2. خالد: (119 - 220هـ)

هو: أبو عيسى، خالد بن خالد، الشيباني مولا هم الصيرفي الكوفي، إمام في القراءة، ثقة، عارف، محقق، أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى، وهو من أضبط أصحابه، وأجلهم، روى عنه القراءة عرضاً أحمد بن يزيد الحلواني، والقاسم الوزان، وآخرون. توفي - رحمه الله - سنة عشرين ومائتين. (2)

الإمام السابع: الكسائي الكوفي: (119 - 189هـ)

هو: أبو الحسن، علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي مولا هم الكسائي، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، وهو من علماء الطبقة الرابعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات، وعليه اعتماده، روى الحروف عن أبي بكر بن عياش، وآخرين، رحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل. فكان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكان الناس يكثرن عليه فيجمعهم ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ، وقال ابن معين: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي، أخذ عنه القراءة عرضاً وسماًعاً إبراهيم بن زاذان، وحفص بن عمرو الدوري، والليث بن خالد وآخرون، كان يتخير القراءات؛ فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً، وكان من أهل القراءة، فكانت هي علمه وصناعته.

له مؤلفات كثيرة منها: معاني القرآن، وكتاب القراءات، توفي - رحمه الله - سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة، أشهر من روى عنه القراءة: الليث، وحفص الدوري. (3)

1. الليث: (... - 240هـ)

هو: أبو الحارث، الليث بن خالد، البغدادي، ثقة، معروف، حاذق، ضابط، من جلة أصحاب الكسائي، عرض عليه، وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول، واليزيدي، روى

(1) انظر: غاية النهاية (272/1) / معرفة القراء (123-124)، النشر (152-153).

(2) انظر: المراجع السابقة (274/1)، (124)، (133/1).

(3) انظر: المراجع السابقة (535/1)، (72-77)، (138/1).

عنه القراءة عرضاً وسماًعاً: سلمة بن عاصم صاحب الفراء، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير وغيرهما، توفي - رحمه الله - سنة أربعين ومائتين للهجرة. (1)

2. حفص الدوري: (... - 246هـ)

تقدمت ترجمته عند الحديث عن ترجمة أبي عمرو بن العلاء البصري.

الإمام الثامن: أبو جعفر المدني (... - 130هـ)

هو: أبو جعفر، يزيد بن القعقاع، الإمام المخزومي المدني القاريء، تابعي جليل، أحد علماء الطبقة الثالثة، وأحد القراء العشرة، أُتي به وهو صغير إلى أم سلمة - رضي الله عنها - فمسحت على رأسه، ودعت له بالبركة، صلى بابين عمر، عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وروى عنهم، روى عنه نافع بن أبي نعيم، وابن جمّاز، وابن وردان، وآخرون، كان كثير العبادة؛ يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ويصلي في جوف الليل، توفي - رحمه الله - سنة ثلاثين ومائة للهجرة.

أشهر من روى عنه: عيسى بن وردان، وسليمان بن جمّاز. (2)

1. عيسى بن وردان: (... - 160هـ)

هو: أبو الحارث، عيسى بن وردان، المدني، الحذاء، إمام مقرئ حاذق، وراوٍ محقق ضابط، عرض على أبي جعفر القاريء، وشيبة بن نصاب، ثم عرض على نافع، وهو من قدماء أصحابه. روى عنه القراءة عرضاً إسماعيل بن جعفر، وقالون، ومحمد بن عمر الواقدي، وغيرهم، توفي - رحمه الله - في حدود الستين ومائة للهجرة. (3)

2. سليمان بن جمّاز: (... - 170هـ)

هو: سليمان بن مسلم بن جمّاز، أبو الربيع الزهري مولاهم المدني، مقرئ جليل ضابط. عرض على أبي جعفر وشيبة، ثم عرض على نافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع، قرأ عليه عرضاً إسماعيل بن جعفر، وقتيبة بن مهران، توفي - رحمه الله - بعد سنة سبعين ومائة للهجرة. (4)

(1) انظر: غاية النهاية (34/2)، معرفة القراء (ص124)، النشر (138/1).

(2) انظر: المراجع السابقة (382/2)، (40-42)، (143/1).

(3) انظر: المراجع السابقة (616/1)، (ص66)، (143/1).

(4) انظر: غاية النهاية (315/1)، النشر (143/1).

الإمام التاسع: يعقوب الحضرمي البصري (117 - 205هـ)

هو: أبو محمد، يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق، الحضرمي، مولاهم البصري، وهو من علماء الطبقة الخامسة، وأحد القراء العشرة، إمام أهل البصرة ومقرئها، انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو بن العلاء، أخذ القراءة عرضاً عن سلام الطويل، ومهدي بن ميمون، وأبي الأشهب العطاردي وآخرين، وروى القراءة عنه عرضاً زيد ابن أخيه أحمد، وأبو حاتم السجستاني وآخرون.

كان إماماً كبيراً ثقة عالماً صالحاً دينياً، عالماً بالحروف والاختلاف في القراءات وعلله، ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن، وحديث الفقهاء. توفي رحمه الله - سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة. أشهر من روى عنه: رويس، وروح. (1)

1. رويس: (... - 238هـ)

هو: أبو عبد الله، محمد بن المتوكل، اللؤلؤي البصري المعروف برويس، مقرئ حاذق، ضابط، قرأ على يعقوب، وهو من أحذق أصحابه، تصدر للإقراء. قرأ عليه محمد بن هارون التمار، وأبو عبد الله الزبير، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين. (2)

2. روح: (... - 234هـ)

هو: أبو الحسن، روح بن عبد المؤمن، الهذلي مولاهم البصري النحوي، مقرئ جليل، ثقة ضابط مشهور، عرض على يعقوب البصري، وهو من جلة أصحابه، كان متقناً مجوداً. روى الحروف عن أحمد بن موسى، وغيره عن أبي عمرو، قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وغيره، وروى عنه البخاري في صحيحه، وأبو يعلى الموصلي، وغيرهما، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي رحمه الله - سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين للهجرة. (3)

الإمام العاشر: خلف البزار (150 - 229هـ)

هو: خلف بن هشام البزار البغدادي. تقدمت ترجمته عند الحديث عن راوي حمزة. فقد روى خلف قراءة حمزة عن سليم، واختار لنفسه قراءة اشتهر بها، وأشهر رواته: إسحاق وإدريس.

(1) انظر: غاية النهاية (386/2)، معرفة القراء (94-95)، النشر (149/1).

(2) انظر: المراجع السابقة (234/2)، (ص126)، (149/1).

(3) انظر: المراجع السابقة (285/1)، (126)، (149/1).

1. إسحاق: (... - 286هـ)

هو: أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله، المروزي ثم البغدادي الوراق. قرأ على خلف اختياره، ورواه عنه، وقام به بعده، وقرأ أيضاً على الوليد بن مسلم. وقرأ عليه علي بن موسى التقي، وابنه محمد بن إسحاق، وابن شنبوذ وآخرون. كان ثقة قيماً بالقراءة ضابطاً لها، منفرداً برواية اختيار خلف لا يعرف غيره. توفي - رحمه الله - سنة ست وثمانين ومائتين للهجرة . (1)

2. إدريس: (199 - 292هـ)

هو: أبو الحسن، إدريس بن عبد الكريم الحداد، البغدادي، إمام ضابط، متقن، سئل عنه الدار قطني فقال: ثقة، وفوق الثقة بدرجة. قرأ على خلف بن هشام روايته واختياره، وروى القراءة عنه سماعاً ابن مجاهد، وعرضاً محمد بن أحمد بن شنبوذ، وابن مقسم، ومحمد بن إسحاق البخاري، توفي - رحمه الله - سنة اثنتين وتسعين ومائتين للهجرة، عن ثلاث وتسعين سنة. (2)

(1) انظر: غاية النهاية (1/155)، النشر (1/153).

(2) انظر: غاية النهاية (1/154)، معرفة القراء (145).

المطلب الرابع: علاقة القراءات بالإعجاز وأهميتها في التفسير:

قبل التطرق إلى علاقة القراءات بالإعجاز وأهميتها في التفسير، لا بد من التطرق إلى حقيقة اختلاف القراءات؛ وذلك لأهميتها في بيان إعجاز القرآن، وأثرها على التفسير، حيث لا تناقض ولا تضاد في اختلافها، وهذا ما سيظهر من خلال أقوال العلماء، ومن خلال هذا المطلب.

حقيقة اختلاف القراءات:

يقول إيباد السامرائي: ذهب جمهور علماء المسلمين إلى أن الاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، وأن الاختلاف حاصل في الألفاظ المسموعة وليس في المعاني المفهومة وبهذا صرح المهدي حين عرض لحديث النبي ﷺ " أنزل القرآن على سبعة أحرف " ، إذ قال: " واختلف الناس في معنى الحديث اختلافاً كثيراً، فأكثرهم على أن معناه في الألفاظ المسموعة لا في المعاني المفهومة " . اهـ (1)

وقال ابن الجزري: " قد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه

آخر لا يقتضي التضاد.

فأما الأول: فكالاختلاف في (الصراط والسراط ، عليهم وعليهم ، يحسب ويحسب) ونحو

ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط. (2)

وأما الثاني: فنحو (مالك، وملك) في الفاتحة؛ لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى، لأنه

مالك يوم الدين وملكه... وكذا (كيف ننشزها) بالراء والزاي؛ لأن المراد بهما هي العظام؛

وذلك أن الله أنشزها، أي: أحيها، وأنشزها أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأممت، فضمن الله

تعالى المعنيين في القراءتين.

(1) انظر الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني لإيباد السامرائي (ص10) {الشبكة الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية { www. Tafsir .net } .

(2) سيظهر من خلال تفسير السور الكريمة (الإسراء والكهف ومريم) أن بعض ما اعتبره العلماء اختلاف في اللغات، كان له أثر واضح في التفسير .

وأما الثالث: فنحو ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ يوسف {110} بالتشديد والتخفيف... فأما وجه تشديد (كُذِّبُوا) فالمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، ووجه التخفيف: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به، فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم .

ثم قال: فليس في شيء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض، وكل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحداً من الأمة رده، ولزم الإيمان به، وأن كله منزل من عند الله؛ إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداها لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض " . (1)

بعد هذا التمهيد للموضوع بتثبيت حقيقة أن الاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تناقض أو تضاد، ننقل إلى تفصيل ما تناوله المطلب الرابع.

أولاً: علاقة القراءات بالإعجاز:

الناظر في كتاب الله تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز، وكلما أكثر نظره وتأمله كلما اكتشف وجوهاً أخرى جديدة، وهذا ما جعل الخلاف بين العلماء في تحديد وجوه إعجاز القرآن يتوازي أحياناً ويتقاطع في أحيان أخرى.

وبذلك تباينت أقوال العلماء في بيان أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، فرأى بعضهم أن القرآن معجزة لغوية بيانية فحسب، وذهب الأكثرون إلى أن القرآن معجز من أكثر من وجه. حتى أن بعضهم أوصلها إلى نيف وثلاثين وجهاً⁽²⁾، ومن أهم هذه الوجوه التي ذكروها واهتموا بها: الإعجاز البياني، ورغم اهتمامهم بهذا الجانب إلا أنهم أغفلوا بيان أن القراءات القرآنية وجه من وجوه الإعجاز، وإن كان بعض العلماء قد ذكرها عرضاً، وفي ذلك يقول الراجعي في أثناء حديثه عن إعجاز القرآن: " وإذا تم هذا النظم للقرآن مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به، ومع اليأس من معارضته على ما يكون في نظمه من تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات بحسب ما يلائم الأحوال في مناطق العرب، فقد تم له التمام كله، وصار إعجازه إعجازاً للفترة اللغوية في نفسها حيث كانت وكيف ظهرت ومهما يكن من أمرها " . (3)

(1) انظر: النشر (45/1-46) باختصار.

(2) انظر هذه الأوجه في معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي. (3) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الراجعي (ص39).

وممن تكلم في إعجاز تنوع القراءات الشيخ الزرقاني حيث يقول: " إن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات؛ وذلك ضرب من ضروب البلاغة، يبتدىء من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل؛ بل القرآن كله على تنوع قراءاته، يصدّق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم؛ وذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة، ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهلمّ جراً، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف! " (1).

فكل قراءة توضح وتبين معنىً جديداً لم تبينه القراءة السابقة، وبذلك تتسع المعاني وتتعدد بتعدد القراءات، إذ كل قراءة بمقام آية، وفي ذلك يقول ابن عاشور: " على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى، ليقراً القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمن في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع. " (2)

أما د. فضل عباس فقد كانت له إطلالات رائعة في بيان إعجاز تنوع القراءات وخصوصاً القراءات المتواترة، فقد ذكر أمثلة متنوعة دلت على هذا الإعجاز في أثناء حديثه عن القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية في مجلة (دراسات)، وإن كانت في معرض دفاعه عن القراءات القرآنية في وجه الرايين لبعضها، أو المرجحين بين قراءتين متواترتين يفضي إلى إسقاط إحدهما. (3)

وسنبين في المبحث اللاحق بعض جوانب إعجاز القرآن في تعدد القراءات، وما فيها من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن هذا القرآن بقراءاته كلام الله لا يأتيه الباطل من بين

(1) مناهل العرفان (1/132).

(2) تفسير التحرير والتتوير لمحمد الطاهر ابن عاشور (1/55).

(3) انظر ما كتبه د. فضل عباس حول هذا الموضوع في: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية: مجلة دراسات - المجلد الرابع

عشر - العدد السابع - 1987م.

يديه ولا من خلفه، وأنه " سلسلة واحدة متصلة الحلقات محكمة السور والآيات، متآخذة المبادئ والغايات مهما تعددت طرق قراءته ومهما تنوعت فنون أدائه " (1).

ثانياً: أهمية القراءات في التفسير:

ليست كل القراءات لها أثر على التفسير بدرجة واحدة، حتى إن بعضها ليس له أثر البتة على التفسير، وبيان ذلك كالاتي :

الحالة الأولى : ما لم يكن له تعلق بالتفسير بحال .

والمقصود بها اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق، والجهر والهمس، والغنة، والإخفاء. فهذه الاختلافات لا تأثير لها في اختلاف معاني الآي، وإن كان لها تأثير في غير التفسير كالتخفيف على الأمة في النطق، وبيان سعة اللغة.

ومن أمثلة هذا النوع :-

1. قراءة (عذابي) بسكون الياء و (عذابي) بفتحها .
2. تعدد وجوه الإعراب، مثل ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ البقرة {214} بفتح لام يقول وضمها .
3. رفع الأسماء الثلاثة أو فتحها، أو رفع بعض، وفتح بعض، في قوله تعالى ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةً وَلَا شَفَاعَةً﴾ البقرة {254}.

ومن أهمية هذا النوع :-

1- أنها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها ، من تحديد كفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها ، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بتلقي ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة.

2- أنها مادة كبرى لعلوم اللغة العربية، حيث إن فيها سعة في بيان وجوه الإعراب في العربية.

الحالة الثانية : ما كان له تعلق بالتفسير من جهات متفاوتة (2) :

- 1- اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ و ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ الفاتحة {4}، ﴿ نُنشِرُهَا ﴾ و ﴿ نُنشِرُهَا ﴾ البقرة {259}.

(1) مناهل العرفان (1/159).

(2) سيأتي تمثيل موسع لهذا النوع لاحقاً.

2- اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ الزخرف {57}، قرأ نافع (يَصِدُّونَ) بضم الصاد، وقرأ حمزة (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد، فالأولى بمعنى: يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى: صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم .

فوائده :-

1- ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره .

2- اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة .

مثل : قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾ البقرة {222} بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، و﴿حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾ بسكون الطاء وضم الهاء مخففة. (1)

(1) انظر: تفسير التحرير والتنوير (51\1-55). باختصار.

بعد هذا الاستعراض لأهمية القراءات في التفسير، يمكن تقسيم القراءات التي لها أثر في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: قراءات لها أثر مباشر في معنى الآية.

وهو يحوي عدة أنواع هي:

1- قراءات بينت معنى الآية.

2- قراءات وسعت معنى الآية.

3- قراءات أزلت الإشكال عن معنى الآية.

4- قراءات خصت عموم الآية.

5- قراءات بينت إجمال الآية.

القسم الثاني: قراءات لها أثر غير مباشر في معنى الآية ، وإنما تضيف ظلالاً وتفيد من عدة جهات، وهي القراءات المتعلقة بتنوع الأساليب، أو بتعدد اللغات أو بالذكر والحذف وغير ذلك.

وهذه القراءات أفادت من نواح مختلفة منها:

1- قراءات أفادت التكثير أو المبالغة.

2- قراءات وصفت الحالة النفسية، أو الحالة المادية.

3- قراءات دللت على بلاغة القرآن.

4- قراءات أنتج تنوعها إظهاراً لإعجاز علمي في القرآن.

ونظراً لأن سور القرآن الكريم تتباين في تناولها لهذين القسمين؛ فقد تحتوي السورة الواحدة عليهما بالتنوع الحاصل فيهما، وقد تحتوي غيرها من السور بعض ما فيهما، أو قد يغلب في بعض السور قسم على آخر، أو نوع من القسم الواحد على الأنواع الأخرى؛ لذلك سيظهر التباين في التمثيل من السور الثلاث موضوع الرسالة - الإسراء والكهف ومريم - .

وسيتم الاقتصار على القراءات المتواترة؛ لأن هدف البحث بشكل عام هو تفسير القرآن بالقراءات المتواترة، لذلك لن يتم التعرض هنا لقراءات أخرى.

القسم الأول: القراءات التي لها أثر مباشر في معنى الآية.

أولاً: القراءات التي بينت معنى الآية:

المقصود هو ذكر أمثلة للقراءات المتواترة التي أدى اختلافها إلى إنتاج أكثر من معنى للآية لكنه في النهاية يجتمع في معنى واحد جامع بلا تضاد، ولا شك أن ورودها على تلك الصفة يزيد المعنى وضوحاً.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ الإسراء.

قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر (لِيَسُوءَ) بالياء ونصب الهمزة على لفظ الواحد. وقرأ الكسائي (لِنِسُوءَ) بالنون ونصب الهمزة على لفظ الجمع للمتكلمين. أما الباقون فقرأوا (لِيَسُوءُوا) بالياء وضم الهمزة وبعدها واو الجمع.⁽¹⁾

البيان:

قراءة (ليسوءوا) أفادت أن الذين يسوءون وجوه بني إسرائيل هم العباد أولو البأس الشديد، وقراءة (ليسوء) أفادت أن الفاعل هو الله ، أو الوعد. أما قراءة (لنسوء) فهي إخبار الله عن نفسه .

وبذلك تعدد الفاعلون بتعدد القراءات، ولكن يتبين بالجمع بين القراءات أن الفاعل لذلك في الحقيقة هو الله عَلِيمٌ ، وأن إساءة وجوه بني إسرائيل بالوعد هو إنفاذ لهذا الوعد، وأن العباد أولي البأس هم المنفذون لهذا الوعد وفعلوه بقوة الله عز وجل وتمكينه لهم تحقيقاً لعزته وغلبته سبحانه. وبذلك جاء تعدد القراءات لبيان معنى الآية .⁽²⁾

(1) انظر: النشر (2/229).

(2) انظر هذا الموضوع بتوسع في سورة الإسراء (ص69-71).

المثال الثاني:

قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

الكهف.

- قرأ حمزة والكسائي وخلف (الْوَلَايَةُ) بكسر الواو. وقرأ الباقر (الْوَلَايَةُ) بفتح الواو. (1)
وقرأ أبو عمرو والكسائي (الْحَقُّ) برفع القاف. وقرأ الباقر (الْحَقُّ) بخفض القاف. (2)

البيان:

أفادت قراءة (الْوَلَايَةُ) بالفتح: أنَّ النصرَةَ لله وحده لا يملكها غيره، وأن كل أحد من مؤمن وكافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع إليه إذا وقع العذاب.

وأفادت قراءة (الْوَلَايَةُ) بالكسر: أنَّ الله هو المنفرد بالملك والسلطان في الدنيا والآخرة.

وأفادت قراءة (الْحَقُّ) بالضم: أن ولاية الله هي الولاية الصدق؛ لأن ولاية غيره كذب

وباطل.

أما قراءة (الْحَقُّ) بالخفض فأفادت: أنَّ الله جَلَّالَهُ هو الحق، وأنَّ غير الله لا حقيقة له أو

دوام.

وعلى ذلك فالجمع بين القراءات يؤكد حقيقة أنَّ الله جَلَّالَهُ هو الإله الحق الذي له الولاية

الحقيقية التي لا يشاركه فيها أحد، وهو الملك، وله السلطان في الدنيا والآخرة، فيعترف بملكه

وسلطانه وولايته المؤمن طوعاً، والكافر جبراً، وأنَّ النصرَةَ لله وحده لا يملكها غيره، وهو

الناصر لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، فنوابه لأوليائه خير ثواب وعقابه خير عاقبة، وهو

الملاذ لطلب النصرَةَ منه للمؤمن والكافر على السواء عند حلول العذاب في الدنيا، والمُتَوَلَّى

يوم القيامة من الكفار فيؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. (3)

(1) انظر: النشر (208/2) .

(2) انظر: النشر (233/2) .

(3) انظر هذا المثال بتوسع في سورة الكهف (ص 179 - 182).

المثال الثالث:

قال تعالى: ﴿وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ﴿٥١﴾ مريم .

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (مُخْلِصًا) . وقرأ الباقون (مُخْلِصًا) بكسر اللام. (1)

البيان:

أفادت قراءة (مُخْلِصًا): أن موسى ﷺ أخلص العبادة والتوحيد لله فلم يُشرك ولم يراء في عبادته. وأسلم وجهه لله.

وأفادت قراءة (مُخْلِصًا): أن الله ﷻ استخلص موسى ﷺ واصطفاه للعبادة والنبوة .

وبذلك يتبين أن موسى ﷺ أخلص الطاعة والعبادة لله ﷻ مما جعله مؤهلاً للاختيار والاصطفاء من الله ﷻ ليكون رسولا نبيا . فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه. (2)

ثانياً: القراءات التي وسعت معنى الآية:

المقصود هو ذكر أمثلة للقراءات المتواترة التي أدي اختلافها إلى توسيع معنى الآية وأفادت الآية بها أكثر من معنى.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ الإسراء.

قرأ يعقوب (أَمَرْنَا) بمد الهمزة. وقرأ الباقون (أَمَرْنَا) بقصرها. (3)

(1) انظر: النشر (221/2).

(2) انظر هذا المثال بتوسع في سورة مريم (ص 287 - 288).

(3) انظر: النشر (230/2).

البيان:

أفادت قراءة الجمهور (أمرنا) أن الله أمر أكابر القوم بالطاعة بعد أن صب عليهم ما أبطرهم، فخرجوا عن أمره فحق عليهم الإهلاك والاستئصال.

وأفادت قراءة يعقوب (أمرنا) بأن الله تعالى كثر عدد المترفين وزاد في إترافهم استدراجاً للإهلاك بسبب فسوقهم وخروجهم عن طاعة الله.

يتبين بالجمع بين القراءات أنه إذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك، وذلك بسبب الفسق والخروج عن طاعة الله، لذلك يأمر الله من في القرية وساداتها بالطاعة ليكون في ذلك حجة عليهم ، وبسبب استمرارهم في الفسق يكثر عددهم ، ويزيد في نعمتهم استدراجاً لهم حتى يحق عليها العذاب.(1)

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا لَئِذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ
حُسْنًا ﴾ الكهف.

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب (حَمِئَةٍ) بغير ألف بعد الحاء وهمز الياء. وقرأ الباقر (حامية) بالألف وفتح الياء من غير همز. (2)

البيان:

أفادت قراءة (حمئة): أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود نتن.

وأفادت قراءة (حامية): أنه وجدها تغرب في عين ماء حارة.

فالآية بالقراءتين جمعت وصفين في تلك العين التي وجد ذو القرنين الشمس تغرب فيها؛

فهي عين حارة، وأنها ذات طين أسود منتن. (3)

(1) انظر هذا المثال بتوسع في سورة الإسراء (ص76-78).

(2) انظر: النشر (236/2).

(3) انظر هذا المثال بتوسع في سورة الكهف (ص226 - 228).

المثال الثالث:

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ

شَيْئًا ﴿٦٧﴾ مريم.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم (يَذْكُرُ) بتخفيف الذال والكاف مع ضم الكاف. وقرأ
الباقون (يَذْكُرُ) بتشديدهما وفتح الكاف. (1)

البيان:

قراءة (يذکر) بالتخفيف نعي الله على الكافر المنكر للبعث عدم انتباهه وعلمه من حال
نفسه أنه لم يكن شيئاً في الدنيا، ثم صار إنساناً حياً موجوداً. أما قراءة (يذکر) بالتشديد فأفادت:
نعي الله على الكافر عدم تفكره وتدبره في أول خلقه فيستدل بذلك على البعث.

وبحاصل القراءتين يتبين أن في الآية أمراً بالذکر وهو: الانتباه وعدم الغفلة والنسيان،
وأمرأً بالاعتبار والتفكر، ولا شك أن التفكر والاعتبار لا يكون إلا بعد الانتباه وعدم الغفلة
والنسيان. وبذلك جمعت الآية بالقراءتين بين أمرين. (2)

ثالثاً: القراءات التي أزلت الإشكال عن معنى الآية.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ

أَحَدًا ﴿١٦﴾ الكهف .

قرأ ابن عامر (وَلَا تُشْرِكُ) بالخطاب وجزم الكاف على النهي. وقرأ الباكون (وَلَا
يُشْرِكُ) بالغيب ورفع الكاف على الخبر. (3)

(1) انظر: النشر (239/2).

(2) انظر هذا المثال بتوسع في سورة مريم (ص 297 - 298).

(3) انظر: النشر (233/2).

البيان:

الظاهر من قراءة (ولا تُشْرِكْ) بالخطاب أفاد أن الله سبحانه وتعالى ينهى النبي ﷺ أن يُشْرِك في حكم الله أحداً، أو أن ينسب أحداً إلى علم الغيب. وأفادت قراءة (ولا يُشْرِكْ) بالياء على الغيب؛ أن الله سبحانه يخبر عن نفسه أنه لا يشرك في حكمه مما يخبر به من الغيب أحداً، كما أنه لا يشاور في أمره وقضائه أحداً.

يظهر من المعنى بقراءة الخطاب مشكل: هل المقصود هو نهى الرسول حقيقة أن يشرك في حكم الله أحداً؟ فجاءت قراءة الغيب لتزيل هذا الإشكال ولتبين أن المقصود هو نهى الرسول أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن تفاصيل خبر أصحاب الكهف، ويكتفي بما أخبره الله به، لأن علم ذلك عنده ﷺ فهو المتصرف في أمور عباده ولا يشرك في أمر الغيب أحداً. (1)

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبْنَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَتَهَا

لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٦﴾ الكهف .

قرأ حمزة والكسائي وخلف (لِيُغْرِقَ) بالياء وفتح الراء، (أهلها) بالرفع، وقرأ الباقون

(لَتُغْرِقَ) بالتاء وكسر الراء ونصب (أهلها). (2)

البيان:

أفادت قراءة (لَتُغْرِقَ أَهْلَهَا): أن موسى ﷺ أسند الغرق إلى الخضر، لأنه هو خارق السفينة، والخارق هو فاعل الغرق في المعنى. وأفادت قراءة (لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا): أن موسى ﷺ أسند الغرق إلى أهل السفينة. كأنه قال: أخرجت السفينة لترسو في البحر فيغرق فيه أهلها؟.

تظهر هنا إشكالية قد يقع فيها البعض، وما قد يظنه ظان أن تصرف موسى بتوجيه الخطاب إلى الخضر هو سوء أدب منه، ومن هنا يكون مدخل للطاعنين في عصمة الأنبياء، ولكن قراءة إسناد الغرق إلى أهل السفينة أزالت هذا الإشكال. ومن ناحية أخرى بينت أن الخطاب القرآني يتنوع من أجل أن يبين فوائد عدة لا تُدرَك إلا بفهم معاني القراءات، وفهم المقصود من هذا الخطاب، وخطاب الالتفات من أهم الخطاب في القرآن الذي بين هذه المعاني السامية. (3)

(1) انظر هذا المثال بتوسع (ص161-162). (2) انظر: النشر (235/2). (3) انظر هذا المثال بتوسع (ص208 - 210).

رابعاً: القراءات التي خصصت عموم الآية، أو التي عينت من عموم الآية:

ويُقصد بذلك ما جاء من قراءة خصصت بعض أفراد العام بالذكر، أو القراءة العامة التي جاء في قراءة أخرى ما يبين أن المراد بها الخصوص.

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۗ ﴾

﴿ الكهف . ٦٦ ﴾

قرأ أبو عمرو ويعقوب (رُشْدًا) بفتح الراء والشين. وقرأ الباقر (رُشْدًا) بضم الراء وإسكان الشين. (1)

البيان:

أفادت قراءة (رُشْدًا)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً يسترشد به في أمر دينه ودنياه، أي: يكون فيه الصلاح في الدنيا والآخرة. وأفادت قراءة (رُشْدًا)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً ذا رشد يسترشد به في أمر دينه، أي: فيه الصلاح في الدين.

وعلى ذلك فقراءة (رُشْدًا) خصصت ما طلبه موسى عليه السلام من علم يبتغي تعلمه من العبد الصالح، وهو علم يكون فيه الصلاح في الدين. (2)

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ ۗ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۗ ﴾

﴿ الكهف . ٨٨ ﴾

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر (جزاء الحسنى) برفع الهمزة من غير تنوين. وقرأ الباقر (جزاء الحسنى) بفتح الهمزة منونة منصوبة مع كسر التنوين وصلًا للساكنين. (3)

(1) انظر: النشر (234/2).

(2) انظر هذا المثال بتوسع (ص204 - 206).

(3) انظر: النشر (236/2) ، الميسر في القراءات الأربع عشرة لمحمد فهد خاروف (ص303).

البيان:

أفادت قراءة (جزاء الحسنى): أن مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَأَتَبَعَ إِيْمَانَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لَهُ فِي الْآخِرَةِ جِزَاءُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمَلَهَا. أَوْ الْجَنَّةَ.

وأفادت قراءة (جزاء الحسنى): أن مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَأَتَبَعَ إِيْمَانَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَلَهُ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةَ جِزَاءً.

وعلى ذلك جاءت قراءة النصب لتعين من العموم المقصود في بيان الثواب الوارد في قراءة الرفع؛ وذلك لأن قراءة الرفع جاءت عامة في بيان الجزاء. أما قراءة النصب فاحتملت وجهاً واحداً وهو أعلاهما ثواباً. (1)

خامساً: القراءات التي بينت إجمال الآية:

المقصود الآيات التي جاءت مجملة على قراءة وجاءت قراءة أخرى بينت هذا الإجمال.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقُرْنَيْنِ اِنَّ يٰأَجُوجَ وَمَآجُوجَ مُفْسِدُوْنَ فِى الْاَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلٰى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ ﴿٩٤﴾ الكهف.

قرأ عاصم (يَأْجُوجَ وَمَآجُوجَ) بالهمز. وقرأ الباقون (ياجوج وماجوج) بغير همز. (2)

البيان:

قراءة (ياجوج وماجوج) بغير همز اسم لقبيلتين لهما شأن كبير في التسبب بالإفساد في الأرض والإضرار بالعباد. وهذه القراءة جاءت مجملة لم تبين صفات هاتين القبيلتين.

ولكن قراءة (يَأْجُوجَ وَمَآجُوجَ) بالهمز جاءت فبينت حال هاتين القبيلتين؛ فقد قيل: إن (يَأْجُوجَ وَمَآجُوجَ) هما اسمان عربيان مشتقان من: أجيح النار، وهو التهابها، وشدة توقُّدها.

وقيل: من الأجة: وهو الاختلاط، أو شدة الحر. وقيل من الأج، وهو سرعة العدو. وقيل

من الأجاج، وهو الماء الملح الزعاق.

(1) انظر هذا المثال بتوسع (ص228 - 230).

(2) انظر: النشر (306/1).

وعلى ذلك فهما على قدر كبير من الكثرة، وأنهما أخلاطٌ من أصناف، وأنهما على سرعة في العدو والإغارة، وأنهما غاية في الاضطراب والإفساد والإهلاك فهما كالنار المتقدة التي تقضي على الأخضر واليابس، وكالمح المر الذي يصيب كل ما يصل إليه فيسبب الفساد والهلاك. وبذلك جاءت قراءة الهمز لتبين ما أجمل من حال وفساد وصفت بهما هاتان القبيلتان.(1)

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ ﴿٣١﴾ مريم.

قرأ رويس (نُورِثُ) بفتح الواو وتشديد الراء، مضارع (ورث) مضاعف العين. وقرأ الباقون (نُورِثُ) بالإسكان والتخفيف، مضارع (أورث) مُعدًّا بالهمزة. (2)

البيان:

أفادت قراءة (نُورِثُ) استحقاق المتقين للجنة كاستحقاق الوارث لميراثه. ولكن هذه القراءة مجملة في بيان هذه الجنة. فجاءت قراءة (نُورِثُ) لتفيد التكثير والزيادة في ميراث المتقين؛ بحيث يثيبهم الله بالجنة التي هي مستحقهم، بالإضافة إلى الجنة التي كانت ستكون مستحقة لأهل النار إن آمنوا في الدنيا، وذلك زيادة في كرامة المتقين.

إذن فقد بينت كل من القراءتين ثواب المتقين باستحقاقهم للجنة، ولكن قراءة التشديد أضافت زيادة كرامة المتقين بحيث إنهم لا يستحقون الجنة ثواباً لأعمالهم فحسب بل يزيدهم الله من فضله بأن يتمتعهم بمنازل الكفار في الجنة. (3)

(1) انظر هذا المثال بتوسع (ص234 - 235).

(2) انظر: النشر (239/2).

(3) انظر هذا المثال بتوسع (ص292 - 294).

القسم الثاني: القراءات التي لها أثر غير مباشر في معنى الآية.

أولاً: القراءات التي أفادت التكثير أو المبالغة.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء].

قرأ أبو عمرو ويعقوب (ونُنزِّلُ) بتسكين النون وتخفيف الزاي. وقرأ الباقر (ونُنزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي. (1)

البيان:

قراءة (ونُنزِّلُ) بينت أن الله ﷻ ينزل القرآن على المؤمنين ليكون شفاءً لهم من كل داء، ورحمة بهم، وخسراناً للكافرين كذلك. وجاءت قراءة (ونُنزِّلُ) لتبين أن هذا التنزيل من الله ﷻ كثير ومتكرر كذلك، حتى يكون المؤمن على شفاء دائم واتصال مع الله. وبذلك قراءة التشديد أضافت معنى جديداً لقراءة التخفيف، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه. (2)

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَحَسْبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ [الكهف].

قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (وَلَمُلِئْتَ) بتشديد اللام الثانية. وقرأ الباقر (وَلَمُلِئْتَ) بتخفيف اللام. (3)

أما ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب فقد قرءوا (رُعباً) بضم العين. وقرأ الباقر (رُعباً) بإسكان العين. (4)

(2) انظر هذا المثال بتوسع (ص119-121).

(4) انظر: المرجع السابق (162/2)

(1) انظر: النشر (164/2).

(3) انظر: النشر (233/2).

البيان:

قراءة (وَلَمُنَّتْ) بالتخفيف؛ أفادت أن من يرى حال أصحاب الكهف يشعر بخوف شديد يملأ صدره. وجاءت قراءة (وَلَمُنَّتْ) بالتشديد؛ لتبين تكرير الفعل والدوام عليه.

فيكون المعنى أن من يرى أصحاب الكهف على هيئتهم، والمهابة التي ألقاها الله عليهم لابد وأن يملكه خوف شديد يملأ صدره، يشعره بذعر دائم. وبهذا وافقت قراءة (رُعْبًا) قراءة (وَلَمُنَّتْ) بالتشديد، في شدة الخوف الذي يصل إلى درجة الذعر الشديد مع استمرار الشعور به لما في توالي الضمة في حرفين متتاليين من كلمة واحدة من الثقل الذي يدل على ثقل الشعور.⁽¹⁾

المثال الثالث:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتْ أَمْرًا تِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ﴿٨﴾ مريم.

قرأ حفص وحمزة والكسائي (عِتِيًّا) بكسر العين. وقرأ الباقون (عِتِيًّا) بضم العين.⁽²⁾

البيان:

قراءة (عِتِيًّا) : بينت شدة تعجب زكريا عليه السلام من كيفية حدوث ما بُشِّر به، مع أنه قد وصل إلى درجة من الكبر والضعف مما يمنع في العادة من حدوث الإنجاب. وجاءت قراءة (عِتِيًّا) : لتفيد المبالغة في وصف حالته وعدم قدرته على الإنجاب إلى الغاية التي ما بعدها غاية، لما في ضم العين من إفادة المبالغة والثقل. وبهذا يتبين أن قراءة الكسر قد بينت الحالة التي وصف بها زكريا عليه السلام نفسه، وجاءت قراءة الضم لتزيد هذا الوصف مبالغة لتدل على مدى قدرة الله التي لا تتعلق بالأسباب.⁽³⁾

(1) انظر هذا المثال بتوسع (ص152 - 154).

(2) انظر: النشر (2/238).

(3) انظر هذا المثال بتوسع (ص261 - 262).

ثانياً: القراءات التصويرية:

ويُقصد بها الحالة التي عليها الموصوف في الآية، سواء أكانت نفسية أم جسدية أم غير ذلك.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (الإسراء).

قرأ ابن وردان بخُف عن أبي جعفر بضم التاء حالة وصل الملائكة باسجدوا، أما الوجه الثاني لابن وردان فهو الإشمام في كسرة التاء بضمها. وقرأ الباقر بكسر التاء كسرة خالصة.⁽¹⁾

البيان :

صورت قراءة الضم (للملائكة اسجدوا) أمر الله للملائكة بالسجود بأنه أمر عظيم وثقيل؛ لأن الملائكة أمروا بالسجود لمخلوق من مخلوقات الله، وعلى رغم ذلك استجابت الملائكة لهذا الأمر فوراً، ولكن إبليس ثقل عليه الأمر واستكبر، وتملكه الحسد والكبر فلم يستجب لأمر الله، واحتج بأنه خير من آدم من الناحية التكوينية، فناسب قراءة (الملائكة) بالضم ذكر الأمر الثقيل.

وصورت قراءة (للملائكة اسجدوا) سهولة انقياد الملائكة لأوامر الله دون سؤال أو استفسار، فناسب قراءة الكسر الطاعة المباشرة والفورية للملائكة دون أدنى تردد؛ ومما دل على ذلك قوله: (فسجدوا) فالفاء تفيد السرعة مع التعقيب والترتيب.

وبذلك يتبين أنه رغم عظم وثقل الأمر بالسجود إلا أن الملائكة امتثلوا فوراً لأمر الله طاعة له، وكان في هذا الأمر اختباراً وتمحيصاً لما في الصدور.⁽²⁾

(1) انظر: النشر (158/2).

(2) انظر هذا المثال بتوسع (ص104-106).

المثال الثاني:

قال تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٦٦﴾﴾ الكهف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (الصَّدْفَيْنِ) بضم الصاد والداد. وقرأ شعبة (الصَّدْفَيْنِ) بضم الصاد وإسكان الدال. أما الباقر فقرأوا (الصَّدْفَيْنِ) بفتح الصاد والداد. (1)

البيان:

الصدف: كل شيء مرتفع كالجبل. أو هو: جانب الجبل. والقراءات الثلاث لغات مشهورة في هذه الكلمة. ولكن الله عَلَّمَ لا يمكن أن يأتي بها إلا لحكمة ارتضاها، وربما تكون هذه الحكمة لبيان مدى إعجاز القرآن في إيجازه، وتصف هذه القراءات هذين الجبلين وصفاً دقيقاً على النحو التالي:

فقراءة (الصَّدْفَيْنِ) دالة على أن تقابلهما في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب وقراءة (الصَّدْفَيْنِ) دالة على أنه مع ذلك في غاية القوة حتى أن أعلاه وأسفله سواء، وقراءة (الصَّدْفَيْنِ) دالة على شدة ثبات وإتقان كل منهما، فلا ينتخر شيء منهما على الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين. والله أعلم. (2)

المثال الثالث:

قال تعالى: ﴿فَاجْأَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ مريم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (مِثُّ) بضم الميم. وقرأ الباقر (مِثُّ) بكسر الميم. (3)

(1) انظر: النشر (237/2).

(2) انظر هذا المثال بتوسع (ص238 - 241).

(3) انظر: النشر (182/2).

البيان:

جاءت قراءة (مِتُّ): لتصف الحالة النفسية التي مرت بها السيدة مريم حين جاءها المخاض فتمنت الموت، لما عرفت أن هذا المولود سيكون محل ابتلاء وامتحان لها. وتمنيها هذا كان مشوباً بالحزن والأسى، والاستحياء من الناس؛ لما تفيده الكسرة من الضعف الذي يوحى بالحزن والاستحياء. أما قراءة (مِتُّ) فجاءت لتصف حالتها النفسية والجسدية معاً؛ من شدة تمنيتها للموت مع شدة شعورها بالآلام المخاض؛ لما في الضم من ثقل وقوة. (1)

ثالثاً: القراءات التي دلت على بلاغة القرآن :

المقصود بذلك القراءات التي جاءت بأساليب متنوعة أفادت معاني لم تكن لتُدرك لولا تنوع الأساليب. أو القراءات التي تتعلق بالذكر والحذف. وغير ذلك.

المثال الأول: ويتعلق بأسلوب الالتفات.

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ (٦٨) أم أمنتم أن يُعيدكم فيه تارةً أُخرى فيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ (٦٩) الإسراء.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بنون العظمة في الأفعال الخمسة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، لأن سياق الآية من قبل في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ الإسراء {67} ، يقتضي الغيبة، فيقال: (أن يخسف) الخ، أي الله تعالى، ولكن التفت إلى التكلم على أنه إخبار من الله تعالى عن نفسه بتحذير الذين لا يلجئون إلى الله تعالى إلا في وقت الشدائد فقط، ويقول لهم: هذا المسلك لا يرضى عنه الله تعالى لأنه منهج وطريق المنافقين، أما المؤمنون فهم الذين يفزعون إلى الله تعالى ويلجئون إليه في جميع الأحوال، ولو ظل الأسلوب القرآني على الغيبة لما تحقق هذا المعنى البلاغي. (2)

(1) انظر هذا المثال بتوسع (ص266 - 268).

(2) القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد سالم محيسن (137/2-138).

وانظر هذا المثال بتوسع (ص111 - 114) من هذا البحث.

المثال الثاني: وهو يتعلق بالذكر والحذف.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّ عَلَيَّ آثَارِهِمَا قَصَصًا

الكهف .

قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر والكسائي (نبغي) بإثبات الياء وصلًا. وقرأ ابن كثير ويعقوب (نبغي) بإثبات الياء وصلًا ووقفًا. وقرأ الباقون (نبغ) بحذفها وصلًا ووقفًا تبعًا للرسم.(1)

قد تُحذف ياء المتكلم ويُجتزأ عنها بالكسرة، وذلك لا يكون إلا لغرض، فإنه قد تُذكر الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتُحذف و يُجتزأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار، وقد تُحذف لغرض آخر يقتضيه المقام إضافة إلى ذلك.(2) وتفصيل ذلك الآتي:

فقراءة (نبغي) بإثبات الياء: أفادت أن انطلاق الحوت في البحر هو ما يطلبه موسى عليه السلام ومن أجل ذلك قطع الرحلة الطويلة.

وجاءت قراءة (نبغ) بحذف الياء لتبين أن انطلاق الحوت في البحر ليس هو ما يبغيه موسى عليه السلام على وجه الحقيقة ؛ وإنما يبغي الشخص الذي يريد أن يتعلم منه وهو الخضر عليه السلام ، والموجود في ذلك المكان الذي انطلق فيه الحوت، والذي كان علامة لإيجاده.

ولولا مجيء هذه الكلمة على تينك القراءتين لما فهم هذا المعنى.(3)

(1) انظر: النشر (237/2).

(2) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: للدكتور فاضل السامرائي (ص24).

(3) انظر هذا المثال بتوسع (ص203-204).

رابعاً: قراءات أنتج تنوعها إظهاراً لإعجاز علمي في القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ الكهف.

قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة وأبو جعفر (وَتَحْسَبُهُمْ) بفتح السين. وقرأ الباقر (وَتَحْسَبُهُمْ) بكسر السين.(1)

البيان:

(تَحْسَبُهُمْ): من حَسِبَ يحسب، نحو : عِلِمٌ يَعْلَمُ. وهي لغة تميم.

(تَحْسَبُهُمْ): من حَسِبَ يحسب، نحو : ورث يرث. وهي لغة أهل الحجاز.(2)

وإنما يسمى الحساب في المعاملة حساباً لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيها زيادة على المقدار، ولا نقصان.(3) فعلى ذلك فالحساب يفيد اليقين، وكذلك فقراءة (تَحْسَبُهُمْ) تفيد اليقين لا الظن.

فقد أفادت قراءة (وَتَحْسَبُهُمْ): أن الرائي لأهل الكهف وما عليه حالهم من حركة وتقلب يظنهم أحياء وليسوا أمواتاً. وجاءت قراءة (وَتَحْسَبُهُمْ) لتفيد اليقين بحياة أصحاب الكهف.

وهذا اليقين يتحقق بفتح العين وغلقها بصورة دورية، فهذه العملية تحافظ على سلامة العين، فالله ﷻ الذي حافظ على أجسادهم وجلودهم من التلف بالتقلب المستمر مع التعرض المناسب لضوء الشمس، هو نفسه الذي حفظ عيونهم بهذه الطريقة العلمية من العمى، لأن إحدى علامات اليقظة هي حركة رمش أجفانهم، فهذا الوضع الغريب وغير المألوف حيال كونهم ليسوا موتى ولا بمستيقظين ولا بنائمين نومة طبيعية (لأن النائم لا ترمش عينه) هذه الهيئة جعلت الناظر إليهم يهرب فزعاً ويمتلئ قلبه رعباً من منظرهم.(4)

(1) انظر: النشر (178/2). والشامل في القراءات المتواترة للدكتور محمد حبش (ص217).

(2) انظر: الإتحاف (ص212) والمغني (1/296).

(3) انظر: تاج العروس (1/210).

(4) انظر هذا المثال بتوسع (ص151 - 154).

الفصل الأول

تفسير سورة الإسراء من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الإسراء .

المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات .

الفصل الأول

سورة الإسراء

مقدمة:

تعتبر سورة الإسراء من السور المكية التي تعنى بأمور العقيدة، وهي إحدى خمس سور متتالية (الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء) تشترك -بالإضافة إلى مكيتها- في قدم النزول، واشتمالها على القصص القرآني (1)، كما أنها إحدى ثلاث سور ستكون إن شاء الله موضوع بحثنا هذا، وهي من السور التي كانت موضع بحث كثير من العلماء لاحتوائها على ذكر معجزة من معجزات الرسول الكريم ﷺ ألا وهي معجزة الإسراء.

والموضوعات التي تحدثت عنها السورة كثيرة ومتنوعة، خاض فيها كثير من العلماء وهي ليست مجال البحث هنا، إنما مجال البحث سيكون: بيان القراءات المتواترة في السورة، وتفسير الآيات المتضمنة لها، وبيان وجه الإعجاز في اختلاف هذه القراءات، ولكن قبل البدء في ذلك لابد من تعريف عام بالسورة ليكون هناك تصور عام في الأذهان حول السورة عند الخوض في تفسير آيات القراءات مما يُشعر القارئ بالترابط بين الآيات مواضع القراءات، وبالتالي تصور عام لتفسير السورة .

(1) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي (ص98) .

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الإسراء

ويشتمل على :

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة النحل.
- فضل السورة.
- المحور الأساس للسورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الأول تعريف عام بالسورة

سورة الإسراء من السور المكية عند جمهور العلماء فقد اشتملت على خصائص السورة المكية، ومن ناحية أخرى ظهرت فيها صفات من خصائص السور المدنية وذلك لأنها من أواخر ما نزل بمكة، لذلك اعتبر بعض العلماء أنها تحتوي على آيات مدنية⁽¹⁾، واختلفوا في عدد هذه الآيات.⁽²⁾

فعدد أيها مائة وعشر في المصحف المدني والمكي والشامي والبصري، ومائة وإحدى عشرة في المصحف الكوفي،⁽³⁾ وعدد حروفها 6460 حرفاً، وعدد كلماتها 1533 كلمة.⁽⁴⁾ وقد تميزت آياتها بالطول النسبي، وذكرت فيها أحكام تشريعية متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام، وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ لذلك تعتبر هذه السورة ممهدة للعهد المدني أو هي مما يشبه المدني وهو مكّي.⁽⁵⁾

أسماء السورة ووجه التسمية:

1. سميت في عهد الصحابة (سورة بني إسرائيل)، أما وجه تسميتها به فهو أنه ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها؛ وهو استيلاء قوم أولي بأس شديد (الآشوريين) عليهم ثم استيلاء قوم آخرين وهم (الروم) عليهم، وقد ترجم لهذه التسمية البخاري في صحيحه في كتاب التفسير⁽⁶⁾، والترمذي في سننه في أبواب التفسير⁽⁷⁾.⁽⁸⁾

-
- (1) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : د. عبد الله شحادة (191/1).
- (2) انظر هذه الآيات واختلاف العلماء فيها في: تفسير التحرير والتنوير { مجلد 7 (6/15) }، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي (2/15).
- (3) انظر: التحرير والتنوير { مجلد 7 (7/15) }.
- (4) انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للقمي النيسابوري { مجلد 8 (2/15) } هامش تفسير الطبري .
- (5) انظر: التحرير والتنوير { مجلد 7 (6/15) }، أهداف كل سورة ومقاصدها (191/1).
- (6) انظر: فتح الباري (388/8)، كتاب التفسير، الباب السابع عشر؛ فقد عنوانه بقوله: سورة بني إسرائيل، ثم أورد الأحاديث الخاصة بالسورة.
- (7) فقد عَوَّنَ الترمذي الباب الثامن عشر من أبواب كتاب التفسير بقوله: باب (ومن سورة بني إسرائيل) ثم أورد الأحاديث الواردة في تفسير السورة. { انظر: سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي (300/5)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل }.
- (8) انظر: التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 5).

2. وتسمى أيضاً (سورة سبحان)، وذلك لأنها افتتحت بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

3. وسميت (سورة الإسراء) لأنها تصدرت الحديث عن حادثة الإسراء.

سبب نزولها:

لم تذكر كتب التفسير سبباً لنزول هذه السورة وإن ذكرت سبباً لنزول بعض الآيات فيها، ولا يعني افتتاحها بذكر الإسراء اقتضاء أنها نزلت عقب وقوع حادثة الإسراء حيث رجح العلماء وقوع الحادثة قبل الهجرة بنحو سنة وخمسة أشهر، بل يجوز أنها نزلت بعد الإسراء بمدة، ونزولها كان بعد نزول سورة القصص وقبل سورة يونس، وعُدت السورة الخمسين في تعداد نزول سور القرآن، (1) أما في ترتيب المصحف؛ فقد تقدمتها سورة النحل وتلتها سورة الكهف.

مناسبتها لسورة النحل:

أما مناسبتها لما قبلها من سور القرآن فيذكر السيوطي وجه اتصال سورة الإسراء بسورة النحل التي تسبقها؛ وهو أنه سبحانه لما قال في آخرها ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ذكر في هذه شريعة أهل السبت التي شرعها سبحانه لهم في التوراة، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل". (2)

وذكر في سورة النحل من النعم ما سميت لأجله سورة النعم، فقد ذكر في سورة الإسراء نعماً خاصة ونعماً عامة، وذكر سبحانه في النحل ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ وذكر في الإسراء ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذكر سبحانه في النحل أمره بإيتاء ذي القربى، وأمر في الإسراء بذلك مع زيادة في قوله سبحانه: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ (3)

(1) انظر: التحرير والتنوير (مجلد 7 ص 15 ج 7).

(2) انظر: تفسير الطبري (مجلد 8 ص 126) فقد أخرج الحديث عند تفسيره للآية (111) من سورة الإسراء. ولم أجد الحديث ولا الحكم عليه في أي من كتب الحديث.

(3) انظر: روح المعاني (3-2/15).

فضل السورة:

لقد وردت في فضل سورة الإسراء أحاديث كثيرة نذكر منها:

حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمير (1) وما روي عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: " إنهن من العتاق (2) الأول وهن من تلادي (3) ". (4)

المحور الأساس للسورة:

كان المحور الأساس لهذه السورة هو إثبات نبوة محمد ﷺ، وإثبات أن القرآن وحي من الله وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه ، وذكر أنه معجز ، ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به.

أغراض السورة:

تعددت أغراض السورة على النحو التالي:

1. إثبات معجزة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس.
2. بيان تاريخ بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض وعقوبة الله لهم.
3. الآداب التي يجب على المسلمين أن يتحلوا بها حتى تظل رابطتهم قوية متماسكة.
4. إثبات دلائل تفرد الله بالألوهية.
5. التذكير بنعم الله على الناس وما تقتضيه من شكر المنعم وتنزيهه عن اتخاذ بنات له.
6. إظهار فضائل من شريعة الإسلام وحكمته وما علمه الله للمسلمين من آداب المعاملة نحو ربهم سبحانه ونحو بعضهم البعض ومراقبة الله لهم في سرهم وجهرهم.
7. إثبات البعث والجزاء.
8. التحذير من الشيطان وعداوته لأدم وذريته.

(1) أخرجه أحمد في مسنده (189/6) حديث رقم (25597) ، وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. { انظر: مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (272/2) }.

(2) العتاق: جمع عتيق ، والعتيق: القديم، وأراد بالعتاق الأول: أنها من أول ما تعلمه من القرآن. {انظر: اللسان(279/4) مادة: عتق.

(3) تلادي: التالذ: هو القديم. أي : من قديم ما أخذت من القرآن. {انظر: اللسان(439/1) مادة: تلذ.

(4) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب سورة بني إسرائيل ، حديث رقم (4708). {انظر: فتح الباري(388/8)}.

9. تخويف البشر من عذاب الله وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان وما ينتظر الطائعين والعصاة يوم القيامة.
10. ذكر ما عرض للأمم من أسباب الاستئصال والهلاك من باب تهديد المشركين بحلول الهلاك بهم الذي حل بالقرى من قبلهم حين أخرجت رسلها أو قتلتهم.
11. بيان إعجاز القرآن واستحالة أن يأتي البشر بمثله.
12. بيان أن الرسول مبلغ عن ربه ولا يملك من الأمر شيئاً إلا بقدره الله وإرادته.
13. بيان الحكمة من إنزال القرآن منجماً. (1)

الموضوعات التي تناولتها السورة:

الآيات من (1-23): بدأت السورة بالحديث عن الإسراء، مع الكشف عن حكمة الإسراء بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، وفي خلال هذا الحديث تستطرد إلى ذكر بني إسرائيل، والحديث عن ماضيهم وفسادهم في الأرض وعقوبة الله لهم، وفي هذا تهديد لكفار مكة ولكل خارج عن نطاق الإيمان.

الآيات من (23-39): تحدثت عن مكارم الأخلاق المرتبطة بقاعدة التوحيد.

الآيات من (39-59): تحدثت عن أوهام المشركين حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وتحدثت عن البعث واستبعاد الكافرين لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن وتقولاتهم على الرسول ﷺ.

الآيات من (59-72): تبين لماذا لم يرسل الله محمداً ﷺ بالخوارق؛ فقد كذب بها الأولون فحق عليهم الهلاك اتباعاً لسنة الله، كما تناولت الحديث عن الإسراء وأن الله جعله امتحاناً للناس. ويجيء في هذا السياق: قصة إبليس وإعلانه الحرب على ذرية آدم، ويعقب عليه بتخويف البشر من عذاب الله وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان وتمييزه على جميع المخلوقات وتسخير الكون له ، وما ينتظر الطائعين والعصاة يوم القيامة.

(1) انظر في محور السورة وأغراضها: أهداف كل سورة ومقاصدها (197/1-198)، في ظلال القرآن: سيد قطب {مجلد4(15/2209-2210)}، التحرير والتنوير (15/7-9).

الآيات من (73-88): تستعرض كيد المشركين للرسول ﷺ، ومحاولتهم فتنته، وأمر للرسول بأن يمضي في طريقه ولا يعبا بهم فإن في القرآن الذي أرادوا فتنه الرسول عن بعضه شفاء ورحمة للمؤمنين.

الآيات من (88-111): تتحدث عن القرآن وإعجازه، وطلبات الكفار من الرسول بالإتيان بالخوارق المادية ليؤمنوا به ويصدقوه، وتبين الآيات أنه طلب معاندة ومكابرة لا طلب من أجل هدى أو اقتناع، ويرد الله على هذا كله بأنه خارج عن وظيفة الرسول وطبيعة الرسالة، فالرسول بشر يوحى إليه وهو مبلغ عن ربه وليس إليها يتحكم في الكون، ويذكرهم بجحد فرعون لموسى رغم معجزاته المادية فكانت العاقبة بغرق فرعون ومن معه.

وكما بدأت السورة بتتزيه الله وتسيبحة بقوله سبحانه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، اختتمت بحمد الله وتتزيهه عن الولد والشريك في الملك بقوله سبحانه ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَّلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾. (1)

فيلخص هذا الختام محور السورة الذي دارت عليه والذي بدأت ثم ختمت به. (2)

(1) انظر: الظلال (2210-2208/15)، أهداف كل سورة ومقاصدها (191/1-197)، صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني

(132/2).

(2) الظلال (2254/15).

المبحث الثاني

معرض وتفسير آيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات

في هذا المبحث من سورة الإسراء، وفي المبحث الثاني من سورتي: الكهف ومريم، سيتم تناول تفسير الآيات مواضع القراءات والتي لها علاقة بالمعاني فقط بالقراءات القرآنية العشر. وفق المنهج التالي:

- كتابة الآية القرآنية مدار البحث كاملة برواية حفص عن عاصم.
- بيان القراءات في الآية.
- بيان المعنى اللغوي للقراءات.
- تفسير الآية كاملة.
- بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات والجمع بين القراءات إن أمكن الجمع.

المبحث الثاني

تفسير الآيات مواضع القراءات

1- قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ
أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ أبو عمرو (أَلَّا يَتَّخِذُوا) بالغيب.
2. قرأ الباقون (أَلَّا تَتَّخِذُوا) بالخطاب. على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. (2)

البيان:

من قرأ ﴿ أَلَّا يَتَّخِذُوا ﴾ على الغيب ؛ على اعتبار أن الفعل قرب من الخبر عن بني إسرائيل، فجعل الفعل مسنداً إليهم ، إذ قال ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، والمعنى: جعلناه هدى لبني إسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا. (2)

أما من قرأ (أَلَّا تَتَّخِذُوا) على الخطاب فعلى اعتبار:

1. أن تكون (أَنْ) ناصبة للفعل، فيكون المعنى: وجعلناه هدى كراهة أن تتخذوا من دوني وكيلا، أو لئلا تتخذوا من دوني وكيلا.
2. أن تكون بمعنى (أي)، لأنه بعد كلام ناهٍ، فيكون التقدير: أي لا تتخذوا.
3. أن تكون (أَنْ) زائدة(3) وتضم القول فيكون التقدير: وجعلناه هدى لبني إسرائيل فقلنا لا تتخذوا من دوني وكيلا. (4)

(1) انظر: النشر (229/2) .

والالتفات هو: التعبير عن معنى بأسلوب التكلم أو الخطاب أو الغيبة، وذلك بعد التعبير عن المعنى بأسلوب آخر. { الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ص157) }.

(2) انظر: حجة القراءات : أبو زرعة ابن زنجلة (ص 396)

(3) الأصل ألا تُستعمل كلمة (زائدة) بل تُستعمل كلمة (صلة)؛ لأنه لا زيادة في القرآن.

(4) انظر: الحجة للقراء السبعة : أبو علي الفارسي (84/5).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن كتاب موسى عليه السلام الذي أرسله رب العالمين هداية لبني إسرائيل؛ بما احتوى عليه هذا الكتاب من التحذير الشديد لهم من اتخاذ شريك لله يلجئون إليه ويكلمون إليه أمورهم.

يقول ابن كثير: " لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم ، عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً؛ فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام، وبين ذكر التوراة والقرآن، ولهذا قال بعد ذكر الإسراء: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾، يعني: التوراة ﴿وجعلناه﴾ أي: الكتاب ﴿هدى﴾ أي: هادياً ﴿لبني إسرائيل ألا تتخذوا﴾ أي: لئلا تتخذوا، ﴿من دوني وكيلاً﴾ أي: ولياً ولا نصيراً ولا معبوداً دوني؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له " . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت القراءة على الغيب أن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام هداية لبني إسرائيل لئلا يتخذوا رباً من دون الله يفوضون إليه أمورهم.

قال أبو السعود: " وقرئ بالياء على أن (أن) مصدرية والمعنى: آتينا موسى الكتاب لهداية بني إسرائيل لئلا يتخذوا ﴿من دوني وكيلاً﴾ أي رباً تكلون إليه أموركم " . (2)

وأفادت القراءة على الخطاب: أن الله سبحانه أنزل التوراة على موسى عليه السلام ليكون هداية لهم كراهة أن يتخذوا من دونه وكيلاً، فنهاهم عن ذلك بالنواهي التي وردت في الكتاب فقال لهم لا تتخذوا من دوني وكيلاً.

يقول ابن عاشور: " وقرأ الجمهور ﴿ألا تتخذوا﴾ - بقاء الخطاب - على الأصل حكاية ما يحكى من الأقوال المتضمنة نهياً، فتكون (أن) تفسيرية لما تضمنه لفظ (الكتاب) من معنى الأقوال، ويكون التفسير لبعض ما تضمنه الكتاب اقتصاراً على الأهم منه وهو التوحيد " . (3)

يقول د. محمد سالم محيسن: قوله تعالى ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى الخطاب لنكتة بلاغية، وهي نهى المخاطبين عن اتخاذ

(1) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): الحافظ ابن كثير (47/5).

(2) تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود محمد بن محمد العمادي (204/3).

(3) التحرير والتنوير: مجلد 7 (25/15)

وكيل أو معين من دون الله تعالى... والمعنى: وقلنا لهم: لا تتخذوا وكيلاً من دوني. (1)

الجمع بين القراءتين:

يتبين من الجمع بين القراءتين أن الله سبحانه قد نص على القصد من إيتاء موسى الكتاب وهو الهداية ، فنهى بني إسرائيل من خلال نصوص التوراة أن يتخذوا رباً يعتمدون عليه ويكلون إليه أمورهم من دونه قائلين لهم : لا تتخذوا من دوني وكيلاً لئلا يفعلوا ذلك.

2- قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ

وَعَدُ الْآخِرَةِ لَيْسْتُمْ أَجْرًا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ

مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧٠﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر (لَيْسُوْءَ) بالياء ونصب الهمزة على لفظ الواحد.
2. قرأ الكسائي (لَنْسُوْءَ) بالنون ونصب الهمزة على لفظ الجمع للمتكلمين.
3. قرأ الباقون (لَيْسُوْءُوْا) بالياء وضم الهمزة وبعدها واو الجمع. (2)

اللغة والبيان:

السُّوء: كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية، ومن الأحوال النفسية، والبدنية، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم. (3) وليسوءوا وجوهكم: ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها. (4) وخصَّ الوجه؛ لأن الوجه هو السمة المعبرة عن نوازع النفس الإنسانية، وعليه تبدو الانفعالات والمشاعر، وهو أشرف ما في المرء، وإساءته أبلغ أنواع الإساءة. (5)

(1) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد سالم محيسن (115/2).

(2) انظر: النشر (229/2).

(3) معجم مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني (ص276)، مادة: سوا.

(4) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم الزمخشري (4/3) .

(5) تفسير الشعراوي (8363/14).

التفسير:

الآية الكريمة تُذَكِّرُ بني إسرائيل بأثر الإحسان والإساءة عليهم.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة: إن أحسنتم يا بني إسرائيل فأطعتم الله وأصلحتم أمركم والتزمت أمره ونهيه ﴿أحسنتم﴾ وفعلتم ما فعلتم من ذلك لأنفسكم؛ لأنكم إنما تنفعون بفعلكم ما تفعلون من ذلك ﴿لأنفسكم﴾ في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءاً، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوتكم.

وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جناته، ﴿وإن أسأتم﴾ يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ فإلى أنفسكم تسيئون؛ لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم ويؤمن منكم من بغاكم سوءاً، ويخلكم في الآخرة في العذاب المهين، وقال جل ثناؤه ﴿وإن أسأتم فلها﴾، والمعنى فإليها". (1)

واستكمالاً لهذه القاعدة تحدث عن الوعد المفعول الذي قضاه في التوراة من إفسادهم الثاني في الأرض؛ وذلك بقتلهم يحيى وزكريا عليهما السلام وأثر هذا الإفساد عليهم، بأن سلط الله عليهم من نكل بهم، واستباح مقدساتهم، وأصاب ديارهم بالدمار الشامل.

يقول النسفي: "﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد المرة الآخرة بعثناهم ﴿ليسوعوا﴾ أي هؤلاء ﴿وجوهكم﴾، وحذف لدلالة ذكره أولاً عليه، أي ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها، كقوله ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾، قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر (ليسوعوا)، الضمير لله عز وجل، أو للوعد، أو للبعث، وقرأ الكسائي (لنسوعوا)، ﴿وليدخلوا المسجد﴾ بيت المقدس ﴿كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾ ما علوا مفعول ليتبروا، أي: ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم". (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليسوعوا) أن الذين يسوعون وجوه بني إسرائيل هم العباد أولي البأس الشديد، وهذا تحقيق لقول الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ البقرة {251}.

(1) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 24).

(2) انظر: تفسير النسفي: أبو البركات النسفي (237/2).

قال الطبري: " فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿ليسوعوا وجوهكم﴾ بمعنى: ليسوع العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم ، واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله: ﴿وليدخلوا المسجد﴾، وقالوا: ذلك خبر عن الجميع، فكذاك الواجب أن يكون قوله ليسوعوا " . (1)

وأفادت قراءة (ليسوع) أن الفاعل هو الله، أي: ليسوع الله وجوهكم، وعليه يكون هناك التفات من التكلم إلى الغيبة، أو أن يكون للوعد، أي: ليسوع الوعد وجوهكم. وعليه لا يكون في الآية التفات. (2)

قال القرطبي: " وقرأ أبو بكر (3) والأعمش (4) وابن وثاب (5) وحمزة وابن عامر (ليسوع) بالياء على التوحيد وفتح الهمزة، ولها وجهان: أحدهما: ليسوع الله وجوهكم، والثاني: ليسوع الوعد وجوهكم " . (6)

وأفادت قراءة (لنسوع) على وجه إخبار الله عن نفسه وما في ذلك من بيان لشدة العذاب الواقع على بني إسرائيل مقابل شدة العصيان لله تعالى، لذلك جاء بنون العظمة التي تدل على الغلبة والعزة.

الجمع بين القراءات :

يتبين بالجمع بين القراءات أن الفاعل لذلك في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، وأن إساءة وجوه بني إسرائيل بالوعد هو إنفاذ لهذا الوعد، وأن العباد أولي البأس هم المنفذون لهذا الوعد وفعلوه بقوة الله عز وجل وتمكينه لهم تحقيقاً لعزته وغلبيته سبحانه.

ويمكن حمل القراءات على معنى واحد؛ وذلك أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، والعباد هم ستار لقدرة الله تعالى يعذب بهم من شاء من عباده، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ {الأعراف:167}.

(1) تفسير الطبري: { مجلد8 (24/15-25) }.

(2) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (875/2).

(3) هو: شعبة بن عياش. وقد سبق الترجمة له (ص31).

(4) هو: سليمان بن مهران. وقد سبق الترجمة له (ص23).

(5) هو: يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القارئ العابد، أحد الأعلام، مولى بني أسد، روى عن ابن عباس وابن عمر-رضي الله عنهم- وعن أبي عبد الرحمن السلمى، وأبي عمرو الشيباني، وغيرهم، وقرأ على بعضهم، قال أحمد بن عبد الله العجلي: تابعي ثقة مقرئ الكوفة، توفي سنة ثلاث ومائة. {انظر: معرفة القراء الكبار ص(33) } .

(6) تفسير القرطبي { مجلد5(562/15) }.

3- قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي (وَيَبْشُرُ) بفتح الياء وضم الشين من البشر وهو البشرى والبشارة.

2. قرأ الباقون (وَيُبْشِرُ) بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من (بشّر) المضعف على التثنية⁽¹⁾

اللغة والبيان :

قال الزجاج⁽²⁾: " معنى (يَبْشُرُكَ) يسرك ، ويفرحك ، وبَشَرْتُ الرجل أَبْشَرُهُ إذا أفرحته

وَبَشِرْتُ يَبْشِرُ إذا فرح . قال : ومعنى يَبْشُرُكَ و يَبْشِرُكَ من البشارة . (3)

قال الفراء⁽⁴⁾: "كأن المشدد منه على بشارات البشراء، وكأن المخفف من وجه الإفراح

والسرور."⁽⁵⁾

التخفيف لغة تهامة، وهو فعل مضارع من (بشّر) بتخفيف العين، يقال: (بشره يبشره

بشراً)، والتشديد لغة أهل الحجاز، وهو فعل مضارع من (بشّر) مضعف العين، يقال: (بشّره

يبشّره تبشيراً).

جاء في المفردات: (أبشرت الرجل) و بَشَرْتُهُ و بَشَرْتُهُ: أخبرته بسارٍ بسط بشرة وجهه،

وذلك أن النفس إذا سرّت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر. وبين هذه الألفاظ فروق، فإن

(بشّرتَه) بتخفيف الشين: "عام"، و(أبشرتَه) نحو: (أحمدته) و (بشّرتَه) بتشديد الشين: على التثنية⁽⁶⁾

(1) انظر: النشر (180/2).

(2) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين، صنف كتاباً في معاني

القرآن، أخذ الأدب عن المبرد وثلعب، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه توفي سنة 311هـ. { انظر: طبقات

المفسرين للدواودي (1/ 7-10) / وفيات الأعيان (1/ 49-50) / البلغة (1/ 49) / أبجد العلوم (3/ 43) }.

(3) لسان العرب (1/ 288) مادة: بشر .

(4) هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي من أجل أصحاب الكسائي، كان رأساً في النحو واللغة قيل لولاه لما كانت

عريبه لأنه هذبها وضبطها. توفي 207هـ. { انظر: شذرات الذهب (1/ 19) }.

(5) اللسان (1/ 287).

(6) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: د. محمد سالم محيسن (1/ 332-333) .

التفسير :

تتحدث الآية الكريمة عن أن القرآن الكريم هو مصدر الهداية للناس جميعاً .

يقول الشنقيطي : " ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن هذا القرآن العظيم هو أعظم الكتب السماوية ، وأجمعها لجميع العلوم ، وآخرها عهداً برب العالمين -جل وعلا - يهدي للتي هي أقوم . أي الطريقة التي هي أسدّ وأعدل وأصوب .

وقال الزجاج والكلبي⁽¹⁾ والفراء: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله".⁽²⁾

كما تحدثت الآية الكريمة عن أن القرآن هو مصدر التبشير للمؤمنين الذين يتبعون منهجه بالخير عاجلاً وآجلاً. يقول القاسمي : " أي يبشر المخلصين في إيمانهم، وهم الذين يعملون الصالحات كلها، ويجتنبون السيئات ؛ أن لهم في الدنيا والآخرة ثواباً وافراً ."⁽³⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين :

أفادت قراءة التخفيف أن القرآن بشر المؤمنين الذين استجابوا لأوامر الله وعملوا بها بالثواب في الدنيا والآخرة ، وقد ظهرت آثار هذه البشرية على وجوههم فبان السرور عليها، فكانت لإدخال الفرح والسرور عليهم ، ولم يبين عظم هذه البشارة. وأفادت قراءة التشديد أن هذه البشرية ثواب عظيم في الدنيا والآخرة ، مستمر ومتجدد ويزداد بزيادة العمل الصالح .

الجمع بين القراءتين :

بالجمع بين القراءتين يتبين أن القرآن يبشر المؤمنين بالثواب ليدخل السرور عليهم؛ فتنفعل نفوسهم تجاه هذه البشارة، فتنبسط بشرة وجوههم، ومن جانب آخر يحثهم على مزيد من العمل الصالح حتى يزداد هذا الثواب بزيادة العمل ، فيحصلوا في النهاية على ثواب كثير وافر من فضل الله وكرمه .

(1) هو: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة، ألف الكثير من الكتب في فنون شتى، منها كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. توفي شهيدا 741هـ. { انظر: الديباج المذهب(1/295-296) } .
(2) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (2/218) .
(3) تفسير القاسمي المسمى(محاسن التأويل) : محمد جمال الدين القاسمي (10/3907).

4- قال تعالى: ﴿ وَكُلِّ انْسِنِ اَلْزَمْنَهُ طَبْرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ (الإسراء).

القراءات في (وَنُخْرِجُ لَهُ):

1. قرأ أبو جعفر (وَيُخْرِجُ) بالياء وضمها وفتح الراء.
2. قرأ يعقوب (وَيُخْرِجُ) بالياء وفتحها وضم الراء.
3. قرأ الباقر (وَنُخْرِجُ) بالنون وضمها وكسر الراء.

القراءات في (يَلْقَاهُ):

1. قرأ أبو جعفر وابن عامر (يُلْقَاهُ) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف.
2. قرأ الباقر (يَلْقَاهُ) بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف.⁽¹⁾

البيان:

وَيُخْرِجُ: بفتح الياء وضم الراء على معنى ويخرج له الطائر كتاباً فكتاباً منصوب على الحال، ويحتمل أن يكون المعنى: ويخرج الطائر فيصير كتاباً.
وَيُخْرِجُ: بضم الياء وفتح الراء، على الفعل المجهول، ومعناه، ويُخرج له الطائر كتاباً.
وَنُخْرِجُ: بنون مضمومة وكسر الراء، أي ونحن نخرج، احتج أبو عمرو في هذه القراءة بقوله (الزمناه).

يُلْقَاهُ: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، بمعنى يؤتاه، الباقر بفتح الياء خفيفة أي يراه منشوراً.⁽²⁾

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عما قدر الله على ابن آدم أنه عامله، وما هو صائر إليه من شقاء أو سعادة ، وإحصائه لهذا العمل، وأنه محفوظ عليه قليله وكثيره ، ويكتب عليه في ليله ونهاره من أول عمره إلى آخره ، وأن هذا العمل يجمع له في كتاب يُعطاه يوم القيامة مفتوحاً فيه حسناته وسيئاته، فيرى عمله مكشوفاً لا يملك إخفاءه أو تجاهله.

(1) انظر: النشر (230/2).

(2) انظر: تفسير القرطبي (مجلد 5 ج 567/10-568) باختصار.

قال الطبري: "وكل إنسان منكم يا معشر بني آدم ألزمناه نحسه وسعده وشقاءه وسعادته بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه وعامل من الخير والشر في عنقه فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتاباً يصادفه منشوراً بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف في الدنيا". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُخْرَجُ و يَخْرَجُ) أن العمل الذي عمله الإنسان في الدنيا يخرج على هيئة كتاب في الآخرة.

يقول الطبري: "وكان من قرأ هذه القراءة وجه تأويل الكلام إلى: ويخرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة فيصير كتاباً يقرؤه منشوراً، وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ويخرج له) بضم الياء على مذهب ما لم يسم فاعله وكأنه وجه معنى الكلام إلى: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً، يريد ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتاباً إلا أنه نحاه نحو ما لم يسم فاعله". (2)

وأفادت قراءة (نخرج) أن الله سبحانه هو الذي يخرج عمل الإنسان على هيئة كتاب منشور يقرؤه الإنسان يوم القيامة. يقول القرطبي: "«ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشوراً» يعني كتاب طائره الذي في عنقه". (3)

وأفادت قراءة (يُلْقَاهُ) أن الملائكة تتلقى الإنسان بكتابه الذي فيه عمله. يقول الشنقيطي: "وعلى قراءة من قرأ (يُلْقَاهُ) بضم الياء وتشديد القاف مبنيًا للمفعول فالمعنى: أن الله يلقيه ذلك الكتاب يوم القيامة". (4)

ويقول ابن زنجلة (5): "جعل الفعل لغير الإنسان أي: الملائكة تتلقاه بكتابه الذي فيه نسخة عمله، وهو من قولك (لقيتُ الكتاب)، فإذا ضعفت قلت: (لقانيه زيد)، ويقوي ذلك قوله: «ولقاهم نضرة» (6)

(1) و (2) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 40).

(3) تفسير القرطبي (مجلد 5 ج 10 ص 567).

(4) تفسير أضواء البيان (247/2).

(5) هو: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ، أبو زرعة فقيه مالكي، ترك مؤلفات عدة أشهرها: حجة القراءات. { انظر: مقدمة تحقيق كتاب الحجة - تحقيق: سعيد الأفغاني (ص 25) }.

(6) حجة القراءات (ص 398).

أما قراءة (يلقاه) فأفادت أن الإنسان هو الذي يلقى كتابه.
يقول ابن عاشور: " ومعنى (يلقاه) يجده، استعير فعل (يلقى) لمعنى يجد ، تشبيهاً
لوجدان النسبية بقاء الشخص، والنشر كناية عن سرعة اطلاعه على جميع ما عمله بحيث إن
الكتاب يحضر من قبل وصول صاحبه مفتوحاً للمطالعة. (1)

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات أن الله سبحانه يقدر على ابن آدم عمله ويحصيه عليه في
كتاب له يخرج له يوم القيامة، فتحمله الملائكة ، وتستقبل ابن آدم به، فيجده الإنسان أمامه
مفتوحاً وقد أحصى عليه جميع أعماله التي عملها في الدنيا، فيقرؤه أمام الخلائق.

5- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا

فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء).

القراءات:

1. قرأ يعقوب (أَمْرًا) بمد الهمزة.

2. قرأ الباقر (أَمْرًا) بقصرها. (2)

المعنى اللغوي للقراءتين:

أمرنا: من الأمر الذي هو ضد النهي: وله وجهان:

1. أمرناهم بالطاعة ففسقوا فحق عليهم العذاب، وهو كقولك: أمرتك فعصيتي، ومنه يعلم

أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الفسق: الخروج عن أمر الله.

2. بمعنى كثرنا: يقال أمرهم الله وأمرهم، أي: كثرهم، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "خيرُ

المال ، مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ (3)، أو سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ (4)" (5)

(1) تفسير التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 48).

(2) انظر: النشر (230/2)

(3) أي: نتوج ولوؤد. {انظر: اللسان (126/1)}.

(4) السكة: الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة: المُلقحة. {انظر: اللسان (5/1)} أراد خير المال نتاج أو زرع.

(5) أخرجه أحمد في مسنده (468/3) عن سويد بن هبيرة . وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد

تقات. {انظر: مجمع الزوائد (258/5)}.

ويقال: أمر بنو فلان يأمرُون، إذا كثروا، أمرنا بالمد فلا معنى له إلا أكثرنا، أمر الله ماله فأمر يأمرُ. وقوله: "أمرنا مترفيها" يصلح أن يكون في شيئين: أحدهما: كثرة عدد المترفين، والآخر: كثير حُرُوثهم وأموالهم. (1)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن سبب وجوب هلاك الأقسام، وكيفية خلق الله للأسباب التي توجب هذا الإهلاك؛ من أمر لأكابر القوم بالطاعة بعد إترافهم، فيقابلوا ذلك بالخروج عن الطاعة.

يقول الصابوني: "﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ أي: وإذا أردنا هلاك قوم من الأقسام، أمرنا المتتعمين فيها والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا، فعصوا أمرنا وخرجوا عن طاعتنا، وفسقوا وفجروا ﴿فحق عليهم القول فدمرناهم تدميراً﴾ أي: فوجب عليهم العذاب بالفسق والطغيان، فأهلكناهم إهلاكاً مريعاً". (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين :

أفادت قراءة الجمهور (أمرنا) أن الله أمر أكابر القوم بالطاعة بعد أن صب عليهم ما أبطروهم، فكثرت أموالهم وأولادهم، فخرجوا عن أمره فحق عليهم الإهلاك والاستئصال.

يقول أبو السعود: " إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح منا قبل البعثة، أو بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب؛ أعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنواً تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين، ﴿أمرنا﴾ بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها ﴿مترفيها﴾ متتعميها وجباريها وملوكها، خصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل؛ لأنهم الأصول في الخطاب والباقي أتباع لهم، ولأن توجه الأمر إليهم أكد وعدم التعرض للمأمور به، إما لظهور أن المراد به الحق والخير لأن الله لا يأمر بالفحشاء ولا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي إليه، وإما لأن المراد وجد منا الأمر كما يقال: فلان يعطي ويمنع ﴿فسقوا فيها﴾ أي: خرجوا عن الطاعة وتمردوا ﴿فحق عليها القول﴾ أي ثبت وتحقق موجبه بحلول العذاب أثر ما ظهر منهم من الفسق والطغيان ﴿فدمرناها﴾ بتدمير أهلها ﴿تدميراً﴾ لا يكتفه كنهه ولا يوصف، هذا هو المناسب لما سبق، وقيل الأمر مجاز عن الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطروهم، وأفضى بهم إلى

(1) انظر: معاني القراءات: أبو منصور الأزهرى (254).

(2) صفة التفسير: للصابوني (136/2).

الفسوق، وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت الشيء فأمر، أي كثرته فكثير، وفي الحديث (خير المال سكة مأبورة، أو مهرة مأمورة) أي كثيرة النواج ، ويعضده قراءة أمرنا. (1)

وأفادت قراءة يعقوب (أمرنا) بأن الله تعالى كثر عدد المترفين وزاد في إترافهم استدراجاً للإهلاك بسبب فسوقهم وخروجهم عن طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ { الأنعام: 44 } يقول الفخر الرازي: "وروي برواية غير مشهورة عن نافع وابن عباس : (أمرنا) بالمد، وعن أبي عمرو (أمرنا) بالتشديد، فالمد على التكثير، يقال أمر القوم بكسر الميم إذا كثروا، وأمرهم الله بالمد، أي كثرهم الله." (2)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءات أنه إذا جاء وقت إهلاك قرية فلا بد من استحقاقها للإهلاك، وذلك بسبب الفسق والخروج عن طاعة الله، لذلك يأمر الله من في القرية وساداتها بالطاعة ليكون في ذلك حجة عليهم ، وبسبب استمرارهم في الفسق يكثر عددهم ، ويزيد في نعمتهم استدراجاً لهم حتى يحق عليها العذاب.

6- قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ {الإسراء.}

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (يَبُلُغَنَّ) بألف مطولة بعد الغين وكسر النون على التنثية.
2. قرأ الباقون (يَبُلُغَنَّ) بغير ألف وفتح النون على التوحيد.
3. قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (أُفٍّ) بفتح الفاء من غير تنوين.
4. قرأ نافع وحفص وأبو جعفر (أُفٍّ) بكسر الفاء مع التنوين.
5. قرأ الباقون (أُفٍّ) بكسر الفاء من غير تنوين. (3)

(1) تفسير أبي السعود (209/3)

(2) التفسير الكبير، المعروف بـ(مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي (مجلد 9 ج 20 ص 178).

(3) انظر: النشر (230/2).

اللغة والبيان:

(إما يبلغان) على الاثنتين لتقدم ذكر الوالدين في قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾
فيكون (أحدهما) بدلا من الضمير في (يبلغان) أو يرتفع بفعل مجدد تقديره: إما يبلغان عندك
الكبر يبلغه أحدهما أو كلاهما.
(إما يبلغن) على واحد لأن الفعل إذا تقدم لم يثن ولم يجمع، ويرتفع (أحدهما) بفعله
وهو (يبلغن).

(أف) كلمة تضجر، " قال الزجاج: (أف) غير متمكن بمنزلة الأصوات، فإذا لم ينون فهو
معرفة، وإذا نون فهو نكرة بمنزلة (غاقٍ وعاقٍ) في الصوت، وهذه الكلمة يكنى بها عن الكلام
القبیح لأن الأف وسخ الأظفار، والتف الشيء الحقير. " (1)
قال القتيبي (2): "أصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد نفخت فيه لتزيله،
والصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قولك أف، ثم إنهم توسعوا فذكروا هذه اللفظة عند كل
مكروه يصل إليهم. " (3)
قال ابن الأثير (4): "معناه الاستقذار لما شُم، وقيل معناه الاحتقار والاستقلال، وهو
صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه مُتضجر مُتكره. " (5)

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن القاعدة الأساسية التي يتأصل منها التشريع؛ وهي: النهي عن
عبادة غير الله، لأن ذلك هو أصل الإصلاح، ثم يتبعه بالأصل الثاني من أصول الشريعة،
وهو: بر الوالدين، فأمر سبحانه بالإحسان إليهما وبخاصة إذا كبرا، أو كبر أحدهما في كنفه،
ومن ذلك البر ألا يقول أو يفعل ما يظهر ضجره منهما، وأن يكون في غاية الأدب في القول
والفعل تجاههما.

(1) انظر: حجة القراءات (399-400).

(2) هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب اللغوي، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة تزيد على ستين مصنفاً في
أنواع العلوم منها: غريب القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث. توفي سنة 276هـ. { انظر: ميزان الاعتدال (4/ 198-199)،
المؤتلف والمختلف (1/ 113)، تهذيب الأسماء (2/ 555-556)، الرسالة المستطرفة (1/ 154) }.

(3) التفسير الكبير (مجلد 10 ج 20 ص 190).

(4) هو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني العلامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، الفقيه
المحدث اللغوي البارح ولد سنة 544هـ. وتوفي سنة 606هـ، ومن تصانيفه: كتاب جامع الأصول، وكتاب شرح مسند الشافعي.

{ انظر: طبقات الشافعية الكبرى (8/ 366-367)، وفيات الأعيان (4/ 141)، طبقات الشافعية: ابن قاضي شعبة (2/ 60-62) }.

(5) اللسان (95/1) مادة: أف .

يقول الصابوني: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" أي : حكم تعالى وأمر بأن لاتعبدوا إليها غيره وقال مجاهد: «وقضى» يعني وصى بعبادته وتوحيده «وبالوالدين إحساناً» أي : وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً ، قال المفسرون : قرن تعالى بعبادته بر الوالدين لبيان حقهما العظيم على الولد ؛ لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه ، ولما كان إحسانهما إلى الولد قد بلغ الغاية العظيمة، وجب أن يكون إحسان الولد إليهما كذلك، «إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما» أي : قد أوصيناك بهما وبخاصة إذا كبرا أو كبر أحدهما ، وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ، ومعنى «عندك» أي : في كنفك وكفالتك «فلا تقل لهما أف» أي : لا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ككلمة (أف) ولا تسمعهما قولا سيئا حتى ولو بكلمة التأفف «ولا تنهرهما» أي: لا تزجرهما بإغلاظ فيما لا يعجبك منهما «وقل لهما قولا كريما» أي: قل لهما قولا حسنا لينا طيبا بأدب ووقار وتعظيم". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (يبلغان) أن حكم الإحسان إلى الوالدين وحسن الأدب في القول والفعل معهما ليس باجتماعهما فقط ، بل باجتماعهما وافتراقهما على السواء ، وذلك بأن يدرك أحدهما دون الآخر . يقول ابن عاشور : " وقرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغان) بألف التنثية ونون مشددة ، والضمير فاعل عائد على الوالدين في قوله (وبالوالدين إحساناً) ، فيكون (أحدهما أو كلاهما) بدلاً من ألف المثني تنبيهاً على أنه ليس الحكم لاجتماعهما فقط؛ بل هو للحالتين على التوزيع". (2) ويقول أبو السعود : " وقرئ (يبلغان) فأحدهما بدل من ضمير التنثية، و (كلاهما) عطف عليه، ولا سبيل إلى جعل (كلاهما) تأكيداً للضمير، وتوحيد ضمير الخطاب في (عندك) وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد، فإن المقصود نهى كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما، ولو قبل الجمع بالجمع أو التنثية لم يحصل هذا المرام". (3) وأفادت قراءة (إما يبلغن) أنه إن يبلغ أحد الوالدين عندك الكبر فأحسن إليه .

قال الطبري : " قراءة من قرأ (إما يبلغن) على التوحيد؛ على أنه خبر عن أحدهما ؛ لأن الخبر عن الأمر بالإحسان في الوالدين قد تنهى عند قوله «وبالوالدين إحساناً» ثم ابتدأ قوله «إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما» . (4)

(1) صفوة التفاسير (139/2).

(2) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 69) .

(3) تفسير أبي السعود (212/3) .

(4) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 47) .

وأفادت قراءة (أف) بالفتح : أن أي تضجر معروف ولو بسيط منهي عنه كذلك.
وأفادت قراءة (أف) خفصاً بدون تنوين: أن مجرد إطلاق أي قدر ولو بسيط جداً من التذمر
غير المتعارف عليه منهي عنه ، ومخالف لير الوالدين .

وأفادت قراءة (أف) : أن أي تذمر غير متعارف عليه وأقل سهولة في التلفظ به منهي
عنه كذلك.

قال القرطبي: " وقرىء (أف) منون مخفوض كما تخفض الأصوات وتتنون تقول: صه
ومه " (1)

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات في الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أمر ببر الوالدين سواء
أدرك الإنسان أحدهما أو كليهما، وذلك بالأب لا يصدر منه ما يدل على التضايق بأوجز حركة أو
لفظة، متعارف عليها أو غير متعارف، بصوت أو بدون صوت فما كان كذلك فمن باب أولى
الانصراف عما هو أشد أذى من ذلك.

7- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ

إِن قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيراً ﴾ (الإسراء).

القراءات:

1. قرأ ابن كثير (خَطَاءً) بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها.
2. قرأ أبو جعفر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه (خَطَأً) بفتح الخاء والطاء من غير ألف
ولا مد.
3. قرأ الباقون (خَطِئًا) بكسر الخاء وسكون الطاء، وهو الوجه الثاني لهشام.(2)

البيان :

(خَطَأً) : على وجهين: أحدهما : أن يكون اسم مصدر من: أَخْطَأَ، يُخْطِئُ، خَطَأً، أي:
إِخْطَأَ، إذا لم يُصَب، فإن الخطأ ما لم يُتعمد. والثاني: أن يكون خَطِئَ يَخْطِئُ خَطَأً، إذا لم
يُصَب أيضاً .

(2) انظر: النشر (230/2).

(1) تفسير القرطبي (مجلد 5 ج 10 ص 579) .

(خِطَاءً): مصدر خَاطَأَ يُخَاطِئُ خِطَاءً وَتَخَاطَأُ، وهو مطاوع خَاطَأً. فكأن هؤلاء الذين قتلوا أولادهم يخاطئون الحق والعدل .

(خِطَأً): من قولهم خَطِئَ، يَخْطَأُ، خِطَأً، كأثم إثمًا، إذا تعمد الكذب، والفاعل منه (خاطيء). وقد جاء في الوعيد (لا يأكله إلا الخاطئون) الحاقة {37} أي: الآثمون . (1)

يقول الشعراوي: " الخاء والطاء والهمزة تدل على عدم موافقة الصواب، لكن مرة يكون عدم موافقة الصواب لأنك لم تعرف الصواب، ومرة أخرى لم توافق الصواب لأنك عرفت الصواب ولكنك تجاوزته. (2)

التفسير :

تتحدث الآية الكريمة عن النهي عن قتل البنات بوأدهن ، وذلك لأن العرب في الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة بالإنفاق عليهن إذا كبرن ، فنهاهم الله عن ذلك ، وبين لهم أن خوفهم من أن يصيبهم الفقر لا داعي له ؛ لأن الله متكفل برزق المولود والوالد جميعاً كرامة لهذا المولود ، وإن القتل من أجل خوف الفقر خطيئة ، وإثمٌ كبيرٌ .

يقول القاسمي: " نهى لهم عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قتلهم أولادهم ، وهو وأدهم بناتهم، أي : دفنهن في الحياة ، كانوا يئدوهن خشية الفاقة وهي الإملاق والفقر ، بالإنفاق عليهن إذا كبرن ، فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم بقوله «نحن نرزقهم» أي : نحن المختصون بإعطاء رزقهم في الصغر والكبر ، وقوله تعالى : «وياكم» أي الآن بإغنائكم ، وقوله تعالى «إن قتلهم» أي : للإملاق الحاضر والخشية في المستقبل «كان خطأً كبيراً» أي : لإفضائه إلى تخريب العالم ، وأي خطأ أكبر من ذلك ؟ " (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (خَطَأً) أن قتل البنات خشية الإملاق غير صواب ، حيث لن يصيب فيه الفاعل القصد ؛ لأنه لن يصل به إلى المقصود ؛ وهو عدم الوقوع في الإملاق .
يقول ابن عاشور : " والخطأ ضد الصواب، أي: إن قتلهم محض خطأ ليس فيه ما يعذر عليه فاعله . " (4)

(1) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي (388/4) ، معاني القراءات (255)، الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي (97/5-98) ، حجة القراءات (400-401).

(2) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (8494/14).

(3) محاسن التأويل (3924/10) .

(4) التحرير والتنوير (مجلد7ج15ص89).

وأفادت قراءة (خِطَاءً) أن أولئك الذين يقتلون بناتهم خشية الإملاق؛ يخاطئون الحق والعدل .

يقول الألويسي: " والمعنى على هذا : إن قتلهم كان عدولاً عن الحق والصواب".⁽¹⁾
وأفادت قراءة (خِطَاءً) أن قتل البنات خشية الإملاق إثم عظيم ، والفاعلون آثمون إثمًا كبيراً .

يقول الفخر الرازي: " الجمهور قرءوا ﴿إن قتلهم كان خطأ كبيراً﴾ أي : إثمًا كبيراً ، يقال : خطيء يخطأ خطأ ، مثل : أثم يآثم إثمًا ، قال تعالى : ﴿إنا كنا خاطئين﴾ أي: آثمين.⁽²⁾
الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن الذين يقتلون بناتهم خشية الفقر إنما يجانبون الصواب ، ولن يحققوا فيه القصد ؛ لأن فعلهم غير صائب ، ويوقعهم في إثم عظيم .

8- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ ﴿١٣﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (تُسْرِفُ) بالخطاب.
2. قرأ الباقون (يُسْرِفُ) بالغيب. (3)

المعنى اللغوي:

السرف والإسراف: مجاوزة القصد، وأسرف في الكلام وفي القتل: أفرط.⁽⁴⁾

(1) روح المعاني (67/15) .

(2) التفسير الكبير (مجلد10 ج19 ص198) .

(3) انظر: النشر (230/2) .

(4) لسان العرب (1996/3) .

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن النهي عن قتل النفس بغير حق شرعي، كما حددت الضوابط في القصاص من القاتل والتي على ولي القاتل والسلطان الالتزام بها.

يقول الصابوني: " أي لا تقتلوا نفساً حرم الله قتلها بغير حق شرعي موجب للقتل كالمرتد، والقاتل عمداً، والزاني المحصن، ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ أي ومن قُتل ظُلماً بغير حق يوجب قتله فقد جعلنا لوارثه سلطة على القاتل بالقصاص منه، أو أخذ الدية أو العفو ﴿فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً﴾ أي فلا يتجاوز الحد المشروع بأن يقتل غير القاتل أو يمثل به أو يقتل اثنين بواحد كما كان أهل الجاهلية يفعلون، فحسبه أن الله قد نصره على خصمه فليكن عادلاً في قصاصه. " (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الخطاب (فلا تُسرف) أن الكلام موجه للنبي وللأئمة من بعده بألا يقتل بالمقتول غير قاتله أو يمثل به أو يقتل به أكثر من واحد؛ وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب حيث إن صدر الآية وهو قوله تعالى ﴿فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفت إلى الخطاب ليكون الخطاب موجهاً مباشرة إلى الولي.

يقول الطبري: " (فلا تسرف) بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول فلا تقتل بالمقتول غير قاتله وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلاً؛ عمداً ولي القتل إلى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل فنهى الله عز وجل عن ذلك عباده وقال لرسوله عليه السلام: قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف، فلا تقتل به غير قاتله، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثل به. " (2)

وأفادت قراءة الغيبة (فلا يسرف) أن ضمير يسرف عائد على الولي أي فلا يسرف الولي في القتل أو الضمير للقاتل، والمعنى على ذلك: فلا يسرف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والأجل بذلك القتل.

يقول النسفي: "الضمير للولي، أي: فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين، والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية، أو الإسراف: المثلة، والضمير للقاتل الأول. " (3)

(1) صفوة التفسير (140/2).

(2) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 59).

(3) تفسير النسفي (242/2).

يقول الفخر الرازي: " (فلا يسرف) بالياء وفيه وجهان: الأول: التقدير: فلا ينبغي أن يسرف الولي في القتل. الثاني: أن الضمير للقائل الظالم ابتداءً، أي فلا ينبغي أن يسرف ذلك الظالم وإسرافه عبارة عن إقدامه على ذلك القتل الظلم. " (1)

الجمع بين القراءتين:

يتبين من خلال الجمع بين القراءتين أنهما متقاربتا المعنى حيث إن الأمر بالنهي موجه للجميع سواء للولي أو القاتل، وأمر الله قضاء لا بد من تنفيذه.

يقول الطبري: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأمر أو نهى في أحكام الدين قضاء منه بذلك على جميع عبادته وكذلك أمره ونهيه بعضهم أمر منه ونهيه جميعهم إلا فيما دل فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض، فإذا كان ذلك كذلك بما قد بينا في كتابنا البيان عن أصول الأحكام فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله «فلا تسرف في القتل» نبيه ﷺ وإن كان موجهاً إليه أنه معني به جميع عبادته فكذلك نهيه ولي المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل والتعدي فيه نهى لجميعهم فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك. " (2)

9- قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَالِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (بالقِسْطَاسِ) بكسر القاف.
2. قرأ الباقون (بالقُسْطَاسِ) بضم القاف. (3)

اللغة والبيان :

(القِسْطَاسِ) بكسر القاف و(القُسْطَاسِ) بضم القاف، لغتان فصيحتان، والضم أكثر؛ لأنه لغة الحجاز. ومعناه: الميزان، وأصله: رومي. (4)

(1) التفسير الكبير (مجلد 10 ج 20 ص 204).

(2) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 59).

(3) انظر: النشر (2/230).

(4) انظر: الحجة في القراءات (ص 126).

والأصح أنه لغة العرب، وقيل أيضاً القرطسون . وقيل: هو كل ميزان ، صغر أم كبر . (1)
وجاء في التصريح: " وأقوى الحركات الضم، ويليه الكسر، ثم الفتح ". (2) لأن الفتح هو
أقرب الحركات إلى السكون لحصوله بأدنى فتح الفم، بخلاف الضم والكسر، فإن الأول إنما
يحصل بإعمال العضلتين معاً الواصلتين إلى طرفي الشفة، والثاني إنما يحصل بالعضلة الواحدة
الجاذبة إلى أسفل". (3)

التفسير :

مضمون الآية استكمالاً لجملة من الأوامر التي أمر الله بها، فهذه الآية فيها أمران يدلان
على كمال الأمانة؛ أولهما: إيفاء الكيل، وثانيهما: إتمام الوزن؛ لأن في ذلك الفلاح في الدنيا
والآخرة.

يقول البقاعي : " ولما كان التقدير بالكيل أو الوزن من جملة الأمانات الخفية كالتصرف
للإيتيم، وكان الائتمان عليه كالمعهد فيه ، أتبعه قوله: «وأوفوا الكيل» أي نفسه فإنه أمر محسوس
لا يقع فيه إلباس واشتباه؛ ولما كان صالحاً لمن أعطى ومن أخذ، قال: «وإذا كلتم» أي لغيركم،
فإن اكلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم توفوا الكيل، «وزنوا» أي متلبساً
«بالقسطاس» أي ميزان العدل الذي هو أقوم الموازين، وزاد في تأكيد معناه فقال
تعالى: «المستقيم» دون شيء من الحيف على ما مضى في الكيل سواء «ذلك» أي : الأمر العالي
الرتبة الذي أمرناكم به «خير» لكم في الدنيا والآخرة، وإن تراءى لكم أن غيره خير «وأحسن
تأويلاً» أي عاقبة في الدارين. " (4)

وقال ابن عاشور : " ومعنى كون ذلك أحسن تأويلاً: أن النظر إذا جال في منافع التطفيف
في الكيل والوزن، وفي مضار الإيفاء فيهما، ثم عاد فجال في مضار التطفيف، ومنافع الإيفاء،
استقر وآل إلى أن الإيفاء بهما خير من التطفيف؛ لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء
قليل من المال، ويكسبه الكراهية، والذم عند الناس ، وغضب الله ، والسحت في ماله، مع احتقار
نفسه في نفسه، والإيفاء بعكس ذلك يكسبه ميل الناس إليه، ورضى الله عنه، ورضاه عن نفسه
والبركة في ماله. " (5)

(1) اللباب (279/12).

(2) التصريح (59/1). بواسطة: شرح التصريح على التوضيح : خالد بن عبد الله الأزهرى.

(3) المرجع السابق (58/1-59).

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي (379/4-380).

(5) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 99).

العلاقة التفسيرية :

أفادت قراءة (القسطاس) بالكسر أن الله أمر بالدقة في الوزن، والعدل فيه.
وأفادت قراءة (القسطاس) بالضم التحري في الدقة في الوزن، للوصول إلى غاية العدل مع الناس، وخاصة في الموازين الصغيرة ، وهي غالب الأوزان عند الناس ، والتي تحتاج إلى دقة كبيرة في الوزن.

الجمع بين القراءتين :

يتبين بالجمع بين القراءتين أن الله تعالى قد أمر بتحري الدقة في الوزن ؛ بحيث يحرص الإنسان على تجنب تخسير الميزان ولو بأقل القليل، لأن القليل يجر إلى الكثير.

يقول الألويسي : " ثم إن إيفاء الكيل والوزن واجب إجماعاً، ونقص ذلك من الكبائر مطلقاً على ما يقتضيه الوعيد الشديد لفاعله الوارد في الآيات والأحاديث الصحيحة، ولا فرق بين القليل والكثير، نعم قال بعضهم : إن التطفيف بالشيء التافه الذي يسامح به أكثر الناس ينبغي أن يكون صغيرة، فإن قلت : ذكروا في الغصب أن غصب ما دون ربع دينار لا يكون كبيرة ؛ وقضيته أن يكون التطفيف كذلك، قلت: قيل ذلك مشكل فلا يقاس عليه بل حكى الإجماع على خلافه " (1).

10- قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَا لِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء).

القراءات:

1. قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف (سَيِّئُهُ) بضم الهمزة والهاء وإحاقها وواوًا في اللفظ على الإضافة والتذكير.
2. قرأ الباقون (سَيِّئَةً) بفتح الهمزة ونصب تاء التأنيث مع التثوين على التوحيد. (2)

البيان :

السيء : " هو المكروه ، وهو الذي لا يرضاه الله عز وجل ، ولا يأمر به " . (3)
(سيئته) : اسم كان ، و(مكروها) خبرها .
والمعنى : كل ما ذكر مما أمرتم به، ونهيتم عنه من قوله تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾

(1) روح المعاني(72/15).

(2) انظر: النشر (230/2)

(3) تفسير القرطبي (مجلد 5 ج10 ص596).

إلى هنا، كان سيئه وهو : ما نهيتم عنه خاصة مكروهاً ، وذَكَرَ (مكروهاً) على لفظ (كل).

(سيئة): خير (كان) وأنت حملاً على معنى (كل)، واسمها ضمير يعود على (كل)،
واسم الإشارة: (ذلك) عائد على ما ذكر من النواهي السابقة، و(عند ربك) متعلق بمكروهاً
و(مكروهاً) خبر بعد خبر، وقال (مكروهاً) ولم يقل (مكروهة) لأنه عائد على لفظ (كل). (1)

التفسير :

تتحدث الآية الكريمة عن حكم ما تقدم ذكره من الأوامر والنواهي .

يقول المنصوري : " «كل ذلك» إشارة إلى الأوامر والنواهي من الخصال الخمس
والعشرين «كان سيئة» أي: كان عمله القبيح الذي نهى عنه؛ وهي اثنتا عشرة خصلة «عند ربك
مكروهاً» مُبغضاً غير مرضي عند الله تعالى " . (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءات :

أفادت قراءة (سيئة) أن كل ما سبق النهي عنه في هذه السورة هو سيئة مؤاخذ عليها
وهي مكروهة عند الله تعالى .

وأفادت قراءة (سيئة) أن ما سبق ذكره بعضه معصية منهي عنها ، وبعضه طاعة مأمور بها .

يقول ابن كثير : " أما من قرأ (سيئة) أي : فاحشة ، فمعناه عنده : كل هذا الذي نهينا
عنه من قوله: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق» إلى ها هنا ، فهو سيئة مؤاخذ عليها «مكروهاً»
عند الله ، لا يحبه ولا يرضاه .

وأما من قرأ (سيئة) على الإضافة ، فمعناه عنده : كل هذا الذي ذكرناه من
قوله «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» إلى ها هنا فسيئة أي : فقيحة مكروه عند الله، هكذا وجه
ذلك ابن جرير رحمه الله " . (3)

الجمع بين القراءتين :

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله سبحانه وتعالى يذكر الحسن ، والقبيح من باب الاهتمام
بشأن الحسن والتنفير من القبيح وهي : الأمور المنهي عنها ، وأن كل ما كان منهيًا عنه فهو
سيئة يبغضها الله ويؤاخذ عليها .

(1) المغني (345/2) باختصار.

(2) المقتطف من عيون التقاسير : مصطفى الخيري المنصوري (197/3).

(3) تفسير ابن كثير (81/5).

11- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا

نُفُورًا ﴿٤١﴾ الإسراء

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (لِيَذَكَّرُوا) بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها.
2. قرأ الباقون (لِيَذَكَّرُوا) بفتح الذال والكاف مع تشديدهما. (1)

البيان :

(لِيَذَكَّرُوا): مضارع (تذكر) وأصلها (يتذكر) فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما، والتذكُّر هو التدبر كأنه بمعنى تذكر بعد تذكر وهو بمعنى التفكير أي ليتدبروه بعقولهم.

(ليذكروا): فيها وجهان:

الأول: أنه مضارع (ذكر) من الذكر باللسان أو التذكر بعد النسيان.

الثاني: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله تعالى: ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه ﴾ والمعنى: وافهموا ما فيه. (2)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نفور أولئك الذين عادوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله عن الحق رغم مجيء البيان القرآني وتكراره بأساليب ووجوه مختلفة لهم ليتعضوا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم.

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره ولقد صرفنا لهؤلاء المشركين المفترين على الله في هذا القرآن العبر والآيات والحجج وضررنا لهم فيه الأمثال وحذرناهم فيه وأنذرناهم ﴿ليذكروا﴾ يقول ليتذكروا تلك الحجج فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون ويعتبروا بالعبر فيتعضوا بها وينيبوا من جهالتهم فما يعتبرون بها ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر، ﴿وما يزيدهم﴾ تذكيرنا إياهم ﴿إلا نفورا﴾ يقول إلا ذهاباً عن الحق وبعداً منه وهرباً، والنفور في هذا الموضع

(1) انظر: النشر (230/2).

(2) انظر: التفسير الكبير (مجلد 10 ج 20 ص 217)، حجة القراءات ص 404، الحجة للقراء السبعة (5/104)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب (47/2)، المستنير في تخريج القراءات المتواترة: محمد سالم محيسن (1/305).

مصدر من قولهم نفر فلان من هذا الأمر منه نفراً ونفوراً " (1).

يقول القاسمي: " «ولقد صرفنا في هذا القرآن» أي كررنا للناس البيان بوجه كثيرة، وبيننا فيه من كل مثل «ليذكروا» أي يتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم «وما يزيدهم» أي التصريف المذكور «إلا نفوراً» أي عن الحق وبعداً عنه، الذي يقربه وجوه البيان. " (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليذكروا) مشدداً أن الله قد كرر البيان في القرآن بوجه مختلفة من الأمثال وغيرها ليتفكروا فيها ويعملوا عقولهم مرة بعد أخرى ليتوصلوا بذلك إلى بطلان اعتقادهم. يقول الألوسي: " «ليذكروا» أي ليتذكروا ويتعظوا ويطمئنوا له فإن التكرار يقتضي الإذعان واطمئنان النفس. " (3)

يقول مكي بن أبي طالب: " (ليذكروا) خففه حمزة والكسائي، جعلاه من الذكر، وشدد الباقر، جعلوه من التذكر وهو التدبر، كأنه بمعنى تذكر بعد تذكر، وهو أولى لأن التذكر فيما أنزل الله من كتابه، والتذكر أولى بنا من الذكر له بعد النسيان. وقوله «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون» القصص 51 يدل على التشديد في (ليذكروا). وقد قال تعالى ذكره: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب» فالتشديد لـ (التدبر) والتخفيف لـ (الذكر) بعد النسيان. " (4)

يقول الشوكاني: " قرأ يحيى بن وثاب (5) والأعمش (6) وحمزة والكسائي (ليذكروا) مخففاً والباقر بالتشديد، واختارها أبو عبيد لما تفيده من معنى التكثر. " (7)
وأفادت قراءة (ليذكروا) مخففاً أن الله سبحانه كرر البيان في القرآن بوجه مختلفة ليذكروا أولئك المشركون ما جاء في القرآن من دلائل بألسنتهم فيؤدي إلى تدبرهم في المعاني، فيفهموها، فتتأثر قلوبهم لما في القرآن من أثر على القلوب.

(1) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 64)

(2) انظر: محاسن التأويل (3931/10)

(3) روح المعاني (82-81/15)

(4) الكشف (47/2).

(5) سبقت ترجمته . انظر ص 71

(6) سبقت ترجمته . انظر ص 23

(7) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (288/3) .

يقول ابن عادل الحنبلي (1) : " قال الواحدي: والتذكر هنا أشبه من الذِّكْر، لأن المراد منه التدبر والتفكر، وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان.
ثم قال: وأما قراءة حمزة والكسائي، ففيها وجهان:

الأول: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمل والتدبر كقوله سبحانه جل ذكره: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه﴾ البقرة {63}. والمعنى: وافهموا ما فيه.

والثاني: أن يكون المعنى: صرفنا هذه الدلائل في هذا القرآن؛ لتذكروه بألسنتكم فإن الذكر بألسنتكم قد يؤدي إلى تأثر القلب بمعناه. " (2)

جاء في حاشية زادة (3) على تفسير البيضاوي: " قوله: (من الذكر الذي هو بمعنى التذكر) وهو التفكير والتأمل فإن الذكر قد يجيء بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه﴾ البقرة {63}. والتذكر: الاعتبار والاتعاظ... ثم إن المقصود من التذكر والاتعاظ أن تطمئن قلوبهم إلى هذا المعنى الذي كرر تقريره بوجوه مختلفة بقريظة قوله: ﴿وما يزيدهم إلا نفوراً﴾ فإن النفور مقابل للطمأنينة كأنه قيل: كررنا القول في هذا المعنى أو كررنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا، ويطمئنوا إليه؛ فما يزيدهم إلا نفوراً. وفيه تعكيس بما ينبغي من حيث إن حق هذا التكرير أن يزيدهم اتعاضاً، وطمأنينة قلب، ومع هذا قد زادهم نفوراً وعناداً. " (4)

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات أن الله قد صرف دلائل مختلفة ومتنوعة في القرآن ليذكرها المدعون إلى الله على ألسنتهم، لعلها تخالط شغاف قلوبهم فيتدبروها، ويُعملوا عقولهم فيها مرة بعد أخرى، فيفهموها؛ فتكون موضع اتعاض واعتبار لهم.

(1) هو: سراج الدين بن عادل أبو حفص عمر بن علي بن عادل دمشقي الحنبلي، توفي 880هـ. { انظر: كشف الظنون (2/1543) }.

(2) اللباب في علوم الكتاب (294/12) .

(3) الحاشية لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي ، المشهور بمحيي الدين شيخ زادة. توفي سنة 951هـ.

(4) حاشية زاده على تفسير البيضاوي (5/387-388).

12- قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ

ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وحفص (كما يقولون) بالغيب.

2. قرأ الباقر (كما تقولون) بالخطاب. (1)

البيان:

من قرأ (كما تقولون) بالتاء: على مخاطبة النبي ﷺ للمشركين، ومن قرأ (كما يقولون)

بالياء: يكون على خطاب النبي ﷺ للمؤمنين يخاطبهم بما يقول المشركون. (2)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى بالقياس المنطقي.

يقول الشنقيطي: " وفي معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير، كلاهما حق ويشهد

له قرآن، فنذكر الجميع لأنه كله حق.

الأول من الوجهين المذكورين:

أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار ﴿لابتغوا﴾ أي الآلهة

المزعومة، أي لطلبوا ﴿إلى ذي العرش﴾ أي إلى الله ﴿سبيلاً﴾ أي إلى مغالبتة وإزالة ملكه، لأنهم

إذا يكونون شركاءه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض.

الوجه الثاني في معنى الآية الكريمة:

أن المعنى ﴿لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ أي طريقاً ووسيلة تقربهم إليه لاعتراضهم

بفضله، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب

ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ الإسراء{57}.

ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول. " اهـ (3)

(1) انظر: النشر (231/2)

(2) انظر: حجة القراءات (ص405).

(3) تفسير أضواء البيان (310/2-311) باختصار .

يقول القاسمي: " وحاصله: أن السبيل بمعنى الوسيلة الموصلة إليه، وفيه إشارة إلى قياس اقتران تقريره هكذا: لو كان كما زعمتم معه آلهة لتقربوا إليه. وكل من كان كذلك ليس إلهًا، فهم ليسوا بآلهة.

وقيل: معنى «لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً» أي لطلبوا إليه سبيلاً بالمغالبة والممانعة، كما هو دين الملوك بعضهم مع بعض، على طريقة قوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا» {الأنبياء:22}

وهذا الوجه قدمه الزمخشري على الأول وقال أبو السعود: إنه الأظهر الأنسب لقوله. " (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الخطاب (كما تقولون) أن الله قد أمر محمداً ﷺ أن يخاطب المشركين بالحجة ليبطل حجتهم التي احتجوا بها من اتخاذ شركاء من دون الله ليقربوهم إلى الله زلفى.

يقول ابن كثير: " يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الله شريكا في خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تُعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبد من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه. وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه. " (2)

وأفادت قراءة الغيب (كما يقولون) أن الله قد أمر محمداً ﷺ أن يوجه الخطاب إلى المؤمنين فيخبرهم بما يقوله الكافرون، وحجتهم في اتخاذهم آلهة من دون الله، وكيفية إبطال حجتهم بالمنطق.

يقول ابن عاشور: " قرأ الجمهور (كما تقولون) بقاء الخطاب على الغالب في حكاية القول المأمور بتبليغه أن يحكى كما يقول المبلِّغ حين إبلاغه. وقرأه ابن كثير وحفص بياء الغيبة على الوجه الآخر في حكاية القول المأمور بإبلاغه للغير أن يحكى بالمعنى، لأنه في حال خطاب الأمر المأمور بالتبليغ يكون المبلِّغ له غائباً، وإنما يصير مخاطباً عند التبليغ، فإذا لوحظ حاله هذا عبر عنه بطريق الغيبة. " (3)

(1) محاسن التأويل (3931/10).

(2) تفسير ابن كثير (82/5).

(3) التحرير والتنوير (مجلد7 ج15 ص112)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله الكريم ﷺ بالرد على المشركين الذين اتخذوا من دون الله شركاء بحجة اعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، أمرهم أن يردوا على الحجة بالحجة، ويُعلم المسلمين بحجة الكافرين وكيفية الرد عليها وإبطالها، وفي هذه الآية أيضاً إشارة إلى المسلمين في كل عصر بإبطال حجج الكافرين وإثبات لوحانية الله بالقياس المنطقي.

13- قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ ﴿٤٣﴾ الإسراء

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف ورويس بخلف عنه (عما تقولون) بالخطاب.
2. قرأ الباقون (عما يقولون) بالغيب، وهو الوجه الثاني لرويس. (1)

البيان:

قراءة الغيب (عما يقولون) على تنزيه الله لنفسه، ويجوز حمله على القول كأنه يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ قل أنت يا محمد: سبحانه وتعالى عما يقولون.
وقراءة الخطاب (عما تقولون) على مخاطبة النبي ﷺ للمشركين. (2)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تنزيه الله تنزيهاً حقيقياً به متباعداً عن قولهم؛ بأن يكون معه آلهة، وأن يكون له بنات.

قال المنصوري: " «سبحانه» أي تنزه ذاته تنزهاً حقيقياً، «وتعالى» تباعد وتقدس، «عما يقولون» من العظيمة أن معه آلهة، وأن يكون له بنات، «علواً» تعالياً «كبيراً» لا غاية وراءه، كيف لا وأنه عز وجل في أقصى غاية الوجود الذاتي، وما يقولونه من أن له شريكاً وأولاداً، في أبعاد مراتب العدم؛ أعني الامتناع!! " (3)

(1) انظر: النشر (231/2).

(2) انظر: حجة القراءات (ص404-405).

(3) المقتطف من عيون التفاسير (198/3).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الغيب (عما يقولون) أن الله سبحانه قد نزه نفسه عن مقولة المشركين، وطلب من النبي ﷺ أن ينزله عن مقولتهم تنزيهاً يليق بعلوه على خلقه علواً لا غاية وراءه يليق بجلاله.

يقول الطبري: " وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات. " (1)

يقول ابن زنجلة: " قال جل وعز مستأنفاً بتنزيه نفسه لا على مخاطبتهم ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾. ويجوز أن تحمله على القول، كأنه يقول الله جل وعز لنبيه ﷺ قل أنت يا محمد: سبحانه وتعالى عما يقولون. " (2)

وأفادت قراءة الخطاب (عما تقولون) أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بخطاب المشركين منزهاً إياه تنزيهاً يليق بجلاله عن قولهم باتخاذ الله للشركاء.

يقول ابن عاشور: " قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب على أنه التفات، أو هو من جملة المقول من قوله ﴿قل لو كان معه آلهة﴾ على هذه القراءة. " (3)

يقول ابن زنجلة: " قرأ حمزة والكسائي (كما تقولون) بالتاء، (عما تقولون) بالتاء أيضاً. قيل للنبي ﷺ قل للذين أشركوا: ﴿لو كان معه آلهة كما تقولون﴾، ثم عطف عليه قوله ﴿سبحانه وتعالى عما تقولون﴾ على مخاطبة النبي ﷺ إياهم. " (4)

يقول الطبري: " فقال تنزيهاً لله وعلواً له عما تقولون أيها القوم من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة. " (5)

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن الله سبحانه ينزه نفسه عن قول المشركين ويأمر الرسول ﷺ بتنزيهه مواجهاً به المشركين راداً بهذا التنزيه على افتراءاتهم على الله.

(1) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 65) .

(2) حجة القراءات (ص 404) .

(3) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 113) .

(4) حجة القراءات (ص 405) .

(5) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 65) .

14- قال تعالى: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ نافع وحزمة وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ورويس بخلف عنه (يُسَبِّحُ) بالياء على التذكير.
2. قرأ الباقون بالتاء على التأنيث (تُسَبِّحُ)، وهو الوجه الثاني لرويس. (1)

البيان :

قراءة (تسبح) بالتاء: على تأنيث لفظ السموات، كما في قراءة أبي(سبحت له السموات).
وقراءة (يسبح) بالياء : لأن السموات جمع قليل، والعرب تذكره، ودليله قوله تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأشهر الحرم﴾ التوبة{5} ، ﴿وقال نسوة﴾ يوسف{30} ، والعلة في ذلك: أن الجمع القليل قبل الكثير، والتذكير قبل التأنيث، يحمل الأول على الأول. (2)
ومن قرأ بالياء ذكر، لأنه قد حال بينه وبين المؤنث بالظرف (له)، ولأنه تأنيث غير حقيقي. (3)

التفسير :

تتحدث الآية الكريمة عن تنزيه كل ما في الكون من أحياء وجمادات لله سبحانه وتعالى وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وألوهيته ، وعدم فهم الإنسان للغة تسبيح كثير من المخلوقات من كائنات وغيرها لا يعني عدم تسبيحها له .

يقول ابن كثير : " يقول الله تعالى: تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن ، أي : من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه، وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته، كما قال تعالى: ﴿ تكاد السموات ينفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولداً ﴾ مريم{90-91}.

(1) انظر: النشر (231/2).

(2) انظر الحجة في القراءات السبع : أبو عبد الله ابن خالويه (ص127).

(3) الكشف (48/2).

وقوله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي : وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس، لأنها بخلاف لغتكم. وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد ، وقوله ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ أي: أنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر. (1)

العلاقة التفسيرية :

أفادت قراءة التذكير (يسبح) أن عظيم مخلوقات الله غير العاقلة؛ وهي السموات والأرض دائماً التسبيح لله .

يقول ابن عاشور : " ولما أسند التسبيح إلى كثير من الأشياء التي لا تتطرق دل على أنه مستعمل في الدلالة على التنزيه بدلالة الحال ، وهو معنى قوله ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ حيث أعرضوا عن النظر فيها فلم يهتدوا إلى ما يحف بها من الدلالة على تنزيهه عن كل ما نسبوه من الأحوال المنافية للإلهية . " (2)

وأفادت قراءة التأنيث (تسبح) أن السموات بمجموعها وبما فيها من عاقل وغير عاقل تسبح لله تسبيحا كثيراً يليق بجلاله .

يقول الطبري : " قوله ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ يقول: تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاماً وإجلالاً ﴿السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ من المؤمنين به من الملائكة، والإنس والجن، وأنتم مع إنعامه عليكم وجميل أيديه عندكم تفترون عليه بما تفترون . " (3)

الجمع بين القراءتين :

يتبين بالجمع بين القراءتين أن السموات والأرض بما احتوته من العاقل وغير العاقل من مخلوقات الله تسبح لله ، كل بحسب حاله ومقاله ، وأن السموات والأرض رغم عظمتها وعدم عقلانيتها؛ إلا أنها تسبح لله تسبيحا يليق بجلاله ، وأنتم أيها المشركون بالله المتقولون على الله لا يقارن عظامواكم بعظمة سماء واحدة تشركون بالله ، وتدعون عليه بالباطل ! .

(1) تفسير ابن كثير (82/5-86) باختصار.

(2) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 114).

(3) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 65).

15- قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء].

القراءات:

1. قرأ ابن عامر وأبو جعفر (إذا) بالإخبار، (أننا) بالاستفهام.
2. قرأ نافع والكسائي ويعقوب (أنذا) بالاستفهام، (إنا) بالإخبار.
3. قرأ الباقون (أنذا) ، (أننا) بالاستفهام فيهما. (1)

اللغة والبيان :

الرفات : "ما تكسر وبلي من كل شيء، ويكثر بناء فعال في كل ما يحطم ويرضض، يُقال : حُطام ودُقاق وتُرَاب، وقال المبرد: كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات.

وقال الفراء: لا واحد له من لفظه، يُقال: رفت الشيء رفناً فهو مرفوت إذا صير كالحطام. (2)

قال السمين الحلبي (3): "الوجه في قراءة من استفهم في الأول والثاني تأكيداً، والوجه في قراءة من أتى به مرة واحدة حصول المقصود به ؛ لأن كل جملة مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في إحداها حصل الإنكار في الأخرى." (4)

التفسير :

تتحدث الآية الكريمة عن قول مشركي مكة وإنكارهم لقضية البعث وعلى رأسهم الوليد ابن المغيرة؛ حيث أنكروا أن يُبعث الإنسان يوم القيامة بعد أن كان عظماً بالية .

(1) انظر: النشر (1/290).

(2) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الطبرسي (6/242).

(3) هو: أحمد بن يوسف بن محمد شهاب الدين أبو العباس الحلبي المصري، النحوي المقرئ، الفقيه، المعروف بالسمين الحلبي، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتصريف وعلم القراءة، خيراً ديناً، توفي سنة 756هـ. { انظر: طبقات الشافعية (3/18-19) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني (1/339-340) }.

(4) الدر (4/228).

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش ، وقالوا بعنتهم: أئذا كنا عظاماً لم نتحطم، ولم نتكسر بعد مماتنا وبلاننا، ﴿ورفاتاً﴾ يعني تراباً في قبورنا، وقوله ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ قالوا إنكاراً منهم للبعث بعد الموت : إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاماً غير منحطمة، ورفاتاً منحطمة، وقد بلينا فصرنا فيها تراباً ﴿خلقاً﴾ منشأ كما كنا قبل الممات ﴿جديداً﴾ نعاد كما بُدئنا . " (1)

العلاقة التفسيرية :

أفادت قراءة الإخبار في الأول والاستفهام في الثاني أن المشركين ذكروا المشاهد من أحوال أجساد الموتى في الدنيا ثم أنكروا عن طريق الاستفهام قضية البعث في الآخرة لهذه الأجساد البالية.

يقول الطبرسي: " لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في إنكاره فقال ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً ﴾ أي: غباراً عن ابن عباس. وقيل تراباً عن مجاهد ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ والمعنى: قال المنكرون للبعث: إنا إذا متنا وانتثرت لحومنا وصرنا عظاماً وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً، أي متجدداً ، وهو إنكار في صورة الاستفهام . " (2)

وأفادت قراءة الاستفهام في الأول والإخبار في الثاني: قوة إنكار المشركين لقضية البعث انطلاقاً من عدم تصور تحول العظام والرفات إلى أجساد يوم القيامة .

يقول ابن عاشور: " والاستفهام إنكاري، وتقديم الظرف من قوله ﴿إذا كنا عظاماً﴾ للاهتمام به لأن مضمونه هو دليل الاستحالة في ظنهم ، فالإنكار متسلط على جملة ﴿إنا لمبعوثون﴾. وقوة إنكار ذلك مقيد بحالة الكون عظاماً ورفاتاً، وأصل تركيب الجملة : إنا لمبعوثون إذا كنا عظاماً ورفاتاً ؟ ، وليس المقصود من الظرف التقييد ، لأن الكون عظاماً ورفاتاً ثابت لكل من يموت فيبعث . " (3)

أما قراءة الاستفهام فيهما فقد أفادت تأكيد كل من الاستفهام للآخر، وبالتالي شدة تأكيد إنكار المشركين للبعث .

(1) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 68).

(2) مجمع البيان (243/6).

(3) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 124).

يقول أبو السعود: «وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً» استفهام إنكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا المآل لما بين غضاضة الحي وبيوسة الرميم من التنافي، كأن استحالة الأمر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به، وتكرير الهمزة في قولهم «أنا» لتأكيد النكير، وتحلية الجملة بإن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى أن يتوهم من ظاهر النظم. (1)

ويقول الشوكاني: «إنا لمبعوثون خلقاً جديداً» كرر الاستفهام الدال على الاستنكار، والاستبعاد تأكيداً وتقريباً، والعامل في إذا هو ما دل عليه لمبعوثون، لا هو نفسه، لأن ما بعد إن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها، والتقدير: إذا كنا عظاماً ورفاتاً نبعث إنا لمبعوثون. (2)

الجمع بين القراءات :

يتبين بالجمع بين القراءات أن المشركين ينكرون الآخرة وما يحدث فيها من بعث بعد الموت للأجساد، كما ينكرون أشد النكران قدرة الله على إعادة تركيب الجسد وبث الحياة فيه بعد أن كان عظاماً ورفاتاً بالية، وفي ذلك دلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال.

16- قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء].

القراءات :

1. قرأ نافع (النبئين) بالهمز على الأصل .
2. قرأ الباقون (النبئين) بغير همز. (3)
1. قرأ حمزة وخلف (زُبُورًا) بضم الزاي .
2. قرأ الباقون (زُبُورًا) بفتح الزاي . (4)

اللغة والبيان :

(النبئين) بالهمز: من النبأ، ومن أنبأ عن الله، أي: أخبر، على وزن (فَعِيل) بمعنى (مُفْعِل).

(1) تفسير أبي السعود (219/3-220) باختصار.

(2) فتح القدير (294/3).

(3) انظر حجة القراءات (ص99)، وانظر: الإتحاف (ص180) في موضع الآية {164} من سورة البقرة.

(4) انظر: النشر (190/2).

فالنبي: هو الذي ينبىء؛ أي يخبر عن الله.

و(النبیین) بغير همز: من نبا الشيء يَبُوء إذا ارتفع، ويقال للمكان المرتفع: نَبِيٌّ، وكذلك النبوة والنَّبَاوة . وإنما قيل للنبي نبيٌّ: لارتفاع منزلته وشرفه تشبيهاً له بالمكان المرتفع على ما حوله.(1)

وقد تطرق الباحث عبد الله الملاحي لهذا الموضوع في رسالته، لذلك ستكتفي الباحثة ببيان موضع(زبوراً) فقط .

يقول الأستاذ عبد الله الملاحي في بيان العلاقة التفسيرية بين القراءتين (النبیین) و(النبیین): " تبين القراءتان صفات الأنبياء عليهم السلام، ومكانتهم عند الله ﷻ ؛ حيث أفادت قراءة (النبیین) أن النبي هو المخبر عن ربه الوحي. في حين أفادت قراءة (النبیین) أن النبي هو صاحب المكانة العالية المترفع عن أي خبر كاذب، الهادي إلى الطريق المستقيم. قال تعالى في وصف محمد ﷺ ﴿ وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى ﴾ النجم{3-4} ، وقال تعالى ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ الشورى{42}. قال القرطبي: فأما من همز فهو عنده من أنبأ إذا أخبر؛ واسم فاعله منبىء، ويجمع نبيء أنبياء، وقد جاء في جمع نبي نباء... واختلف القائلون بترك الهمز؛ فمنهم من اشتقه من نبا ينبو، إذا ظهر. فالنبي من النبوة، وهو الارتفاع؛ فمَنْزِل النبي رفيع. والنبي بترك الهمز أيضاً الطريق فسمي الرسول نبياً لاهتداء الخلق به كالطريق . (2) وبالجمع بين القراءتين نجد أنّ من صفات النبي أنه المخبر عن الله ﷻ صاحب المكانة العالية الهادي إلى الطريق المستقيم . " اهـ (3)

(زبوراً):

زبرت الكتاب: كتبه كتابة غليظة، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له: زبور، وخص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه السلام، وقرىء(زبوراً) جمع زبور، كقولهم في جمع ظريف: ظروف، أو يكون جمع زبرٍ ، وزبرٌ مصدر سُمِّي به كالكتاب، ثم جمع على زُبرٍ، كما جمع كتاب على كُتب، وقال بعضهم: الزبور: اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية.(4)

(1) انظر: معاني القراءات (ص52) ، حجة القراءات (99/1) في موضع الآية {164}من سورة البقرة .

(2) تفسير القرطبي (مجلد1ج1ص390) في موضع الآية 61 من سورة البقرة.

(3) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الفاتحة والبقرة وآل عمران- رسالة ماجستير (صفحة 80-81).

(4) انظر: مفردات الراغب (صفحة236) ، مادة: زبر .

والحجة لمن قرأ (زُبوراً) أنه أراد: واحداً مفرداً. والحجة لمن قرأ (زُبوراً) أنه أراد الجمع (1).

والزبور في الأصل وصف للمفعول كالحلوب ، أو مصدر كالتبول، وهذا الوزن في المصادر قليل ، والأكثر ضم الفاء . (2)

التفسير :

يقول ابن عاشور : " «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض» مشيراً إلى أن تفاضل الأنبياء ناشىء على ما أودعه الله فيهم من موجبات التفاضل . وهذا إيجاز تضمن إثبات النبوة وتقررها فيما مضى مما لا قبل لهم بإنكاره . وتعدد الأنبياء مما يجعل محمداً ﷺ ليس بدعاً من الرسل... فعلم أن طعنهم في نبوة محمد ﷺ طعن مكابرة وحسد... وتخصيص داود ﷺ بالذكر عقب هذه القضية العامة؛ وجهه صاحب الكشاف ومن تبعه: بأن فائدة التلميح إلى أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء ، وأمته أفضل الأمم؛ لأن في الزبور أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون. وهذا حسن. وأنا أرى أن يكون وجه هذا التخصيص الإيماء إلى أن كثيراً من الأحوال المرموقة في نظر الجاهلين وقاصري الأنظار؛ بنظر الغضاضة هي أحوال لا تعوق أصحابها عن الصعود في مدارج الكمال التي اصطفاه الله لها، وأن التفضيل بالنبوة والرسالة لا ينشأ عن عظمة سابقة، فإن داود ﷺ كان راعياً من رعاة الغنم في بني إسرائيل... فهو النبي الذي تجلى فيه اصطفاء الله تعالى لمن لم يكن ذا عظمة وسيادة. وذكر إيتائه الزبور هو محل التعريض للمشركين؛ بأن المسلمين سيرثون أرضهم وينتصرون عليهم؛ لأن ذلك مكتوب في الزبور كما تقدم آنفاً. " (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين :

أفادت قراءة الفتح (زُبوراً) أنه اسم للكتاب المنزل على سيدنا داود عليه السلام. وأفادت قراءة الضم (زُبوراً) أن هذا الكتاب مقسم إلى كتب أو مزامير - كما يقال عنه مزامير داود- وكل مزمور يُقال عنه زبور ، وأن إنزاله على داود عليه السلام كان منجماً .

(1) انظر : الحجة في القراءات السبع (ص66).

(2) انظر : روح المعاني (95/15) .

(3) انظر: التحرير والتتوير (مجلد7ج15ص136-137) باختصار.

يقول الطبري: " وأما قوله «وأتينا داود زبوراً» فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قراء أمصار الإسلام غير نفر من قراء الكوفة: (وأتينا داود زبوراً) بفتح الزاي على التوحيد، بمعنى وأتينا داود الكتاب المسمى زبوراً ، وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين: (وأتينا داود زبوراً) بضم الزاي ، جمع زبر، كأنهم وجهوا تأويله : وأتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة ، من قولهم: زبرت الكتاب أزره زبرا ، وزبرته أذرته ذبراً ؛ إذا كتبتة ، قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ: (وأتينا داود زبوراً) بفتح الزاي (1)، على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود، كما سُمى الكتاب الذي أوتيه موسى التوراة، والذي أوتيه عيسى الإنجيل، والذي أوتيه محمد الفرقان، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود، وإنما تقول العرب زبور داود وبذلك يعرف كتابه سائر الأمم . " (2)

الجمع بين القراءتين :

يتبين بالجمع بين القراءتين أن الله تعالى قد أنزل الزبور على سيدنا داود عليه السلام، وأن هذا الكتاب نزل عليه منجماً كما نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجماً، يحتوي على كتب وصحف ، وهي ما يطلق عليه أهل الكتاب: مزامير داود.

وقد ذكر في بعض تلك الصحف أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وأوصاف أمته ، وأنهم سيرثون أرض بني إسرائيل ، وسينتصرون عليهم . وهذه بشارة للرسول والمسلمين، ورد على الكافرين وبني إسرائيل الذين أنكروا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤيد ما تم التوصل إليه من كون الزبور نزل منجماً على سيدنا داود عليه السلام ما ذكره الألويسي والشوكاني.

قال الألويسي: "وقيل إنه جمع زبور على حذف الزوائد، وعلى العلات جعل اسماً للكتاب المنزل على داود عليه السلام، وكان إنزاله عليه منجماً وبذلك يحصل الإلزام، وكان فيه كما قال القرطبي مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام، وإنما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى". (3)

(1) قول الطبري غير مقبول ولا نسلم له به لأن كلاً من تينك القراءتين متواترتين فلا يجوز تفضيل إحدى القراءتين المتواترتين على حساب الأخرى بما يفضي إلى تضعيف الأخرى أو التشكيك بها أو ردها لأن كلاً منهما قرأناً.

(2) تفسير الطبري (مجلد 4 ج 6 ص 20). في موضع الآية 163 من سورة النساء.

(3) روح المعاني (17/6) في موضع الآية {163} من سورة النساء.

وقال الشوكاني عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ الفرقان {32} : "واختلف في قائل هذه المقالة، فقيل: كفار قريش، وقيل: اليهود قالوا هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزيور، وهذا زعم باطل ودعوى داحضة؛ فإن هذه الكتب نزلت مفرقة كما نزل القرآن، ولكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون بكيفية نزول كتب الله سبحانه على أنبيائه، ثم رد الله سبحانه عليهم فقال: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾ أي: نزلنا القرآن كذلك مفرقا، والكاف في محل نصب على أنها نعت مصدر محذوف، وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم، أي: مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه؛ لنقوي بهذا التنزيل على هذه الصفة فؤادك، فإن إنزاله مفرقا منجماً على حسب الحوادث أقرب إلى حفظك له وفهمك لمعانيه، وذلك من أعظم أسباب التثبيت". (1)

17- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ ابن وردان بخلف عن أبي جعفر بضم التاء حالة وصل الملائكة باسجدوا، أما الوجه الثاني لابن وردان فهو الإشمام في كسرة التاء بضمها.
2. قرأ الباقر (للملائكة) بكسر التاء كسرة خالصة حين وصلها بـ(اسجدوا). (2)

اللغة والبيان :

(الملائكة) من الألوک. وهي الرسالة . وهي من المألکة و المألکة، ومنه قالت الشعراء: أَلِكْنِي؛ أي: أرسلني ، وبمعنى كن رسولي، واحدهم ملك-بترك الهمزة- لكثرة ما يجري في الكلام، والملائكة تقع على الواحد والجمع، والهمزة في الجمع مؤخرة لأنهم رسل الله.(3)

قرأ بعض القراء التاء في الملائكة هنا بالكسر، وبعضهم بالضم-كما سبق بيانه-حين الوصل. وتعتبر الضمة من أقوى الحركات وأثقلها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة، وهي من

(1) فتح القدير (93/4).

(2) انظر: النشر (158/2).

(3) انظر: مفردات الراغب(ص28) ، تفسير غريب القرآن (ص23) ، اللسان (110/1-111).

أخف الحركات، وذلك لأن النطق بالضمّة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة؛ وذلك لأنها لا تُنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما، ولا تحتاج الكسرة ولا الفتحة إلى هذا الجهد. (1)

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن أمر الله للملائكة بالسجود لآدم -عليه السلام- وامتثال الملائكة للأمر فوراً، وعصيان إبليس واستكباره عن الأمر؛ محتجاً بخيريته على آدم لأنه خلق من نار و آدم من طين، وفي مفهومه أن النار أفضل من الطين.

يقول أبو حيان: "مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين: أحدهما: أنه لما نازعوا الرسول عليه السلام في النبوة، واقتروا عليه الآيات، كان ذلك لكبرهم وحسدهم للرسول ﷺ على ما آتاه الله من النبوة، والدرجة الرفيعة، فناسب ذكر قصة آدم عليه السلام، وإبليس حيث حملة الكبر والحسد على الامتناع من السجود. والثاني: أنه لما قال ﴿فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾ بين ما سبب هذا الطغيان وهو قول إبليس ﴿لأحتكنّ نريته إلا قليلاً﴾. (2)

ويقول أبو السعود: "واذكر وقت قولنا لهم ﴿اسجدوا لآدم﴾ تحيةً وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك، ﴿فسجدوا﴾ له من غير تلثم امتثالاً للأمر، وأداء لحقه ﷺ ﴿إلا إبليس﴾ وكان داخلاً في زمرة مندرجا تحت الأمر بالسجود ﴿قال﴾ أي عندما وبخ بقوله عز سلطانه ﴿يا إبليس ما لك أن لا تكون مع الساجدين﴾ وقوله ﴿ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك﴾، وقوله ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ كما أشير إليه في سورة الحجر. ﴿أسجد﴾ وأنا مخلوق من العنصر العالي ﴿لمن خلقت طيناً﴾ نصب على نزع الخافض، أي من طين، أو حال من الراجع إلى الموصول، أي خلقتة وهو طين، أو من نفس الموصول أي: أسجد له وأصله طين، والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالموصول لتعليل إنكاره بما في حيز الصلاة. (3)

يقول ابن عطية: "وكفر إبليس في أن جهلَ صفة العدل من الله تعالى حين لحقته الأنفة، والكبر، وكان أصل ذلك الحسد، ولذلك قيل إن أول ما عصى الله بالحسد. (4)

(1) انظر: بلاغة الكلمة (ص114-115). وانظر: التصريح (1/58-59).

(2) البحر المحيط (6/54).

(3) تفسير أبي السعود (3/224).

(4) المحرر الوجيز (3/369).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الضم (للملائكة اسجدوا) أن أمر الله للملائكة بالسجود هو أمر عظيم وثقيل؛ لأنهم أمروا بالسجود لمخلوق من مخلوقات الله، ورغم ذلك استجابت الملائكة لهذا الأمر فوراً، ولكن إبليس ثقلَ عليه الأمر واستكبر، وتملكه الحسد والكبر فلم يستجب لأمر الله، واحتج بأنه خير من آدم من الناحية التكوينية، فناسب قراءة (الملائكة) بالضم ذكر الأمر الثقيل.

يقول الألويسي: "وذكر الخلق مع أنه يكفي في المقصود أن يقال: لمن كان من طين أدخل في المقصود؛ مع أنه فيه على ما قيل إيماء إلى علة أخرى وهي أنه مخلوق، والسجود إنما هو للخالق تعالى مجده." (1)

وأفادت قراءة (للملائكة اسجدوا) سهولة انقياد الملائكة لأوامر الله دون سؤال أو استفسار، فناسب قراءة الكسر الطاعة المباشرة والفورية للملائكة دون أدنى تردد؛ ومما دل على ذلك قوله: (فسجدوا) فالفاء تفيد السرعة مع التعقيب والترتيب.

يقول أبو السعود: " واذكر وقت قولنا لهم ﴿اسجدوا لآدم﴾ تحيةً وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك، ﴿فسجدوا﴾ له من غير تلثم امتثالاً للأمر، وأداء لحقه ﷺ " (2)

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات أنه رغم عظم وثقل الأمر بالسجود إلا أن الملائكة امتثلوا فوراً لأمر الله طاعة له، وكان في هذا الأمر اختباراً وتمحيصاً لما في الصدور. يقول مصطفى المنصوري: "فامتثلوا للأمر وسجدوا له إلا إبليس اللعين تكبر وتجبر وعصى أمر ربه، والآية تحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ الإسراء {57}، ويُعلم من حال الملائكة حال غيرهم، من عيسى وعزير عليهما السلام، ومن حال إبليس حال من يعاند الحق لأنهم إنما عاندوه لأمرين: الكبر، والحسد، وهذه بلية للخلق." (3)

(1) روح المعاني (109/15).

(2) تفسير أبو السعود (224/3).

(3) المقتطف (208/3).

18- قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ الإسراء.

القراءات :

1. قرأ ابن كثير ويعقوب (أَخَّرْتَنِي) بإثبات الياء في الوصل والوقف .
2. وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو (أَخَّرْتَنِي) بإثبات الياء في الوصل دون الوقف .
3. وقرأ الباقون (أَخَّرْتَن) بال حذف . (1)

اللغة:

التأخير: ضد التقديم . (2) أَخَّرْتَن : أي: أخرت أجل موتي . (3)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تكرار إنكار إبليس لتفضيل آدم وتكريمه عليه، وبيان لشدة حسده وغيظه من آدم عليه السلام حتى طلب من الله عز وجل أن يمهله ليضل ذرية آدم عليه السلام انتقاماً من آدم. يقول د. وهبة الزحيلي: " وقال هنا جرأة وكفراً: ﴿قال أرايت هذا الذي كرمت علي﴾ أي: أخبرني عن هذا الذي فضلته: لم كرمته علي، وأنا خير منه؟ فإنه نسب الجور إلى ربه في زعمه أنه أفضل من آدم بسبب عنصر الخلق، فإن عنصر النار أسمى وأرفع، وعنصر الطين أدنى وأقرب للحمول، والحقيقة أن العناصر كلها من جنس واحد، أوجدها الله، بل إن الطين أنفع من النار، فبالأول البناء والعمران، وبالتالي الخراب والهدم والدمار. ﴿لئن أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: قسماً لئن أبقيتني إلى يوم القيامة لأستأصلن ذريته بالإغواء، ولأستولين عليهم بالإضلال جميعاً، أو لأضلن ذريته إلا قليلاً منهم، وهم العباد المخلصون الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ {الحجر 42} أي: إن عبادي الصالحين لا تقدر أن تغويهم " . اهـ (4)

(1) انظر : النشر (232/2).

(2) انظر: اللسان (38/1) مادة: أخر .

(3) انظر: مجمع البيان (252/6).

(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة الزحيلي (116/15).

يقول ابن عاشور: " وهذا الكلام صدر من إبليس إعراباً عما في ضميره ، وإنما شرط التأخير إلى يوم القيامة؛ ليعمَّ بإغوائه جميع أجيال ذرية آدم فلا يكون جيل آمناً من إغوائه " . (1)

ويقول القرطبي في قول إبليس ﴿إلا قليلاً﴾: " وإنما قال إبليس ذلك ظناً، كما قال الله تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ أو علم من طبع البشر تركب الشهوة فيهم، أو بنى على قول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾، وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس إلى آدم عليه السلام فلم يجد له عزماً " . (2)

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (أخرتن) بحذف الياء؛ أن إبليس طلب من الله ضمناً أن يؤخر في أجله لإغواء بني آدم ، وهو يعلم أن ذلك لا يعود عليه بالنفع وإنما هو حقد وحسد .

يقول د. فاضل السامرائي⁽³⁾: " ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليها بالنفع، حذف منه الضمير واجتزأ بالكسرة، ثم في الحقيقة إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم، فقال: (لَنْ أُخَرَّتِنِ) فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح " . (4)

وأفادت قراءة (أخرتني) بثبوت الياء؛ دعاء من إبليس لله أن يستجيب لطلبه بإمهاله لإغواء بني آدم ليدل على عدم أفضلية آدم وذريته، وأنه يستطيع أن يتسلط عليهم إلا قليلاً منهم.

يقول ابن عاشور: ﴿لَنْ أُخَرَّتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: الجملة قَسَمِيَّةٌ، واللام موطئة للقسم المحذوف مع الشرط، والخبر مستعمل في الدعاء، فهو في معنى قوله ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ " . (5)

(1) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 151).

(2) تفسير القرطبي (مجلد 5 ج 10 ص 619).

(3) هو: أبو محمد فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة " البدري " إحدى عشائر سامراء، ولد في سامراء عام 1933 م في عائلة عريقة متدينة متوسطة الحالة الاقتصادية، حاد الذكاء تعلم القرآن الكريم منذ الصغر، تفوق في جميع مراحل الدراسة، حاصل على درجة الدكتوراة في اللغة العربية، عمل مدرساً في المدارس، وقضى ما يقارب أربعين عاماً أستاذاً للنحو في جامعة بغداد، تولى مناصب علمية عليا، ويعمل حالياً أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني في جامعة الشارقة. (انظر: شبكة المعلومات الدولية - موقع جوجل/ <http://www.lamasaat.8m.com>). وانظر أيضاً: معجم الأدياء لكامل الجبوري (4/414).

(4) بلاغة الكلمة (ص 28).

(5) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 151).

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات أن إبليس عليه لعنة الله أراد أن يدلل على عدم أفضلية آدم وذريته عليه، وأنه يستطيع أن يتسلط عليهم؛ وذلك بدعاء الله أن يمد في عمره؛ وهو يعلم أن هذا الأمر لن يفيد بعد أن طرد من رحمة الله، وإنما هو حقد وحسد.

19- قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِجِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء].

القراءات:

1. قرأ حفص (وَرَجَلِكِ) بكسر الجيم.
2. قرأ الباقون (وَرَجَلِكِ) بإسكان الجيم. (1)

اللغة والبيان:

(الرَّجُلُ) بسكون الجيم ؛ جمع راجل، كتاجر وتجر، وصاحب وصحب.
(الرَّجِلُ) بكسر الجيم ؛ صفة، يُقال: فلان يمشي راجلاً إذا كان غير راكب، ويُقال: رَجِلَ يَرَجِلُ: إذا صار راجلاً، مثل: نَدَسَ وَنَدَسَ وَحَذَرَ وَحَذَرَ، وَرَجَلِكِ واحد يراد به الكثرة. فيكون معناه: وجمعك الرجل. (2) ويجوز أن تكون قراءة من أسكن مثل قراءة من كسر الجيم ، فتنفق القراءتان. (3)

التفسير:

هذه الآية استكمالاً لقصة إبليس اللعين ؛ فحينما رفض إبليس السجود لآدم استكباراً وغيرهً وطلب من الله أن يمهلَه إلى يوم القيامة لأجل أن يستأصل ذرية آدم بالإغواء، استجاب الله تعالى لطلبه بالإمهال، وتوعده سبحانه بأن كل أساليبه في الإغواء لا سبيل لها إلا الفشل والخذلان ، وأن وعوده ما هي إلا من أجل الإضلال.

(1) انظر: النشر (2/231).

(2) انظر: تفسير غرائب القرآن (مجلد 8 ج 15 ص 61) ، الباب (12/331).

(3) انظر: الكشف (2/48-49).

يقول د. وهبة الزحيلي في تفسيره للآية: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ أي: استخف واستنفر بدعوتك إلى معصية الله، ﴿وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ أي: بكل ما أوتيت من قوة وإغراء ووسوسة، واجمع عليهم جنك فرساناً ومشاةً، وهذا تمثيل، والمراد به: تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه، واجمع لهم كل مكاييدك، ولا تدخر وسعاً في إغوائهم، مستخدماً كل الأتباع والأعوان، ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: بتحريضهم على كسب الأموال، وإنفاقها في معاصي الله من ربا وسرقة... وغير ذلك من تسميات غير شرعية، وتجاوز حدود الشرع في الزواج والطلاق والرضاع والنسب والنفقة وغيرها، ﴿وَعَدِهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: عدهم المواعيد الكاذبة الباطلة من شفاعة الآلهة المزعومة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة، أو بالتسويق في التوبة ومغفرة الذنوب بدونه... ونحو ذلك مما سيظهر بطلانه حينما يقول إبليس يوم القضاء بالحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ﴾ إبراهيم{22} وقوله تعالى هنا: ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: لا يعدهم الشيطان إلا كذباً وباطلاً، وإظهاراً للباطل في صورة الحق، فمواعيده كلها خدعة وتزيين كاذب، وهذه الأوامر للشيطان واردة على سبيل التهديد والخذلان والتخلية، كما يقال للعصاة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ فصلت{40}. اهـ (1)

العلاقة التفسيرية:

أفادت قراءة (رَجْلِكَ) بكسر الجيم؛ أن الله تعالى أمر إبليس مهتداً ومُخَذِّلاً إياه بأن يجمع كل ما يقدر عليه من راكبٍ وماشٍ في معصية الله من الجن والإنس، ليغوي ذرية آدم السَّالِفِينَ. يقول الطبرسي: أي اجمع عليهم ما قدرت عليه من مكاييدك، وأتباعك وذريتك وأعوانك، وعلى هذا فتكون الباء مزيدة في بخيلك⁽²⁾، وكل راكب أو ماشٍ في معصية الله من الإنس والجن فهو من خيل إبليس ورجله. (3)

وأفادت قراءة (رَجْلِكَ) بسكون الجيم؛ أن الله تعالى قد أمر إبليس على وجه التخلية والتهديد أن يستعين بكل ما يقدر عليه من الراكبين والراجلين من الإنس والجن لإغواء بني آدم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

(1) التفسير المنير (117/16-118) باختصار.

(2) لا زيادة في القرآن؛ والباء في (بخيلك) إما لتأكيد لصوق الفعل لمفعوله، فهي لمجرد التأكيد. ومجرورها مفعول في المعنى لفعل (أجلب) مثل (وامسحوا برؤوسكم)؛ وإما لتضمين فعل (أجلب) معنى (اغزهم) فيكون الفعل مضمناً معنى الفعل اللازم، وتكون

(3) مجمع البيان (253/6).

الباء للمصاحبة. {التحرير والتوير (مجلد 7 ج 15 ص 154)}. {

يقول الطبري: " واجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليهم بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي." (1)

يقول ابن عطية: " قيل هذا مجاز واستعارة، بمعنى: اسع سعيك، وابلغ جهدك، وقيل معناه: أن له من الجن خيلاً ورجلاً، قاله قتادة، وقيل المراد: فرسان الناس ورجالتهم، المتصرفون في الباطل، فإنهم كلهم أعوان لإبليس على غيرهم " . (2)

الجمع بين القراءتين:

يتبين من خلال الجمع بين القراءتين أنهما أفادتتا معنىً واحداً وهو: دعوة إبليس أن يجمع كل ما يقدر عليه من أعوان وجنود وبكل الوسائل والأشكال من المكائد، من أجل محاولة إغواء ذرية آدم عليه السلام وهذا الأمر على سبيل التهديد والوعيد والخذلان لإبليس وأعوانه.

20، 21- قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ ﴿٦٨﴾ أم أمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ ﴿٦٩﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (نخسف . نرسل . نعيدكم . فنرسل . فتغرقكم) بنون العظمة.
2. قرأ أبو جعفر ورؤيس (فتغرقكم) بقاء التانيث، وبقية الأفعال بياء الغيبة.
3. قرأ الباقر (يخسف . يرسل . يعيدكم . فيرسل . فيغرقكم) بالياء. (3)

1. قرأ أبو جعفر (الرياح) بالجمع.
2. قرأ الباقر (الريح) بالإنفراد. (4)

(1) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 81).

(2) المحرر الوجيز (470/3).

(3) انظر: النشر (231/2).

(4) انظر: النشر (168/2).

البيان:

قراءة الأفعال الخمسة بالنون؛ على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ {الإسراء:69} كأنه لما أتى الكلام عقيبه بلفظ الجمع جعل ما قبله على لفظه ليأتلّف نظام الكلام على لفظ واحد.

وقراءة الأفعال الخمسة بالياء؛ إخباراً من النبي ﷺ عن ربه ﷻ؛ وذلك لأن الكلام ابتدئ به بالخبر عن الله بلفظ التوحيد فقال: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ...﴾ {الإسراء:66} وقال: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ {الإسراء:67} فما أتى عقيبه من الكلام جارياً على معناه، لأن القصة واحدة والكلام يتبع بعضه بعضاً. (1)

ومن قرأ (فتغرقكم) بالتاء فالفعل للريح. (2) والريح هي: الهواء المتحرك، وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة. (3)

التفسير:

بعد أن تحدثت الآية السابقة عن إعراض الكافرين عن التوحيد حين شعورهم بالأمن ونجاتهم من أخطار البحر، وكفرهم لنعم الله عليهم، أنكر الله ﷻ على الكافرين كفرهم به، وشعورهم بالأمن من مكر الله بهم، وتقليب الأحوال عليهم، وبين ﷻ أن قدرته وسعت كل شيء؛ وذلك أن جانب البحر ليس هو وحده المختص بالإهلاك، وإنما في جانب البر جوانب أخرى من الإهلاك.

يقول الطبري: " أفأمنتم أيها الناس من ربكم وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البر كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره، ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ يعني ناحية البر ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم كما فعل بقوم لوط، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم من يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه، وما يمنعكم منه... أم أمنتم أيها القوم من ربكم وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ يقول: مرة أخرى، ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ وهي التي تقصف

(1) انظر: حجة القراءات (ص406)، الحجة في القراءات السبع (ص128).

(2) معاني القراءات (ص258). (3) مفردات الراغب (ص232) مادة: روح.

ما مرت به فتحطمه وتدقه ، ﴿ فَيَغْرَقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ يقول: فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف ﴿ بما كفرتم ﴾ يقول: بكفركم به، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائراً يثأرنا بإهلاكنا بكم " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الأفعال الخمسة (نخسف . نرسل . نعيدكم . فرسل . فغرقكم) بالنون أن الله ﷻ هو الفاعل لهذه الأمور والمخبر عنها، فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب، حيث أن سياق الآية من قبل في قوله تعالى ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ يقتضي الغيبة، ولكنه التفات إلى التكلم عن نفسه ليدل بذلك دلالة واضحة على مدى إنكار الله ﷻ لأفعال الكافرين، ومدى شدة العذاب الذي يهددهم به، كما فيه تحذير للذين لا يلجئون إلى الله إلا في وقت الشدائد فقط، لأن هذا المسلك لا يرضى الله عنه لأنه طريق الكافرين والمنافقين، أما المؤمنون فهم الذين يفرعون ويلجئون إلى الله في كل حال.

وأفادت قراءة الأفعال الخمسة (يخسف . يرسل . يعيدكم . فيرسل . فيغرقكم) بالياء أن الله ﷻ يأمر نبيه ﷺ أن يخبر أولئك الكافرين عن ربه ﷻ بهذا التهديد، والإنكار لكفرهم.

لقد ذهب المفسرون إلى أنه لا فرق بين قراءة (الريح) و قراءة (الرياح) من حيث المعنى، باعتبار أن قراءة الأفراد (الريح) هي اسم جنس يدل على القليل والكثير، فتتفق مع قراءة الجمع (الرياح). (2)

يقول القرطبي: " فَمَنْ وَحَدَّ الرِّيحَ فَلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الريح." (3)

وحيث أن المقام هنا هو مقام ذكر العذاب للكافرين، فناسب أن يكون المقصود من قراءة الأفراد الجنس، ومع ذلك فقد أفادت قراءة (الريح) بالأفراد؛ أن الله يرسل على الكافرين ريحاً يعذبهم بها، وجاءت قراءة (الرياح) بالجمع لتبين أن الريح المرسله عليهم ريحٌ كثيرة تهب من كل جانب مما يدل على هول العذاب وشدته.

وأفادت قراءة (فتغرقكم) أن الرياح أو الريح تُغرق أولئك الكافرين بأمر الله وقدرته؛ لأنها مسخرة بأمره.

(1) انظر: تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 84-85).

(2) لقد أشار إلى هذا الرأي عبد الله الملاحي عند تفسيره للآية (164) من سورة البقرة. (3) تفسير القرطبي (مجلد 1 ج 2 ص 595).

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات أنّ الله ﷻ يتوعد أولئك الكافرين إن استمروا على كفرهم بالعذاب الشديد في قرآنه الذي يتلوه عليهم رسوله الكريم؛ وذلك بتسخير مخلوقاته لتوقع بهم العذاب؛ من خسف أو إرسال للريح الشديدة التي تهب عليهم وترميهم بالحصباء، أو إعادتهم إلى البحر الذي فروا منه مرة أخرى؛ ليرسل عليهم ريحاً شديدة تحيط بهم من كل جانب فتدمر كل شيء تمر عليه فتغرقهم بأمر الله، فحينها لا يجدون لهم نصيراً ولا دافعاً لهم من عذاب الله، ولا ثائراً يثأر لهم.

22- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ

وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء].

القراءات:

1. قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف (أعمى) بالإمالة في الموضعين.
2. قرأ أبو عمرو ويعقوب (في هذه أعمى) بالإمالة، و (فهو في الآخرة أعمى) بفتح الميم.
3. قرأ الباقون (أعمى) مفتوحة الميم في الموضعين. (1)

اللغة والبيان:

العمى يقال في انتقاد البصر والبصيرة، ويقال في الأول: أعمى، وفي الثاني: أعمى وعم، وعلى الأول قوله: ﴿ أن جاءه الأعمى ﴾ عبس {2}، وعلى الثاني ما ورد من ذم العمى في القرآن نحو قوله: ﴿ صم بكم عمي ﴾ البقرة {18}. (2)

فقراءة من قرأ (أعمى) الأولى بكسر الميم (3)، وقراءة (أعمى) الثانية بفتح الميم؛ فعلى اعتبار أن الأول اسماً - صفة - والثاني تعجباً على (أفعل) من كذا، فتم التفريق بين المعنيين باختلاف الحركتين، ومن كسر الميم منهما أو فتحهما معاً؛ فعلى معنى واحد وهو: الاسم، أي الصفة. (4)

(1) انظر: النشر (33/2)، الإتحاف (ص360).

(2) مفردات الراغب (ص389). مادة: عمي.

(3) يقصد بكسر الميم: الإمالة.

(4) انظر: معاني القراءات (259).

التفسير:

تحدثت الآية السابقة عن تفاوت أحوال الناس في الآخرة بحسب أعمالهم في الدنيا؛ فابتدأت بحال المؤمنين أولي البصائر والنهي المتقين لله، وما لهم من الكرامة والسرور والتوفية لأجورهم يوم القيامة، وانتقلت هذه الآية إلى الحديث عن النقيض من هذا الحال؛ وهو: حال الكافرين الذين عموا عن رؤية نعم الله عليهم، ودلائله الدالة على توحيده، فكما كانوا على عمى قلبي في الدنيا فهم في الآخرة أشد عمى عن رؤية الكرامة، وعن طريق السعادة والنجاة.

يقول المنصوري: "من كان من المدعويين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم ما فعل من فنون التكريم والتفضيل أعمى فاقد البصيرة، لا يهتدي إلى رشده، ولا يعرف ما أوليناه به من التكريم، فضلاً عن شكرها والقيام بحقوقها، فهو في الآخرة لا يهتدي إلى ما ينجي به؛ لأن العمى الأول موجب للثاني، وسواء أكان العمى الثاني عمى البصيرة أم عمى العين كما قال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ طه {24,25} فهو أضل طريقاً من الأعمى فاقد البصر لزوال الاستعداد، وتعطيل الآلات بالكلية". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (أعمى) بالإمالة فيهما معاً، أو (أعمى) بفتح الميم منهما معاً؛ أن العمى في الدنيا هو عمى قلبي فقط، أما في الآخرة فقد يكون عمى قلبياً أو بصرياً أو هما معاً.

يقول الفخر الرازي: " لا شك أنه ليس المراد من قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ﴾ عمى البصر، بل المراد منه عمى القلب، أما قوله ﴿ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ففيه قولان:

القول الأول: أن المراد منه أيضاً عمى القلب، وعلى هذا التقدير ففيه وجوه:

الأول والثاني: من كان في الدنيا أعمى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فبأن يكون في الآخرة أعمى القلب عن معرفة أحوال الآخرة أولى، **الوجه الثالث:** من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً؛ لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل توبته، وفي الدنيا يهتدي إلى التخلص من أبواب الآفات، وفي الآخرة لا يهتدي إلى ذلك البتة. **الوجه الرابع:** ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن معرفة الله، فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنة.

القول الثاني: أن يُحمل العمى الثاني على عمى العين والبصر، فمن كان في هذه الدنيا أعمى

(1) انظر: المقتطف (214/3) بتصرف.

القلب حشر يوم القيامة أعمى العين والبصر، كما قال تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ كَذَلِكَ آيَاتِنَا فَانْسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ طه {24-26} وقال ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ الإسراء {97} وهذا العمى زيادة في عقوبتهم " . اهـ (1)

وأفادت قراءة (أعمى) الأولى بالإمالة، وقراءة (أعمى) الثانية بفتح الميم؛ أن العمى في الأولى والثانية هو: عمى القلب، وأنه في الآخرة يكون أشد عمى منه من الدنيا.

يقول الشوكاني: " قوله ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ أفعل تفضيل، أي: أشد عمى، وهذا مبني على أنه من عمى القلب، إذ لا يُقال ذلك في عمى العين". (2)

يقول أبو علي الفارسي (3) : " وأما قراءة أبي عمرو: ﴿ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ فأمال الألف من الكلمة الأولى، ولم يملها في الثانية، فلأنه يجوز أن لا يجعل أعمى في الكلمة الثانية عبارة عن العوارف الجارحة، ولكن جعله أفعَل من كذا، مثل: أبلد من فلان، فجاز أن يقول فيه: أفعَل من كذا، وإن لم يجز أن يقال ذلك في المصاب ببصره ، وكذلك قوله ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ أي: أعمى منه في الدنيا، ومعنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب، ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله: ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ وكما أن هذا لا يكون إلا على أفعَل، كذلك المعطوف عليه، ومعنى أضل سبيلاً في الآخرة: أن الضلالة في الدنيا قد كان ممكناً من الخروج منه، وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه، ويجوز أن يكون قوله: أعمى، فيمن تأوله أفعَل من كذا على هذا التأويل أيضاً " . اهـ (4)

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات أنّ الله ﷻ حينما يحشر الكافرين الغافلين عن رؤية نعم الله عليهم وشكرها، الدالة على توحيده، فإنه سبحانه لا يحشرهم بمثل حالهم في الدنيا من غفلة و عمى قلب فقط ، بل يكون عماهم في الآخرة أشد وضلالة لا سبيل إلى الخروج منها، ويزيدهم عليها عمى بصرٍ نكايّة بهم .

(1) انظر: التفسير الكبير (20/11) بتصرف. (2) فتح القدير (310/3).

(3) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، انتهت إليه رئاسة علم النحو، وقد أخذ عنه النحو أئمة كبار كابن جنى وغيره، ألف كتاب التذكرة، وكتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد ، والإيضاح والتكملة وغير ذلك، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة. { انظر: غاية النهاية (206/1) }.

(4) انظر: الحجة للقراء السبعة (112-113/5).

23- قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء).

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر (خَلْفَكَ) بفتح الخاء وإسكان اللام من غير ألف.
2. قرأ الباقون (خِلَافَكَ) بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها. (1)

اللغة والبيان:

(خَلْفَكَ) بدون ألف، أي: بعدك؛ كما قال عَجَلٌ ﴿نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ البقرة {66} أي: بعدها، (خِلَافَكَ) بالألف، أي: مخالفة لك، وذلك لإجماع الجميع على قوله عَجَلٌ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ التوبة {81} فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. (2)

التفسير:

حينما همَّ كفار قريش بإخراج الرسول من مكة نزلت هذه الآية (3)؛ فتوعدهم الله فيها بأنهم لو أخرجوه لن يلبثوا بعده إلا قليلاً، ولو فعلوا ذلك ما أمهلوا، ولكن الله منعهم من إخراجهم، حتى أمره الله بالخروج، وذلك لأن من سنن الله في الذين كفروا بالرسول وأذوهم، أن الله يخرج الرسول من بين أظهرهم ثم يأتيهم بالعذاب.

يقول الطبرسي: "إنهم لم يخرجوه من مكة، ولكنهم همُّوا بإخراجهم، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الأنفال {30} ثم خرج ﷺ لَمَّا أُمِرَ بالهجرة خوفاً منهم، وندموا على خروجه، ولذلك ضمنوا الأموال في رده فلم يقدروا على ذلك، ولو أخرجوه لاستوصلوا بالعذاب ولما تواروا طرّاً (4) ". (5)

(1) انظر: النشر (231/2).

(2) انظر: حجة القراءات (408)، مفردات الراغب (176) مادة: خلف.

(3) رجحه كثير من العلماء إلا أن بعض المفسرين قد أشاروا إلى سبب آخر للنزول وهو أنها نزلت في يهود حينما تحالوا على النبي ﷺ ومكروا به لإخراجه من مكة. (راجع: لباب النقول للسيوطي، وتخريج محقق الكتاب ص 172).

(4) طرّاً: جميعاً. مختار الصحاح (ص 414) مادة: طرر.

(5) مجمع البيان (263/6).

يقول ابن كثير: " نزلت في كفار قريش، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم، فتوعدهم الله بهذه الآية (1)، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً. وكذلك وقع؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم، بعدما اشتد أذاهم له، إلا سنة ونصف، حتى جمعهم الله وإياه بيدر على غير معاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرافهم وسبى سراتهم (2) ". (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (خَلَفَ) بدون ألف، أن كفار مكة لن يلبثوا بعد خروج الرسول ﷺ إلا قليلاً؛ حيث بعد خروجه من مكة بفترة قصيرة جمعه الله ﷻ بهم في بدر حيث قتلوا. يقول ابن عاشور: " فلم يلبث الذين تسببوا في إخراجهم، وألبوا عليه قومهم بعده إلا قليلاً، ثم خرجوا إلى وقعة بدر فلقوا حنقهم هنالك، فلم يرجعوا، وحق عليهم الوعيد، وأبقى الله عامتهم ودهماءهم لضعف كيدهم، فأراد الله أن يدخلوا في الإسلام بعد ذلك، وفي الآية إيماء إلى أن الرسول ﷺ سيخرج من مكة وأن مخرجيه، أي المتسببين في خروجه، لا يلبثون بعده بمكة إلا قليلاً " . (4)

وأفادت قراءة (خِلَافَ) بالألف، أن الكافرين لن يلبثوا في مخالفتهم للرسول ﷺ إلا قليلاً، حيث إن سادة القوم الذين كانوا على مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى الكفر به لم يلبثوا إلا زمناً يسيراً حيث انتقم الله منهم في غزوة بدر.

الجمع بين القراءتين:

يتبين من خلال الجمع بين القراءتين أن الله ﷻ قد توعد الكافرين المخالفين لرسول الله ﷺ بالمكث خلفه زمناً قليلاً بعد إخراجهم ثم يستأصلهم بالعذاب، وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى واحد .

يقول الألوسي: " (خِلَافَ) أي: خلفك، وقرأ أهل الحجاز . وأبو بكر. وأبو عمرو (خَلَفَ) بغير ألف، والمعنى واحد واللفظان في الأصل من الظروف المكانية، فتجوز فيهما واستعملا للزمان، وقد اطردهما إضافتهما كـ(قبل) و(بعد) إلى أسماء الأعيان، على حذف مضاف يدل عليه ما قبله، أي: لا يلبثون خلف استقزازك وخروجك إلا زمناً قليلاً " . (5)

(1) أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة ومجاهد أحاديث بهذا المعنى، وقد رجحها على غيرها {انظر: تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 90) }

(2) سراتهم: أشرافهم وخيارهم. انظر: اللسان (2004/3) مادة: سرا.

(3) تفسير ابن كثير (106/5). (4) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 179). (5) انظر: روح المعاني (130/15).

24- قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء].

القراءات:

1. قرأ أبو عمرو ويعقوب (ونُزِّل) بتسكين النون وتخفيف الزاي.
2. قرأ الباقر (ونُزِّل) بفتح النون وتشديد الزاي. (1)

اللغة والبيان:

النزول: هو الانحطاط من علو. (2)

- (نُزِّل) بالتشديد؛ مأخوذة من نَزَلَ، يُنَزِّلُ، (نُنزِّل) بالتخفيف مأخوذة من أنزل يُنزل. (3)
- و(نزل) بتخفيف الزاي تتعدى بحرف الجر، يُقال: نزل عليهم، ونزل بهم، ونزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، ومصدر (نزل) مخفف الزاي (نزولاً) .
- وأما مصدر (نزل) مضعف العين فهو (التنزيل)، ومصدر (أنزل) الرباعي فهو (الإنزال). (4)
- والعرب تقول: نزلت القوم منازلهم، وأنزلتهم منازلهم بمعنى واحد. ومنهم من يستعمل التشديد فيما يُتكرر ويكثر العمل فيه، ويخفف فيما لا يكثر ولا يتكرر. (5)
- ويقول ابن الزبير: " لفظ (نزل) يقتضي التكرار لأجل التضعيف، تقول: ضربَ مخففاً لمن وقع منه ذلك مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أنسب وأقوى. أما إذا قلنا ضربَ بتشديد الراء فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه... أما لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك إعطاء نزل وإن كان محتملاً ". (6)

(1) انظر: النشر (164/2).

(2) مفردات الراغب (ص543) . مادة: نزل.

(3) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص35).

(4) انظر: التاج (133/8). مادة: نزل.

(5) معاني القراءات (ص58).

(6) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن الزبير الغرناطي

(141/1).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أثر القرآن المنزل من عند الله ﷻ على كل من المؤمن والكافر؛ فهي شفاء ورحمة للمؤمنين ، وهلاك وخسران للكافرين .

يقول القاسمي: " أي: ونزل عليك من القرآن ما يُستشفى به من الجهل والضلالة، ورحمة ببيان الحقائق وإقامة البراهين للمؤمنين به دون الكافرين؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله وشرائعه، فيدخلهم الجنة وينجيهم من العذاب، فهو لهم رحمة ونعمة. ولا يزيد الظالمين بكفرهم وشركهم إلا خساراً أي إهلاكاً؛ لأنهم كلما جاءهم أمر من الله أو نهي كفروا به، فزادهم خساراً إلى ما كانوا فيه قبل، ورجساً إلى رجسهم " . (1)

ويقول ابن الجوزي: " (من) هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء، وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال:

أحدها: شفاء من الضلال لما فيه من الهدى.

والثاني: شفاء من السقم لما فيه من البركة.

والثالث: شفاء من البيان للفرائض والأحكام.

وفي الرحمة قولان:

أحدهما: النعمة.

والثاني: سبب الرحمة.

قوله تعالى ﴿ولا يزيد الظالمين﴾ يعني المشركين، ﴿إلا خساراً﴾ لأنهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه فيزيد خسرانهم " . (2)

ويقول أبو السعود: " وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض، وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك، وإسناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع أنهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنعهم باعتبار كونه سبباً لذلك، وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك " . (3)

(1) محاسن التأويل (3976/10-3977).

(2) زاد المسير (5/79).

(3) تفسير أبي السعود (230/3).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (وَنُنزِّلُ) بأن الله ﷻ ينزل القرآن على المؤمنين ليكون شفاءً لهم من كل داء، ورحمة بهم، وخسراناً للكافرين كذلك.

وأفادت قراءة (وَنُنزِّلُ) أن هذا التنزيل من الله ﷻ كثير ومتكرر كذلك، حتى يكون المؤمن على شفاء دائم واتصال مع الله.

يقول ابن عاشور: " ولأن القرآن مصدر الحق ومدحض الباطل أعقب قوله ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ بقوله ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة﴾ الآية. ولهذا اختير للإخبار عن التنزيل الفعل المضارع المشتق من فعل المضاعف للدلالة على التجديد والتكرير والتكثير، وهو وعد بأنه يستمر هذا التنزيل زمناً طويلاً " . (1)

الجمع بين القراءتين:

لقد بينت قراءة (نُنزِّلُ) بالتشديد قراءة (نُزِّلُ) بالتخفيف؛ وذلك أن قراءة التخفيف أفادت أن الله ﷻ ينزل القرآن شفاءً ، وقراءة التشديد بينت أن هذا التنزيل كثير ومتكرر. وعلى هذا فقراءة التشديد أضافت معنىً جديداً لقراءة التخفيف، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه.

25- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ

الْشَّرُّ كَانَ يُوسَىٰ ﴿٨٢﴾ الإسراء .

القراءات:

1. قرأ ابن ذكوان وأبو جعفر (وَنَأَى) بألف ممدودة بعد النون وبعدها همزة مفتوحة.
2. قرأ الباقر (وَنَأَى) بهمزة مفتوحة ممدودة بعد النون وبعدها مد. (2)

اللغة والبيان:

نأى: نأى عنه يَنأى بالفتح، نأياً، بوزن فَلَئْسَ، أي بَعْدَ. (3) وتَحَى. (4)

(1) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 189).

(2) انظر: النشر (231/2).

(3) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ص 667). (4) حجة القراءات (ص 409).

قال أبو عمرو: نأى مثل نعى. أي: أعرَضَ ، وقال أبو عبيدة: تَبَاعَدَ. (1)

ناء: يُقال ناء بالحمل أي: نهض به مثقلاً (2)، كما قال تعالى ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ القصص (76) أي: تنهض. والأصل: (نَوَأً) فانقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومدت الألف تمكيناً للهمزة. (3) ومثل هذا في القلب قولهم: (رأى) و (راء).
قال الشاعر: وكل خليل رءاني فهو قائل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد (4)

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن أولئك الكافرين الذين يزيدهم القرآن خساراً، فإن من صفاتهم الإعراض عن تدبر آيات الله ، والكفران بنعمه، وإذا نالتهم شدة من فقر أو مرض أو مصيبة، قنطوا من رحمة الله.

يقول أبو حيان: " لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمن وبزيادة خسارة للظالم، وعرَضَ بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان، ومع ذلك (أعرض) عنه وبعد بجانبه اشمزازاً له وتكبراً عن قرب سماعه وتبديلاً مكان شكر الإنعام كفره. وقرأ الجمهور: (ونأى) من النأى وهو البُعد، وقرأ ابن عامر (وناء). وقيل هو مقلوب نأى فمعناه بَعُدَ. وقيل: معناه نهض بجانبه.

وقال الشاعر: حتى إذا ما التأمت مفاصله وناء في شق الشمال كاهله (5)

أي نهض متوكئاً على شماله. ومعنى (يؤوساً) قنوطاً من أن ينعم الله عليه. والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه (6) بل المراد به الجنس كقوله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ الآية، وهو راجع لمعنى الكافر، والإعراض يكون بالوجه والنأى بالجانب يكون بتولية العطف أو يراد بنأى الجانب الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين. (7)

(1) انظر: مفردات الراغب (ص534). مادة: نأى.

(2) مختار الصحاح (ص709).

(3) حجة القراءات(ص408-409).

(4) حجة القراءات (ص408) ، والبيت لكثير عزة. استشهد به سيبويه على القلب في كتابه (467/3).

(5) لم أفق عليه، والبيت ذكره الألويسي وابن حيان وابن عطية غير منسوب.

(6) أشار أبو حيان هنا إلى عدم قبول الرأي القائل بأن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة كما نُقل عن ابن عباس .

(7) البحر المحيط (73/6).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (نأى) أنّ الكافر حينما ينعم الله عليه يكفر هذه النعمة فلا يشكرها، ويترك التقرب إلى الله.

وأفادت قراءة (ناء) أنّ الكافر حينما ينعم الله عليه يجد ثقلاً في شكر هذه النعمة، ويتكبر عنها وهي في معنى قوله تعالى ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ الأعراف(176).

يقول ابن عطية: "والذي عندي أنّ (ناء و نأى) فعلان متباينان، وناء بجانبه عبارة عن التحيز والاستبداد، ونأى عبارة عن البعد والفرق". (1)

ويقول الألويسي: "﴿ و نأى بجانبه﴾ لوى عطفه (2) عن طاعتنا وولاها ظهره، وأصل معنى النأى: البعد، وهو تأكيد للإعراض بتصوير صورته، فهو أوفى بتأدية المراد منه، ومثله يجوز عطفه لايهام المغايرة بينهما، وهو أبلغ من ترك العطف ... ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار، فإن ثني العطف من أفعال المستكبرين، ولا يبعد أن يراد بالجانب النفس، كما يقال: جاء من جانب فلان كذا، أي: منه، وهو كناية أيضاً، كما يعبر بالمقام والمجلس عن صاحبه. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان و(ناء) هنا وفي فصلت، فقليل ذلك من باب القلب، ووضع العين محل اللام، كراء و وراء، وقيل لا قلب وناء بمعنى: نهض كما في قوله:

حتى إذا ما التأمت مفاصله وناء في شق الشمال كاهله (3)

أي: نهض متوكئاً على شماله، وفسر نهض هنا بأسرع، والكلام على تقدير مضاف، أي: أسرع بصرف جانبه، وقيل: معناه تتأقل عن أداء الشكر فعل المعرض. (4)

الجمع بين القراءتين:

يتبين من خلال الجمع بين القراءتين: أنّ الكافر إن أصابته نعمة أعرض وتباعد عن الله وعبادته وشكر نعمته، مستكبراً مستثقلاً أداء حق الله عليه، وفي ذلك دليل على شدة كفر من يكون هذا حاله. فالقراءتان إذاً وصفتا حال الكافر وصفاً تصويرياً دقيقاً دلّ على بلاغة القرآن وإعجازه في ألفاظه.

(1) المحرر الوجيز(481/3).

(2) أعرض ثانياً عُنُقُهُ ، وهذا يُوصَف به المتكبر. { انظر: اللسان (2997/4) مادة: عطف }.

(3) سبق تخريج هذا الشاهد فانظره ص122

(4) انظر: روح المعاني(147/15).

26- قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ

يَنْبُوعًا ﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (تَفْجُرَ) بفتح التاء وإسكان الفاء وضم الجيم وتخفيفها.

2. قرأ الباقر (تَفْجُرَ) بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم وتشديدهما. (1)

اللغة والبيان:

الفجر: شق الشيء شقاً واسعاً. (2) ويُقال: فَجَرَ الماء، فانفجر، أي: بجسه فانبجس، وبابه نَصَرَ، وفَجَّرَه تَفْجِيرًا فَتَفَجَّرَ؛ شُدُّدٌ لِلكَثْرَةِ. (3)

من قرأ (تَفْجُرَ) فهو من تفجير الماء، وهو فتحه، وشق سِكْرَةَ (4) الأرض عنه حتى ينفجر ماء ينبوع انفجاراً. والمقصود بذلك: كثرة الانفجار من ينبوع وإن كان ينبوع واحداً.

ومن قرأ (تَفْجُرَ) فهو من فَجَرَتُ السُّكْرَ أَفْجَرَه، إذا بنقته وفتحته، والفجر: الشق، وبه سُمِّيَ الصبح فجرًا لاشتقاق ظلمة الليل عن نور الفجر إما ساطعاً وإما مستطيراً. (5)

التفسير:

بعد أن أثبت الله ﷻ كون القرآن معجزاً، وبأنه من عند الله، أُسْقِطَ في يد المشركين، ولكنهم أبوا إلا الكفر والطغيان، فتعللوا بما لا يمكن في العادة وجوده أو وقوعه، فطلبوا إحدى آيات ست، ليؤمنوا بمحمد ﷺ؛ منها أن يشقق لهم من أرض مكة عيناً لا ينضب ماؤها. فأنزل الله هذه الآية وما بعدها ذكراً فيها طلباتهم والرد عليهم. (6)

(1) انظر: النشر (231/2). (2) مفردات الراغب (418) مادة: فجر. (3) انظر: مختار الصحاح (ص517) باب الفاء.

(4) والسُّكْرُ: الموضع المسدود. { انظر: مفردات الراغب (ص265) مادة: سكر. }

(5) انظر: معاني القراءات (ص261)، مجمع البيان (273/6).

(6) هذا مختصر معنى حديث سبب النزول، وهو حديث طويل أخرجه الطبري في تفسيره (مجلد8 ج15 ص110-111) عن ابن عباس من طريق ابن اسحق، وأخرجه من طريق ابن حميد بنحوه. وذكره السيوطي في لباب النقول (ص174-175). وقال فيه محمود بن الجميل محقق الكتاب: إسناد ضعيف بسبب إيهام شيخ من أهل مصر، وابن اسحق مدلس وقد عنعن. وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (50/3-51) وصرح فيه باسم الرجل فقال: هو شيخ من أهل مصر يقال له محمد بن أبي محمد.

يقول الطبرسي: " لما بين سبحانه فيما تقدم إعجاز القرآن، عقب ذلك البيان بأنهم أبوا إلا الكفر والطغيان ، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك، فقال: ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ أي: لن نصدقك فيما تدعي من النبوة ﴿حتى تفجر لنا من الأرض﴾ أي: تشقق لنا من أرض مكة ؛ فإنها قليلة الماء ﴿ينبوعاً﴾ أي: عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة " . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (تَفَجَّرَ) بالتخفيف أن الكافرين طلبوا من الرسول ﷺ أن يشق لهم الأرض ويحدث نبعا يتدفق من الماء، وأفادت قراءة (تَفَجَّرَ) بالتشديد أن الكافرين طلبوا من الرسول ﷺ أن يبالغ في التفجير حتى يكون الماء كثيراً ومتدفقاً بغزارة.

يقول ابن الجوزي: " فمن ثقل أراد كثرة الانفجار من ينبوع ومن خفف فلأن ينبوع واحد، فأما ينبوع فهو عين ينبع الماء منها " . (2)

يقول ابن عطية: " قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿حتى تَفَجَّرَ﴾، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿حتى تَفَجَّرُ﴾ بفتح التاء وضم الجيم، وفي القرآن (3) ﴿فانفجرت﴾ البقرة (60) وانفجر مطاوع فَجَرَ، فهذا مما يقوي القراءة الثانية، وأما الأولى فتقتضي المبالغة في التفجير. والينبوع الماء النابع، وهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير " . (4)

الجمع بين القراءتين:

من خلال الجمع بين القراءتين يتبين أن الكفار طلبوا من الرسول ﷺ أن يشق لهم الأرض ويبالغ في الشق؛ ليكون لهم ينبوعاً غزيراً متدفقاً ينبع منه ماءً كثيراً. فقراءة التشديد هنا بينت قراءة الخفيف، وهذا يدل على بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه .

(1) مجمع البيان (275/6).

(2) زاد المسير (86/5).

(3) وموضع الشاهد في الآية ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ أن الماء المتدفق من ينبوع كثيرٌ وغزيرٌ كما الماء النابع من فجر الحجر فهو يحتوي على عدد من العيون، وعلى هذا تكون قراءة التشديد موضحة لقراءة التخفيف.

(4) المحرر الوجيز (484/3).

27- قال تعالى: ﴿أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَسِيفًا أَوْ تَأْتِيَنَا

بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ ﴿١٢﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن عامر وعاصم (كِسْفًا) بفتح السين.

2. قرأ الباقر (كِسْفًا) بإسكان السين. (1)

اللغة والبيان:

الكسفة: القطعة من الشيء، (2) (كِسْفًا) متحركة السين، جمع (كِسْفَةٌ) مثل: قِطْعَةٌ وَقِطْعٌ، وَكِسْرَةٌ وَكِسْرٌ، و(كِسْفًا) ساكنة السين، جمع كِسْفَةٌ، كما تقول: بُسْرَةٌ وَبُسْرٌ (3)، والفرق بين الواحد والجمع طرح الهاء، وليس بجمع تكسير، (4) وقيل: أن يكون الكِسْفُ واحداً، ويُجمع على (كِسْفًا). (5)

التفسير:

لم يكتف الكافرون بتحدي الرسول بالمعجزات التي فيها نفعهم الدالة على صدقه ؛ بل طلبوا منه أن يأتي بمعجزة فيها مضرتهم ، وأخرى فيها استحالة الحدوث.

يقول ابن عاشور: " وقولهم ﴿أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ انتقال من تحديهم بخوارق فيها منافع لهم إلى تحديه بخوارق فيها مضرتهم، يريدون بذلك التوسيع عليه، أي: فليأتهم بآية على ذلك ولو في مضرتهم. وهذه حكاية لقولهم كما قالوا. ولعلمهم أرادوا به الإغراق في التعجيب من ذلك فجمعوا بين جعل الإسقاط لنفس السماء، وعززوا تعجيبهم بالجملة المعترضة وهي: ﴿كَمَا زَعَمْتِ﴾ إنباء بأن ذلك لا يصدق به أحد. وعنوا به قوله ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسُقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ سبأ(9) وبقوله ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ الطور(44). إذ هو تهديد لهم بأشراط الساعة وإشرافهم على الحساب. (6)

(1) انظر: النشر(2/232) .

(2) مختار الصحاح(597) باب الكاف.

(3) البُسْر جمع بُسْرَةٌ، والبُسْرَةُ: هي المرحلة الثانية من مراحل تحول البلح إلى رطب. {انظر: مختار الصحاح (ص64) مادة: بسر}

(4) انظر: حجة القراءات (ص410).

(5) معاني القراءات (ص261).

(6) التحرير و التتوير (مجلد7ج15ص209)

يقول الصابوني: " هذا هو الاقتراح الثالث، أي: تجعل السماء تتساقط علينا قطعاً قطعاً كما كنت تخوفنا، وتزعم أن الله سيعذبنا إن لم نؤمن بك، قال المفسرون: أشاروا إلى قوله تعالى ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ سبأ(9) ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ أي تحضر لنا الله وملائكته مقابلة وعياناً فنراهم. (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (كِسْفًا) ساكنة السين، أن الكافرين طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء تسقط عليهم قطعاً قطعاً كثيرة.

وأفادت قراءة (كِسْفًا) بفتح السين، أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء تسقط عليهم قطعاً دون الإشارة إلى الكثرة أو القلة لهذه القطع.

يقول الطبري: " (كِسْفًا) بسكون السين بمعنى ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسْفًا﴾ وذلك أن الكِسْفَ في كلام العرب جمع كِسْفَةٍ، وهو جمع الكثير من العدد للجنس، كما تجمع السِدْرَةُ سِدْرًا، والتمر بتمر، فحكي عن العرب سماعاً أعطني كِسْفَةً من هذا الثوب، أي قطعة منه، يقال منه: جاءنا بثر يد كِسْفٍ؛ أي: قطع خبز، وقد يحتمل إذا قرئ كذلك (كِسْفًا) بسكون السين أن يكون مراداً به المصدر من (كِسْفٍ)، فأما الكِسْفُ بفتح السين؛ فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر، يقال كِسْفَةٌ واحدة وثلاث كِسْفٍ، وكذلك إلى العشر، (كِسْفًا) بفتح السين بمعنى جمع الكسفة الواحدة من الثلاث إلى العشر، يعني بذلك قطعاً ما بين الثلاث إلى العشر. (2)

الجمع بين القراءتين:

يتبين من خلال الجمع بين القراءتين أن الكافرين قد طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل السماء مقطعة قطعاً تسقط عليهم فجاءت قراءة التسكين لتبين أنهم طلبوا أن يكون سقوط السماء عليهم قطعاً كثيرة. وعلى ذلك فقراءة التسكين مبينة لقراءة الفتح، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه. ففي تنوع القراءات بيان وإثراء للمعاني. وفيه دلالة على مدى عنادهم وكفرهم وتحديهم للرسول ﷺ.

(1) صفوة التفسير (154/2).

(2) انظر: تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 108).

28- قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُحْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿١٣﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وابن عامر (قال) بفتح القاف وإثبات ألف بعدها بصيغة الماضي.
2. قرأ الباقون (قُلْ) بضم القاف وحذف الألف بصيغة الأمر. (1)

البيان:

قراءة (قال) على الخبر عن النبي ﷺ أنه قال عند اقتراحهم هذه الأشياء التي ليست في طاقة البشر أن يفعلها، فقال: «سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا»، وقراءة (قُلْ) على الأمر للنبي ﷺ أن يقول ذلك، ويقوي هذا ما بعده: «قل لو كان في الأرض ملائكة...» {95} و«قل كفى بالله شهيدا...» {96}. (2)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن باقي مقترحات الكفار على الرسول ﷺ حتى يصدقوه ويؤمنوا به، والرد على تلك المقترحات؛ وذلك بتنزيه الله ﷻ عن أن يعجز عن شيء، والتعجيب من فرط كفرهم واقتراحاتهم.

يقول البغوي: " «أو يكون لك بيت من زحرف» أي : من ذهب ، وأصله الزينة ، «أو ترقى» ، تصعد ، «في السماء» ، هذا قول عبد الله بن أبي أمية ، «ولن نؤمن لرقيك» لصعودك «حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه» ، أمرنا فيه باتباعك ، «قل سبحان ربي» ، وقرأ ابن كثير و ابن عامر(قال) يعني محمداً ، وقرأ آخرون على الأمر ، أي : قل يا محمد ، «هل كنت إلا بشراً رسولاً» ، أمره بتنزيهه وتمجيده ، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا الفعل ، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر ، «وما أنا إلا بشر» وليس ما سألتهم في طوق البشر . واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله ، مثل : القرآن

(2) انظر: الكشف (52/2) ، حجة القراءات (ص411).

(1) انظر: النشر (232/2) .

وانشقاق القمر ، وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها ، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا ، فرد الله عليهم سؤالهم . (1)

يقول ابن عطية: " يروى أن قائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية، فإنه قال لرسول الله ﷺ: أنا لا أؤمن لك حتى تأتي بكتاب أراك هابطاً به فيه من الله عز وجل إلى عبد الله بن أبي أمية(2)، وروى أن جماعتهم طلبت هذا النحو منهم، فأمره الله عز وجل أن يقول ﴿سبحان ربي﴾ أي تنزيهاً له من الإتيان مع الملائكة قبيلاً، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم، ومن أن أقترح أنا عليه هذه الأشياء، وهل أنا إلا بشر منكم، أرسلت إليكم بالشرعية، وإنما عليّ التبليغ فقط " . (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

يقول القرطبي: " ﴿قل سبحان ربي﴾ وقرأ أهل مكة والشام ﴿قال سبحان ربي﴾ يعني النبي ﷺ ؛ أي قال ذلك تنزيهاً لله عز وجل عن أن يعجز عن شيء وعن أن يعترض عليه في فعل. وقيل: هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم. الباقر ﴿قل﴾ على الأمر؛ أي قل لهم يا محمد ﴿هل كنت﴾ أي ما أنا ﴿إلا بشراً رسولاً﴾ اتبع ما يوحى إلي من ربي، ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحداً من البشر أتى بهذه الآيات " . (4)

يقول ابن عاشور: " وقرأ الجمهور (قل) بصيغة الأمر، وقرأه ابن كثير وابن عامر (قال) بألف بعد القاف بصيغة الماضي على أنه حكاية لجواب الرسول ﷺ عن قولهم ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ على طريقة الالتفات " . (5)

الجمع بين القراءتين:

يتبين من خلال الجمع بين القراءتين أن الله ﷻ لقن نبيه ﷺ أن ينزهه ويرد على الكافرين بما يتناسب مع طلباتهم، فاستجاب ﷺ لأمر ربه، وفي هذا تعليم للمسلمين في كل عصر وأن أن يسترشدوا بآيات الله ﷻ في الرد على تخرصات الكافرين والمجادلين بالباطل، وهذا من إعجاز القرآن في أسلوب الالتفات.

(1) معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي(137/3)

(2) لفظ مقاله هي جزء من حديث نزول الآيات (90-93) وقد سبق الإشارة إليه وتخريجه فانظره(ص124) من هذا البحث.

(3) المحرر الوجيز (486/3).

(4) تفسير القرطبي (مجلد5ج10ص658).

(5) التحرير والتنوير(مجلد7ج15ص211).

29- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ
أُولِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا
وَصُمًّا مَّا أَوْبَهُمْ ۖ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ المدنيان⁽¹⁾ وأبو عمرو (المهتدي) بإثبات الياء وصلًا وحذفها ووقفًا.
2. قرأ يعقوب (المهتدي) بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، ورُويت عن قنبل من طريق ابن شنبوذ⁽²⁾.
3. قرأ الباقون (المهتد) بدون ياء وصلًا ووقفًا.⁽³⁾

البيان:

من أثبت الياء وصلًا ووقفًا: أتى بالكلمة على ما أوجبه القياس لها، لأن الياء إنما كانت تسقط لمقارنة التنوين في النكرة، فلما دخلت الألف واللام زال التنوين، فعاد لزواله ما سقط لمقارنته.

ومن أثبتها وصلًا وحذفها ووقفًا: فَحَذَفُهَا وَقَفًا عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقِفُ عَلَى الْاسْمِ الْمَنْقُوصِ غَيْرِ الْمُنَوَّنِ بِحَذْفِ الْيَاءِ تَخْفِيفًا لِثَقَلِ اسْمِ الْفَاعِلِ مَعَ ثِقَلِ حَرْفِ الْعِلَّةِ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، وَأَخَذَ بِالْأَصْلِ فِي الْوَصْلِ، فَأَتَى بِالْوَجْهِينِ مَعًا.

ومن حذفها فيهما: إجراءً للوصل مجرى الوقف، والفصحاء يجرون الفواصل مجرى القوافي، لأنهم اعتبروا الفاصلة كل جملة تم بها الكلام، والعرب تجتزئ بالكسرة من الياء.⁽⁴⁾

(1) المدنيان: هما : نافع وأبو جعفر .

(2) هو: أبو الحسن محمد بن أيوب بن الصلت، شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، قرأ القرآن على عدد كثير بالأمصار منهم قنبل وهارون بن موسى الأخفش وغيرهم ، قرأ عليه عدد كثير منهم أحمد بن نصر الشذائي ومحمد بن أحمد الشنبوذّي تلميذه، واعتمد أبو عمرو الداني والكبار على أسانيده في كتبهم، وكان يرى جواز الصلاة بما جاء في مصحف أبي، ومصحف ابن مسعود، وبما صح في الأحاديث مع أن الاختلاف في جوازه معروف بين العلماء قديما وحديثا، ويتعاطى ذلك، كان ثقة في نفسه صالحاً ديناً متبحراً، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة. {انظر: معرفة القراء (ص156-159) }

(3) انظر: النشر(2/232).

(4) انظر: الحجة في القراءات السبع(ص115) في موضع الآية التاسعة من سورة الرعد.
وانظر أيضاً: التحرير والتنوير(مجلد7ج15ص215-216).

التفسير:

يخبر الله ﷻ في هذه الآية عن تصرفه في خلقه، ونفوذ حكمه على عباده، وأنه لا معقب لحكمه، ايناساً للنبي ﷺ ليعلم أن مهمته التبليغ، والأمر أولاً وأخيراً عائد لله ﷻ.

يقول القاسمي: " «ومن يهد الله» أي إلى الحق بما جاء من قبله إلى الهدى «فهو المهتد، ومن يضل» أي: يخلق فيه الضلال بسوء اختياره، كهؤلاء المعاندين «فلن تجد لهم أولياء من دونه» أي أنصاراً يهدونهم ويحفظونهم من قهره، وإنما أوتر ضمير الجماعة في «لهم» حملاً على معنى «من» وأوتر في ما قبله الأفراد، حملاً على اللفظ. وسر الاختلاف في المتقابلين الإشارة إلى وحدة طريق الحق، وقلة سالكيه، وتعدد سبل الضلال، وكثرة الضلال ". (1)

ويقول المنصوري في كيفية حشر الكافرين: " «ونحشرهم» التفات من الغيبة إلى التكلم، ايذاناً بكمال الاعتناء بأمر الحشر، «يوم القيامة على وجوههم» أي كائنين عليها سحياً أو يمشون بها، روى الشيخان عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: {أليس الله الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا، قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا} (2) «عمياً وبكماً وصماً» أي: لا يبصرون ما يُقرُّ أعينهم، ولا يسمعون ما يُلذُّ مسامعهم، ولا ينطقون ما يُقبل منهم، لأنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر، ولا ينطقون بالحق، ولا يستمعونه، ويجوز أن يُحشروا عمياً وبكماً وصماً على الحقيقة، يستقرون في نار جهنم كلما سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم «زدناهم سعيراً» توقداً بأن بدلناهم جلوداً غيرها، فعادت ملتبهة، عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة، ليروها عياناً، حيث لم يعلموها برهاناً ". (3)

العلاقة بين القراءات:

أفادت قراءة (المهتد) بحذف الياء؛ بأن من يهده الله للإيمان فهو المهتدي إلى الحق الذي لا حق غيره، وهي مقصورة عليه دون غيره ممن يريد الرسول ﷺ هدايته وأضله الله.

وأفادت قراءة (المهتدي) بإثبات الياء؛ بأن من يهديه الله فهو دائم الهداية إلى الحق لأن نفسه ميالة إلى ذلك؛ لأن المهتدي يستمد هدايته من الله.

(1) محاسن التأويل (4002/10)

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم، حديث رقم (4760) {فتح الباري (492/8)} وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: يحشر الكافر على وجهه، (2161/4) حديث رقم (2806).

(3) المقتطف (228/3).

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات أن من يهديه الله إلى الإيمان فإن هذه الهداية مقصورة عليه لتوفر دواعي القبول عنده ، وبذلك يكون دائم الهداية إلى الحق لأنه يستمد هدايته من الله .

30- قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مُثْبُورًا ﴾ ﴿١٢﴾ الإسراء.

القراءات:

1. قرأ الكسائي (علمتُ) بضم التاء.
2. قرأ الباقر (علمتَ) بفتح التاء. (1)

البيان:

من قرأ (علمتُ) بضم التاء جعل التاء لموسى عليه السلام دلالة على إخباره عن نفسه بصحة ذلك، وأنه لا شك عنده، في أن الذي أنزل الآيات هو رب السموات.

ومن قرأ (علمتَ) بفتح التاء، جعل التاء لفرعون دلالة على المخاطبة، وأن فرعون ومن معه قد علموا صحة ما أتاهم به موسى، ولكن جحدوا ذلك معاندة وتجبراً، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ النمل {14}. (2)

التفسير:

بعد أن حكى الله عن قريش تعنتهم في اقتراحاتهم و عنادهم للرسول صلى الله عليه وسلم وبما ذكره صلى الله عليه وسلم مما جرى لموسى عليه السلام مع فرعون، وطلبات فرعون من موسى ليصدقه، ذكر في هذه الآية ما دار بينهما من حوار، وفي ذلك تسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الزحيلي: " قال موسى لفرعون: لقد علمت علم اليقين أن هذه الآيات التسع ما أنزلها خالق الأرض والسموات إلا حججاً وأدلة على صدق ما جئتك به، فهي تهدي الإنسان إلى

(1) انظر: النشر (232/2).

(2) انظر: حجة القراءات (ص129)، الكشف (52/2).

الطريق الحق، وأنها من عند الله لا من عند غيره، «وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً» أي: مغلوباً هالكاً، مصروفاً عن الخير، ميالاً إلى الشر. (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (علمت) بضم التاء؛ أن موسى ﷺ أخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور كما زعم فرعون، بل يعلم أن الله هو الذي أنزل الآيات التسع، حججاً وأدلة على صدق ما جاءه به .

يقول الزمخشري: " وقرىء «علمت» بالضم على معنى: إني لست بمسحور كما وصفنتي بل أنا عالم بصحة الأمر، وأن هذه الآيات مُنزَلُها ربُّ السموات والأرض، ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال: إن ظننتي مسحوراً فأنا أظنك «مثبوراً» هالكاً، وظني أصح من ظنك؛ لأن له أمارَةً ظاهرةً، وهي إنكارك ما عرفت صحته، ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنك فكذب بحت؛ لأن قولك مع علمك بصحة أمري: إني لأظنك مسحوراً قولٌ كذاب " . (2)

وأفادت قراءة (علمت) بفتح التاء؛ أن فرعون ومن معه قد علموا صحة أمر موسى ﷺ وأن هذه الآيات المنزلة هي من عند الله، وأن الله هو ربه، ولكنه جحود واستكبار.

يقول ابن عاشور: " ومعنى «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أن فرعون لم يبق في نفسه شك في أن تلك الآيات لا تكون إلا بتسخير الله إذ لا يقدر عليها إلا الله، وأنه إنما قال «وإني لأظنك يا موسى مسحوراً» عناداً ومكابرة وكبرياء، وأكد كلام موسى ﷺ بلام القسم وحرف التحقيق تحقيقاً لحصول علم فرعون بذلك، وإنما أيقن موسى بأن فرعون قد علم بذلك: إما بوحى من الله أعلمه به، وإما برأي مُصِيب، لأن حصول العلم عند قيام البرهان الضروري حصول عقلي طبيعي لا يتخلف عن عقل سليم " . (3)

الجمع بين القراءتين:

يتبين من خلال الجمع بين القراءتين أن كلاً من موسى ﷺ، وفرعون عليه اللعنة؛ علم بأن الله ﷻ هو الذي أنزل الآيات، وأن موسى ليس به مس من السحر، ولكن علم موسى بذلك ليقينه بالله، أما علم فرعون فلم يكن حاملاً له على الإيمان؛ بل كان حب الرياسة والملك دفعاً له للكفر والعناد.

(1) التفسير المنير (183/15).

(2) الكشاف (44/3).

(3) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 226-227).

يقول الخفاجي: " والمعنى أن علمي أو علمك بأن هذه الآيات من الله، إذ لا يقدر عليها
سواه؛ يقتضي أنني لست بمسحور ولا ساحر، وأن كلامي غير مختل، لكن حب الرياسة حملك
على العناد " . (1)

(1) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: شهاب الدين الخفاجي (115/6).

الفصل الثاني

تفسير سورة الكهف من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: تعريف عام بسورة الكهف .

المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة الكهف المتضمنة للقراءات .

الفصل الثاني سورة الكهف

مقدمة:

سورة الكهف هي السورة الثانية من منظومة السور المستهدفة في هذا البحث، وهي موضع بحث كثير من العلماء لما احتوته من معجزات وقيم تناولتها من خلال القصص القرآني الذي استغرق معظم السورة؛ فقد ورد القصص القرآني في إحدى وسبعين آية من عشر آيات ومائة آية؛ ومعظم ما يبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، فألقت من خلاله الضوء على أنواع الفتن وأسبابها؛ كفتنة السلطان في قصة أصحاب الكهف، وفتنة المال والرجال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وفتنة الأسباب في قصة ذي القرنين، وأعطت المؤمن الميزان الحق لمعرفة الحقائق من الأباطيل والصدق من الكذب، فيدرك المؤمن من خلال ذلك كله صدق رسول الله ﷺ في دعوته، وزيف أي دعوة وبطلانها إذا لم تلتزم السير على خطا الرسول ﷺ. (1)

ومما يلفت النظر في هذه السورة احتواءها على عدد كبير من القراءات المتواترة التي تتوزع على كثير من آياتها، وقبل الخوض في بيان القراءات وتفسيرها لابد أن نعرِّج على تعريف عام بالسورة لتكون مدخلاً إلى فهم تفسير السورة.

(1) انظر: الظلال (مجلد 4 ج 15 ص 2256)، مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم (ص 178).

المبحث الأول

تعريف عام بسورة الكهف

ويشتمل على :

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- سبب نزول السورة.
- مناسبتها لسورة الإسراء.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الأول تعريف عام بالسورة

سورة الكهف كلها مكية باتفاق المفسرين⁽¹⁾، وقد نزلت دفعة واحدة، فقد روى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قال: " نزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألفاً من الملائكة" ⁽²⁾ وقد نزلت بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى، وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور، وعُدت آيها في عدد قراء المدينة ومكة؛ مائة وخمسة، وفي عدد قراء الشام مائة وستاً، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عدد قراء الكوفة مائة وعشراً ⁽³⁾، وذلك بحسب ما ثبت لدى القراء في كل بلد عن طريق النقل في وقفات الرسول ﷺ ⁽⁴⁾.

وعدد كلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة، وعدد حروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفاً ⁽⁵⁾، وهي إحدى سور خمس بدئت بـ«الحمد لله»: وهي الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر. وهو استهلال يوحى بعبودية الإنسان لله تعالى، وإقراره بنعمه وأفضاله، وتمجيد الله ﷻ، والاعتراف بعظمته وجلاله وكماله. ⁽⁶⁾

أسماء السورة ووجه التسمية:

سماها رسول الله ﷺ سورة الكهف؛ لبيان قصة أصحاب الكهف العجيبة، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال". ⁽⁷⁾

وسماها رسول الله ﷺ سورة أصحاب الكهف، ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم تصدر قصة أصحاب الكهف قصص هذه السورة.

-
- (1) انظر: المحرر الوجيز (494/3)، تفسير القرطبي (مجلد 5 ج 1 ص 672).
 - (2) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (357/5). ورواه الديلمي في مسنده (275/4) حديث رقم (6812). وذكره العجلوني في كشف الخفاء (435/2).
 - (3) انظر: التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 242)، روح المعاني (199/15).
 - (4) مباحث في التفسير الموضوعي (ص 169).
 - (5) انظر: اللباب (415/12).
 - (6) التفسير المنير (196/15).
 - (7) انظر: تفسير ابن كثير (139/5). رواه أحمد في مسنده (196/5)، ومسلم (555/1) في كتاب "صلاة المسافرين وقصرها" باب "فضل سورة الكهف وآية الكرسي" حديث رقم (809) من طريق قتادة....به.

فقد روى الترمذي في صحيحه حديثاً طويلاً سُمي فيه الرسول ﷺ هذه السورة بسورة أصحاب الكهف. (1)

وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: " ألا أخبركم بسورة ملاً عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ العشر الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: سورة أصحاب الكهف ". (2)

سبب نزول السورة:

أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة؛ فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ، فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طَوَّافٍ بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل ... فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أخبرنا، فسأله عما أمرهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم غدا بما سألتكم عنه ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أَرَجَفَ أَهْلَ مَكَّةَ وَقَالُوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها، لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه. حتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله ﷻ بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه

(1) انظر الحديث في: سنن الترمذي (510/4) - كتاب الفتن - باب ما جاء في فتنة الدجال - حديث (2240) من حديث النواس بن سمعان الكلابي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. وهو حديث طويل. وانظر أيضاً: المستدرک علی الصحیحین للحاکم (580/4) كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (8620) من حديث أبي أمامة الباهلي. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الطريقة.

(2) ذكره الألويسي في تفسيره (199/15) و السيوطي في الدر المنثور (356/5) قال فيه الألباني: ضعيف جداً. { انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني (504/5) ح {2482}.

عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله ﷻ ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ الإسراء{85} (1).

مناسبتها لسورة الإسراء :

تظهر مناسبتها لسورة الإسراء التي تسبقها من عدة نواح:

1- افتتحت الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد، والتسبيح والتحميد مقترنان في القرآن وسائر الكلام ؛ بحيث يسبق التسبيح التحميد، كقوله تعالى ﴿فسبح بحمد ربك﴾ الحجر(98) ، وفي الحديث: (سبحان الله وبحمده)، كما أنّ الإسراء اختتمت بالتحميد أيضاً فتشابهت الأطراف أيضاً.

ولما أمر اليهود المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح وعن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين؛ أجاب تعالى في آخر سورة بني إسرائيل عن السؤال الأول، وأجاب عن السؤالين الآخرين في سورة الكهف، فناسب اتصالهما ببعضهما.

ولما نزل في الإسراء قوله تعالى ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ الإسراء{85} ناسب ذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كالدليل على ما تقدم.

وقد ورد في الحديث أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قال اليهود: قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء، فنزل قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر...﴾ الكهف(109).

وأيضاً لما قال في الإسراء ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيماً﴾ الإسراء (104) شرح ذلك في الكهف بقوله ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء﴾ إلى ﴿ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً ﴾ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ الكهف{98-100} .

ولما قال سبحانه في آخر الإسراء ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ أمر تعالى في الكهف بحمده على إنزال هذا الكتاب.(2)

(1) الدر المنثور (357/5) ، ورواه الطبري في تفسيره (مجلد8ج15ص127) من طريق ابن اسحق قال:حدثنا شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس. وذكره ابن هشام في السيرة(2/139) والسيوطي في لباب النقول (ص177). وقد ضَعَف العلماء رواية ابن جرير من طريق ابن اسحق بسبب إيهام شيخ من أهل مصر.

(2) انظر: تناسق الدرر (ص99-101) ، التفسير المنير (15/196-197) .

فضل السورة:

وردت في فضل السورة أحاديث كثيرة نذكر منها:

ما أخرجه الإمام أحمد عن البراء قال: قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيت، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: " اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت للقرآن " . (1)

وما أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طريق قتادة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ". (2)

أغراض السورة:

أما الأغراض الأساسية للسورة فهي: تصحيح العقيدة ، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة؛ وقد سُخرت القصص الواردة في السورة من أجل هذه الأهداف.

الموضوعات التي تناولتها السورة:

* ابتدأت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم لا اعوجاج فيه، وأنه جاء للإنذار والتبشير. ثم لفتت النظر إلى عجائب خلق الله الدالة على قدرته ﷻ.

* تحدثت السورة عن ثلاث قصص من روائع القصص القرآني وهي: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - ، وقصة ذي القرنين.

ابتدأت بقصة أصحاب الكهف وما تحمله من دلائل على قضية البعث، وبهذا تتلاقى القصة مع الغرض العام للسورة وهو إثبات قدرة الله على مخالفة السنن التي ألفها الناس وظنوا أنها مستعصية عليه جل شأنه، وهذا ما تشير إليه القصة في ثناياها إذ يقول ﷻ ﴿ وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق... ﴾ الكهف {21} .

كما كان فيها ضرب المثل للثبات على العقيدة والتضحية من أجلها.

(1) أخرجه أحمد في مسنده (281/4) ورواه أيضاً البخاري في كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) { انظر: فتح الباري (671/6) { حديث رقم (3571) / ومسلم (548/1) كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (نزول السكينة لقراءة القرآن) من حديث شعبة...به. وقال ابن كثير: الرجل الذي كان يتلو هو: أسيد بن حضير. انظر: تفسير ابن كثير(139/5).

(2) أخرجه مسلم (555/1) كتاب: (صلاة المسافرين وقصرها) باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسي) ، وأحمد في مسنده (196/5) وأبو داود (117/4) كتاب (الملاحم) باب (خروج الدجال) حديث رقم (4323) من طريق همام... به. والنسائي في: (عمل اليوم والليلة) (528/1) باب (ما يجير من الدجال) حديث رقم (951) بلفظ: من فتنة الدجال. والترمذي (162/5) كتاب (فضائل القرآن) باب (ما جاء في فضل سورة الكهف) حديث رقم (2886) . وفيه قوله: ثلاث آيات. وقال حسن صحيح.

ثم تلي ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما احتوت عليه من معانٍ سامية؛ من: إثبات قصور الخلق مهما سمت عقولهم، وكثرت علومهم أمام إحاطة الله وعلمه سبحانه، وبهذا ترتبط القصة بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله الذي يدبر الأمر بحكمته وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر، كما فيها ضرب المثل في تحمل الصعاب في طلب العلم والصبر على ذلك.

ثم أتبع قصة موسى والخضر بقصة ذي القرنين، وما احتوت عليه من عبر وعظات للحكام والسلاطين؛ من شكر الله على نعمة التمكين في الأرض؛ وذلك من استغلال القوة والسلطان في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، ورفع الظلم عن العباد، والعدل بينهم، واليقين بأن كل ما يؤتاه العبد من نعم هو من عند الله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم تُختم القصة بتأكيد قدرة الله على البعث، وبهذا تلتقي مع الهدف العام للسورة، ومع قصتي أصحاب الكهف وموسى مع الخضر عليهما السلام.

* وتخل ذلك مستطردات: من الأمر للنبي ﷺ بالتواضع ومجالسة فقراء المؤمنين، وتهديد الله ﷻ للكافرين وما أعد لهم من عذاب يوم القيامة؛ بسبب افتتانهم بالحياة الدنيا وزينتها، وقارن ذلك بما أعدّه ﷻ من نعيم للمؤمنين.

والحديث عن البعث في المثل الذي ضربه الله للناس عن صاحب الجنيتين، والمثل الذي ضربه بالحياة الدنيا.

كما جاء فيها الإشارة إلى قصة آدم وإبليس، وما احتوت عليه من إشارة للعداوة المستحكمة بين إبليس وبني آدم، وتحذير الله لأبناء آدم من اتخاذ الشيطان وذريته أولياء من دون الله، ومن ذكر لأمر الآخرة، وفي ذلك جمع بين المبدأ والمعاد، ولقضية الخلق والبعث.

* وختمت السورة بموضوعات ثلاثة:

- 1- إعلان تبديد أعمال الكفار وضياع ثمرتها في الآخرة.
- 2- تبشير المؤمنين بالنعيم الأبدي في الآخرة.
- 3- تقرير أن القرآن وحيٌّ من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ وفي هذا الختام الأخير مُحسِّن رد العجز على الصدر. (1)

(1) انظر في أغراض السورة وما اشتملت عليه: الظلال (مجلد 4 ج 15 ص 2257-2266). والتفسير المنير (15/ 197-199) والتحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 245-246). وانظر أيضاً: أهداف كل سورة ومقاصدها (1/ 207-212).

المبحث الثاني

عرض وتفسير آيات سورة الكهف بالقراءات العشر

1. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿الكهف.

القراءات:

1. قرأ حفص حال وصل (عوجاً) بـ(قَيِّمًا) بخلف عنه بالسكت على ألف (عوجاً) .
2. وقرأ الباقون بعدم السكت على ألف (عوجاً) حين الوصل، وهو الوجه الثاني لحفص.⁽¹⁾
3. قرأ شعبة (من لدنه) بإسكان الدال وإشمامها الضم⁽²⁾ ، وكسر النون والهاء ووصلها بياء في اللفظ فتصير (لَدْنِهِ).
4. قرأ الباقون (من لَدُنْهُ) بضم الدال وسكون النون وضم الهاء.
5. قرأ ابن كثير (من لَدُنْهُ) بصلة الهاء واواً.⁽³⁾

اللغة والبيان:

عوجاً: اختلافاً والتباساً.⁽⁴⁾

قيماً: مستقيماً معتدلاً.⁽⁵⁾ ويقال في القيم: قيّم على الكتب، أي: أنه يُصدّقها.⁽⁶⁾

(1) انظر: النشر (329/1) ، الإتحاف (ص363).

(2) الإشمام: عبارة عن ضم الشفتين بُعيد تسكين الحرف، بحيث يراه المبصر دون الأعمى، ويكون تسكين الحرف من غير صوت دون تراخ مع بقاء فرجة بين الشفتين يخرج النفس منها. {المغني في علم التجويد(ص306)}. وقال الخفاجي: الإشمام له معانٍ أربعة منها: تضعيف الصوت بالحركة الفاصلة بين الحرفين فهو إخفاء لها، وقال الداني أنه هو المراد هنا، وهو الصواب وبه صرح ابن جني في المحتسب. {حاشية الشهاب (129/6)}.

(3) انظر: النشر (232/2) ، الميسر (ص293) ، الإتحاف (ص363).

(4) الفريد (309/3).

(5) كلمات القرآن تفسير وبيان: حسنين محمد مخلوف (ص173). (6) معاني القرآن للفراء (133/2).

﴿من لدنه﴾: من قبله. (1) و(لذن) في جميع أحوالها بمعنى عند، لا يقع عليها إعراب، وهي: ظرف مكاني تُخَفِّضُ بِـ(مِنْ)، فعملها الخفض إلا في قولهم: لذن غدوةً فَخُصَّتْ بالنصب. (2)

أما القراءة بـ(من لدنهي) : فالأصل (لَدُنْ) بضم الدال، وسُكِّنَتِ الدال استتقالاً للضمة، فالتقى ساكنان وهما النون والدال، فَكُسِرَتِ النون لالتقاء الساكنين، وكُسِرَتِ الهاء لمجاورة حرف مكسور، ووُصِلَت بياء. وإشمام الضمة في الدال يُعْلَمُ أَنَّ الأصل كان في الكلمة الضمة.

ويقول سيبويه: " فالهاء تُكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة؛ لأنها خفية كما أن الياء خفية، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة. " (3)

وقراءة (من لدنه) فهي على أصل الكلمة، كقوله ﴿من لدن حكيمٍ عليم﴾ النمل{6} (4)

التفسير:

تبدأ الآية الكريمة بالثناء على الله ﷻ الذي تفضَّل على عباده بنعمته العظمى؛ وذلك بإنزال القرآن الكريم، الذي من صفاته الاعتدال في نظمه ومعانيه، الهادي إلى الحق، المزيل للاعوجاج، قيماً بمصالح العباد، قيماً على الكتب السابقة ومهيماً عليها، متناً في الاستقامة والاعتدال، منذراً للكافرين بالعذاب، ومبشراً للمؤمنين بالجنة.

يقول القاسمي: " افتتحت السورة بـ(الحمد لله) إشارة إلى أنه المحمود على كل حال، وتعليماً للعباد أدب افتتاح كل أمر ذي بال واختتامه؛ وذلك بالثناء على الله تبارك وتعالى بنعمه العظمى، ومنه الكبرى، وفي إيثار إنزال التنزيل من بين سائر نعوته العلية، تنبيه على أنه أعظم نعمائه. فإنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد، ولا شيء في معناه يماثله، وفي ذكر الرسول ﷺ بعنوان العبودية، تنبيه على عظمة المنزل والمنزل عليه، وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام، وتعريف الكتاب للعهد، أي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال، المعروف بذلك من بين الكتب، الحقيقي باختصاص اسم الكتاب به، وهو عبارة عن جميع القرآن، أو عن جميع المنزل حينئذ، وقوله (ولم يجعل له عوجاً) أي شيئاً من العوج، باختلال في نظمه

(1) معاني القرآن وإعرابه: أبي اسحاق الزجاج (267/3).

(2) انظر: الحجة في القراءات (ص130).

(3) كتاب سيبويه (195/4) .

(4) انظر: حجة القراءات (ص412).

وتتألف في معانيه، أو زيغ وانحراف عن الدعوة إلى الحق، بل جعله مزيلاً للعوج؛ إذ جعله: قيماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع، فهو وصف له بأنه مكمل لهم، بعد وصفه بأنه كامل في نفسه أو قيماً على الكتب السالفة، مهيمناً عليها، أو متناًها في الاستقامة والاعتدال، فيكون تأكيداً لما دل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة، وينذر من خالفه ولم يؤمن به عذاباً شديداً عاجلاً أو آجلاً ويبشر بمقابلهم المؤمنين الذين يعملون الخيرات والفضائل بالجنة. (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

سكوت حفص على (عوجا) حين وصلها بـ(قيماً) دفعاً لإيهام أن يكون (قيماً) نعتاً لـ(عوجا) فيفسد المعنى، لأن (قيماً) حال من (الكتاب) فهي من أوصافه. أما قراءة الباقيين بعدم السكت حين الوصل؛ وذلك على الأصل، واعتماداً على أن التأمل في معنى الآية قرينة على دفع الإيهام. (2)

أما قراءة (لدنهي): فقد أفادت عظمة الله الذي من قبله هذا العذاب الشديد؛ لما في الضمة من قوة وثقل وفي الواو من مد.

وقراءة (لدنهي): أفادت تنوع العذاب لاتساعه، وخفاه عن المعذبين، وخفاء نوع العذاب ومداه يؤدي إلى زيادة في التهديد والإفزاز للمهددين بهذا العذاب.

أما قراءة (لدنه) فقد أفادت شدة هذا العذاب وقوته لأنه من عند القوي العزيز، لما في الضم من الشدة والقوة، وسكون النون من الثبات والاستقرار.

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن الله ﷻ أنزل على محمد ﷺ كتاباً أخبره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل سالم من جميع العيوب ليس فيه شيء من العوج باختلال في نظمه وتتألف في معانيه؛ بل جعله كاملاً في وصفه مزيلاً للعوج، مكماً لغيره من الشرائع، جعله نذيراً لعذاب متنوع شديد عظيم لأنه من قبل واسع العظمة والسلطان القوي العزيز خفي في شدته وعظمته عن المهددين به ليفزعهم لعلمهم يعودون إلى الله ﷻ.

(1) انظر: محاسن التأويل (4021/10-4023) بتصرف.

(2) انظر: المغني (358/2).

2- قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾
الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (مَرْفَقًا) بفتح الميم وكسر الفاء.
2. قرأ الباقون (مَرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء. (1)

اللغة والبيان:

المَرْفِقُ: موصل الذراع في العضد، وكذلك المَرْفِقُ و المَرْفِقُ من الأمر، وهو ما ارتفعت به وانتفعت.

فمن قرأ (مَرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء، أي شيئاً يرتفقون به مثل المَقْطَع.
ومن قرأ (مَرْفَقًا) بفتح الميم وكسر الفاء، جعله اسماً مثل مسجد. (2)

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن حديث دار بين الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم والتجئوا إلى الكهف لئلا يفتنواهم عنه.

يقول أبو حيان: «وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ» خطاب من بعضهم لبعض -حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم- والاعتزال يشمل مفارقة أوطان قومهم ومعتقداتهم، فهو اعتزال جسماني وقلبي «وما يعبدون» يعني: وإذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم «إلا الله» استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله مع آلهتهم، لاندراج لفظ الجلالة في قوله «وما يعبدون إلا الله»، وذكر أنهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه آلهة، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم يعتزلوا عبادة الله، ومنقطع إن كانوا لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجهم في معبوداتهم، وقيل: «وما يعبدون إلا الله» كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله تعالى «فأورأ إلى الكهف» أي: اجعلوه مأوى لكم تقيمون فيه وتأوون إليه ، فهو تعالى سيبسط علينا

(1) انظر: النشر (232/2) .

(2) انظر: مختار الصحاح (ص272) ، الحجة للقراء السبعة (131/5).

رحمته ويهيء لنا ما نرتفق به في أمر عيشنا." (1)

يقول الزمخشري: "إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله، وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوح يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم، وإما أن يكون بعضهم نبياً." (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مَرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء؛ أن الفتية عزموا على الالتجاء إلى الكهف لعل الله يسهل لهم أمر فرارهم من قومهم، ويصلح لهم من أمر معاشهم ما ينتفعون به.

يقول حسين بن أبي العز الهمداني (3): " وقوله ﴿ويهيء لكم من أمركم مَرْفَقًا﴾ أي: ويسهل عليكم خوفكم من الملك وعدوانه، فيأتيكم باليسر والرفق." (4)

وأفادت قراءة (مَرْفَقًا) بفتح الميم وكسر الفاء؛ رجاء الفتية أن يجدوا مكاناً يسهل عليهم أمر الاختباء من قومهم ويجدون الراحة فيه.

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن أصحاب الكهف كانوا على ثقة ويقين في فضل الله عليهم حين التجئوا إلى الكهف من ناحيتين:

أولهما: أن يسهل عليهم أمر خوفهم من الملك وعدوانه، فيشعروا بالدعة والأمان وهم في جوار الله.

ثانيهما: أن يهيء سبحانه لهم مكاناً يجدون فيه الراحة، وما ينتفعون به في أمر معاشهم.

يقول محيسن: " ولتقتهم بالله تعالى وحسن عقيدتهم ؛ أنهم أيقنوا أن الله تعالى سينشر عليهم سحائب رحمته، ويهيء لهم ما يحتاجون إليه من متاع، وشراب، وغير ذلك." (5)

(1) انظر: البحر المحيط (103/6) بتصرف.

(2) الكشاف (53/3).

(3) هو: حسين بن أبي العز بن الرشيد الهمداني الشافعي، يُلقب بمنتجب الدين، توفي سنة 643 هجرية. { انظر: أبجد العلوم (83/2) وكشف الظنون (1258/2) }.

(4) الفريد (318/3).

(5) المستنير (309/1).

3- قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ ابن عامر ويعقوب (تَزَاوَرُ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.
 2. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (تَزَاوَرُ) بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء.
 3. قرأ الباقر (تَزَاوَرُ) بفتح الزاي وتشديدها وألف بعدها وتخفيف الراء. (1)
1. قرأ المدنيان وأبو عمرو (المهتدي) بإثبات الياء وصلماً وحذفها ووقفاً.
 2. قرأ يعقوب (المهتدي) بإثبات الياء وصلماً ووقفاً، ورُويت عن قنبل من طريق ابن شنيوذ.
 3. قرأ الباقر (المهتد) بدون ياء وصلماً ووقفاً. (2)

اللغة والبيان:

تزاور عن كهفهم: أي: تميل وتعدل، وهو من الزور، يعني العوج والميل. (3)

من قرأ (تَزَاوَرُ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف، مثل (تحمُرُّ) و (تصفرُّ)، من (ازورَّت) فهي (تزورُّ)، كـ(احمرَّت) فهي (تحمُرُّ)، ومعناه: تنقبض.

ومن قرأ (تَزَاوَرُ) بتخفيف الزاي، فهي من (تتزاور) وحُذفت إحدى التاءين تخفيفاً.

ومن قرأ (تَزَاوَرُ) بتشديد الزاي، فهي من (تتزاور) أيضاً إلا أنها أدغمت التاء في الزاي وشددت. ومعناها: تميل عنه. (4)

(1) انظر: النشر (232/2).

(2) سبق التعرض لهذه القراءات وتفسيرها، فانظرها عند تفسير الآية (97) من سورة الإسراء (ص130).

(3) مجاز القرآن: أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (395/1).

(4) انظر: الكشف (57/2)، حجة القراءات (ص413)، المغني (361/2)، الحجة للقراء (132/5-133).

التفسير:

تضمنت هذه الآية بعض ما أنعم الله ﷻ به على أصحاب الكهف من العناية والرعاية؛ بأن حفظ أجسادهم من البلى، بعد أن أنامهم، وذلك بأن جعل الشمس كلما طلعت أو غربت تميل عنهم كي لا تؤثر فيهم أشعتها، بقدرته سبحانه. وهذا من خوارق العادات.

يقول الشوكاني: "شرع سبحانه في بيان حالهم ، بعد أن أورا إلى الكهف، قوله ﴿ وترى الشمس إذا طلعت... ﴾ والمعنى: أنّ الشمس إذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين، أي: يمين الكهف، وإذا غربت تمر شمال الكهف لا تصيبه، بل تعدل عن سمتة إلى الجهتين، ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ والفجوة المكان المتسع، وللمفسرين في تفسير هذه الجملة قولان:

الأول: أنهم مع كونهم في مكان منفتح انفتاحاً واسعاً في ظل جميع نهارهم، لا تصيبهم الشمس في طلوعها، ولا في غروبها، لأن الله ﷻ حجبها عنهم.

والثاني: أن باب ذلك الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف، وإذا غربت كانت عن يساره، ويؤيد القول الأول قوله: ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادة أنسب بمعنى كونها آية، ويؤيده أيضاً إطلاق الفجوة وعدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا.

ثم أتى سبحانه عليهم بقوله: ﴿ من يهد الله ﴾ أي: إلى الحق ﴿ فهو المهتد ﴾ الذي ظفر بالهدى وأصاب الرشد والفلاح ﴿ ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ أي: ناصرأ يهديه إلى الحق كدقيانوس وأصحابه. اهـ (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَزَاوَرُ) بالتخفيف: أنّ الشمس حين شروقها على الكهف تميل عن الكهف وتتحرف جهة اليمين، فلا تدخل أشعتها الحامية إليه حتى لا تؤذي أصحابه.

وأفادت قراءة (تَزَاوَرُ) بالتشديد: أنّ الشمس تتمايل باستمرار وتتحرف عن الدخول في الكهف إلى جهة اليمين، فهو حال خفي عند من لم يراقب هذا الانحراف. وهذا ما يشبه حال أولئك الفتية الذين كان حالهم خفياً عن غيرهم عند هروبهم، وعند انزوائهم في الكهف.

(1) انظر: فتح القدير (344/3-345) باختصار.

يصف البقاعي هذا الحال بالربط بين ميل الشمس وبين حال أولئك الفتية بقوله: " ولما كان حالهم خفياً، وكذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه، أدغم تاء التفاعل نافع وابن كثير وأبو عمرو، وأسقطها عاصم وحمزة والكسائي، فقال تعالى ﴿تَزَوَّرُ﴾ أي: تتمايل وتتحرف " (1). وأفادت قراءة (تَزَوَّرُ) أنّ الشمس تتقبض أشعتها عن الكهف عند شروقها عليه.

يقول البقاعي، ولعل قراءة ابن عامر ويعقوب (تَزَوَّرُ) بوزن تحمرُّ ناظرة إلى الحال عند نهاية الميل عن كهفهم، بتقلص شعاعها بارتفاعها إلى أن تزول. " (2)

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن من معجزات الله الدالة على فضله على أصحاب الكهف؛ أنه سبحانه أوحى إلى الشمس حين شروقها أن تميل وتتحرف عن الكهف إلى جهة اليمين باستمرار، وفي نهاية ميلها عن الكهف في كل مرة تُقلص شعاعها وتقبضه بارتفاعها شيئاً فشيئاً إلى أن تزول، فيصيبهم من حرها ما يمنع عنهم التعفن.

ولم يقف الأمر عند بيان حال الشمس؛ وإنما كان في تعدد القراءات تصوير للحالة التي كان عليها أهل الكهف من الخفاء عن أعين الناس. فهو تصوير بديع ربط بين حال العاقل وغير العاقل في كلمة واحدة في قراءات عدة. فسبحان من صورَّ بكلمة حالين لم يكن لأحد من مخلوقاته أن يعبر عنها هذا التعبير البديع.

وعلى ذلك فكل قراءة من القراءات أضافت معنىً جديداً للقراءة الأخرى، كما صورت القراءات مجتمعة حال الشمس وحال الفتية تصويراً بديعاً لم يكن ليتنبه إليه أحد لولا الجمع بين هذه القراءات. وهذا من إعجاز تعدد القراءات في اللفظة الواحدة.

(1) نظم الدرر (452/4).

(2) المرجع السابق (452/4).

4- قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر (وَتَحْسَبُهُمْ) بفتح السين.
2. قرأ الباقر (وَتَحْسَبُهُمْ) بكسر السين.⁽¹⁾
1. قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (وَلَمُلِئْتَ) بتشديد اللام الثانية.
2. قرأ الباقر (وَلَمُلِئْتَ) بتخفيف اللام.⁽²⁾
1. قرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (رُعبًا) بضم العين.
2. قرأ الباقر (رُعبًا) بإسكان العين.⁽³⁾

اللغة والبيان:

(وَتَحْسَبُهُمْ) و (وَتَحْسَبُهُمْ): القراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق:
(تَحْسَبُهُمْ): من حسب يحسب، نحو : علم يعلم. وهي لغة تميم.
(تَحْسَبُهُمْ): من حسب يحسب، نحو : ورث يرث. وهي لغة أهل الحجاز.⁽⁴⁾

وقال الأزهرى⁽⁵⁾ : " وإنما يسمى الحساب في المعاملة حساباً لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيها زيادة على المقدار، ولا نقصان." ⁽⁶⁾ فعلى ذلك فالحساب يفيد اليقين، وكذلك فقراءة (تَحْسَبُهُمْ) تفيد اليقين لا الظن.

ولمئلت: أي امتلأت.

(1) انظر: الإتحاف (ص212) ، النشر (178/2).

(2) انظر: النشر (233/2).

(3) انظر: المرجع السابق (162/2).

(4) انظر: الإتحاف(ص212) ، المغني (1/296).

(5) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور، أديب لغوي، شافعي المذهب، من أشهر مصنفاته: تهذيب اللغة، غريب

الفقه، علل القراءات. توفي سنة 370هـ. { انظر: طبقات الشافعية (144/2) ، وفيات الأعيان (334/4) }.

(6) انظر: تاج العروس (210/1).

من قرأ (وَلَمَّئْت) بتشديد اللام الثانية، أراد تكرير الفعل والدوام عليه⁽¹⁾، ففيه تأكيد للمبالغة.⁽²⁾

ومن قرأ (وَلَمَّئْت) بتخفيف اللام الثانية، أراد مرة واحدة.⁽³⁾

الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف، يقال: رعبته فرعب رعباً، فهو رَعِب. ⁽⁴⁾ وهو: الخوف الذي يرعب الصدر، أي: يملؤه، من رعبت الحوض إذا ملأته.⁽⁵⁾

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن معجزة أخرى امتن الله بها على أصحاب الكهف وذلك بحفظ أجسادهم من البلى والتغير، بيث الحركة في أجسادهم، وبث الرعب والخوف في قلب كل من يراهم.

يقول الصابوني: " ولو رأيتهم أيها الناظر لظننتهم أيقاظاً لتفتح عيونهم، وتقلبهم والحال أنهم نيام، وتقلبهم من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض أجسامهم، وكلبهم الذي تبعهم باسط يديه بفناء الكهف كأنه يحرسهم، ولو شاهدتهم وهم على تلك الحالة لفررت منهم هرباً رعباً منهم، وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، فرؤيتهم تثير الرعب؛ إذ يراهم الناظر نياماً كالأيقاظ، يتقلبون ولا يستيقظون " .⁽⁶⁾

ويقول الدكتور محمد الحبال⁽⁷⁾: " ففي قوله تعالى ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ إشارات علمية دقيقة جداً فقد ثبت طبيياً :

1. إن العين في حالة كونها مفتوحة على الدوام ولأسباب مرضية متعددة تتعرض للمؤثرات الخارجية فتدخلها الجراثيم والأجسام الغريبة مما يؤدي إلى حدوث تقرحات القرنية (مقدمة العين) وعتمتها وبالتالي فقدان حاسة البصر .

2. والعين في حالة كونها منغلقة على الدوام يؤدي ذلك إلى ضمور العصب البصري بعدم

(1) الحجة في القراءات (ص130).

(2) معاني القراءات (ص265).

(3) الحجة في القراءات (ص130).

(4) مفردات الراغب (ص223).

(5) الفريد (3/321).

(6) انظر: صفوة التفسير (2/162) .

(7) هو: محمد جميل عبد الستار الحبال من مواليد الموصل بالعراق سنة 1945م ، متخصص في الطب الباطني وأمراض الكلى ويبحث في الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن ، وله العديد من المؤلفات في هذا المجال . انظر ترجمته في موقع: جوجل.

تعرضه للضوء الذي يمنع العين من قيامها بوظيفتها؛ حيث إن من المعروف في علم وظائف الأعضاء (علم الفسلجة) أن أي عضو من أعضاء الإنسان أو أجهزته يصاب بالضمور والموت التدريجي إن لم تهيأ له الأسباب للقيام بوظيفته، ودليل ذلك أن المسجونين لفترات طويلة في الأماكن المظلمة يصابون بالعمى .

3. أما في الحالة الطبيعية (اليقظة) فإن أجفان الإنسان ترمش وتتحرك بصورة دورية لا إرادية على مقلة العين، تعينها الغدد الدمعية التي تفرز السائل الدمعي النقي الذي يغسل العين ويحافظ عليها من المؤثرات الخارجية الضارة، فهذه العملية المركبة تحافظ على سلامة العين، فالله ﷻ الذي حافظ على أجسادهم وجلودهم من التلف بالتقلب المستمر مع التعرض المناسب لضوء الشمس، هو نفسه الذي حفظ عيونهم بهذه الطريقة العلمية من العمى، حيث قال في محكم كتابه «وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود» ولم يقل (وتحسبهم أمواتاً وهم رقود) لأن إحدى علامات اليقظة هي حركة رمش أجفانهم، وقد يكون في هذا أيضاً والله أعلم السر في إلقاء الرهبة في منظرهم في قوله تعالى «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً» فهذا الوضع الغريب وغير المألوف حيال كونهم ليسوا موتى ولا بمستيقظين ولا نائمين نومة طبيعية (لأن النائم لا ترمش عينه) هذه الهيئة جعلت الناظر إليهم يهرب فزاعاً ويمتلئ قلبه رعباً من منظرهم " .⁽¹⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (وَتَحْسَبُهُمْ) : أن الرائي لأهل الكهف وما عليه حالهم من حركة وتقلب يظنهم أحياء وليسوا أمواتاً.

أما قراءة (وَتَحْسَبُهُمْ) : فأفادت اليقين بحياة أصحاب الكهف لما عليه حالهم وخصوصاً حركة أعينهم الرامشة التي لا يفعلها إلا المستيقظ.

وأفادت قراءة (وَكَلَّمْتُمْ) بالتخفيف؛ أن من يرى حال أصحاب الكهف يشعر بخوف شديد يملأ صدره.

أما قراءة (وَكَلَّمْتُمْ) بالتشديد؛ فأفادت أن من يرى أصحاب الكهف على هيئتهم، والمهابة التي ألقاها الله عليهم لأبدٍ وأن يتملكه خوف شديد يملأ صدره ويشعر به باستمرار، يشعره بذعر

(1) أهم الإشارات الطبية والعلمية لقصة أصحاب الكهف للدكتور محمد الحبال. { انظر: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) - جوجل - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة }.

دائم. وبهذا وافقت قراءة (رُعْباً) قراءة (وَلَمَلَّتْ) بالتشديد، في شدة الخوف الذي يصل إلى درجة الذعر الشديد مع استمرار الشعور به لما في توالي الضمة في حرفين متتاليين من كلمة واحدة من الثقل الذي يدل على ثقل الشعور.

يقول ابن عطية: " (لَمَلَّتْ) بشد اللام على تضعيف المبالغة، أي: ملئت ثم ملئت ثم ملئت " . (1)

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبين أن الناظر إلى أصحاب الكهف وهم على حالتهم التي أرقدهم الله عليها يتيقن بحياتهم لما هم عليه من هيئة المستيقظ. ويخشى الاقتراب منهم؛ لأن الله ﷻ قد ألقى على أصحاب الكهف حال نومهم مهابة ووقاراً يملأ قلب من يطلع عليهم فيشعره برعب وفزع شديد يملأ صدره، فيطلق ساقيه للريح لا يدري طريقه. " وذلك من تدبير الله كي لا يعيثر بهم عابث، حتى يحين الوقت المعلوم " . (2)

يقول ابن كثير: " إنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم، لما ألبسوا من المهابة والذعر؛ لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم؛ لما له في ذلك من الحجة والحكمة البالغة، والرحمة الواسعة " . (3)

(1) المحرر الوجيز (504/3).

(2) الظلال (2263/4).

(3) تفسير ابن كثير (151/5).

5- قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة وخلف وروح (بورِقِكُمْ) بإسكان الراء.
2. قرأ الباقرن (بورِقِكُمْ) بكسر الراء. (1)

اللغة والبيان:

جاء في اللسان: الورِقُ والورِقُ والورِقُ والرِّقَّةُ: الدراهم. وفي الصحاح: الورِقُ الدراهم المضروبة. (2)

ولكن ابن قتيبة كان أكثر بياناً لكلمة (الورِق) حيث قال: (الورِق) : الفضة دراهم كانت أو غير دراهم، ويدل على ذلك أن عَرَفَجَةَ بن أسعد أصيبت أنفه يوم الكلاب (3) فاتخذ أنفاً من ورق -أي من فضة- فأنتن عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب. (4)

(1) انظر: النشر (233/2).

(2) انظر: اللسان (4816/6) مادة: ورق. وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المقصود بـ(الورِق) الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة. انظر في ذلك: الكشاف (55/3)

(3) عرفجة بن أسعد: صحابي، ويوم الكلاب من أيام الوقائع في الجاهلية، والكلاب ماء بين الكوفة والبصرة. {انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري (275/3)}.

(4) تفسير غريب القرآن (ص265)، وانظر: اللسان (4816/6). والحديث أخرجه الترمذي (240/4) في كتاب اللباس، باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب (ح1770) ونصه: عن عرفجة بن أسعد قال: أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفاً من ورق فأنتن علي فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفاً من ذهب.

وقال أبو عيسى في نص الحديث: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه النسائي (163/8) في كتاب الزينة، باب من أصيب هل يتخذ أنفاً من ذهب (ح5161)، وأبو داود (92/4) في كتاب الخاتم باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب (ح4232)، وأحمد في مسند الكوفيين (ح18527) وفي مسند البصريين (ح19757 و 19759).

وبذلك يتبين أن (الورق) يُطلق على الفضة المضروبة وغير المضروبة، أما (الورق) فيُطلق على الفضة المضروبة-الدرهم- فقط.

التفسير:

بعد أن ألقى ﷺ النوم على أهل الكهف مدة ثلاثمائة سنة وتسع، أيقظهم من هذا النوم العميق، وحين استيقاظهم شعروا بجوع شديد، فبعثوا أحدهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً وزودوه بما معهم من نقود فضية.

يقول الزمخشري: "وكما أمناهم تلك النوم، كذلك بعثناهم إذكراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً؛ ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى، ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم، وكرّموا به.

﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ جواب مبني على غالب الظن، ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم بمدة لبثهم؛ كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة، وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله، وروي أنهم دخلوا الكهف غُدوة، وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، ثم ردوا العلم إلى الله، وبعثوا أحدهم بنقودهم الفضية ليشتري لهم أحلّ وأطيب، وأكثر وأرخص طعاماً، وليتكلف اللطف، والنيقة⁽¹⁾ فيما يبائسه من أمر المبايعه، حتى لا يُغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يُعرف، ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بهم " . (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (بِورِقِكُمْ) بكسر الراء، أن ما أراد الفتية الشراء به هي: قطع من الفضة، قد تكون مضروبة وقد تكون غير مضروبة.

ولكن قراءة (بِورِقِكُمْ) بإسكان الراء، أفادت أن هذه القطع الفضية التي مع الفتية هي دراهم فضية مضروبة، ومما يدل على ذلك أن بائع الطعام الذي رأى النقود تعرّف على عصرها حينما أعطاه إياها الفتى الذي ذهب إلى المدينة ليشتري الطعام. وبذلك بينت إحدى القراءتين ما كان مبهماً في القراءة الأخرى.

(1) النيقة: من التتوق، تتوق فلان في مطعمه وملبسه، إذا تجرد وبالغ. انظر: اللسان (4582/6).

(2) انظر: الكشاف (55/3-56) بتصرف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۗ﴾ (١٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ
وَأَذْكُرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ الكهف.

القرءات:

1. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (يَهْدِيَنِّي) بإثبات الياء في الوصل دون الوقف.
2. قرأ ابن كثير ويعقوب (يَهْدِيَنِّي) بإثبات الياء وصلًا ووقفًا.
3. وقرأ الباقر (يَهْدِيَن) بحذفها في الوصل والوقف. (1)

اللغة والبيان:

يهديني: يرشدني. (2)

يقول السامرائي: " إن القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلا لغرض، إنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقطع من الفعل للدلالة على الاقتران من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل " (3).

التفسير:

يخاطب الله في هاتين الآيتين الكريمتين نبيه ﷺ موجهًا إياه أن يستثني عند كل أمر يهم القيام به، وأن يكون على اتصال به، وأن يطلب منه سبحانه المعونه والهداية لتأييده وبيان صدقه.

يقول البيضاوي: " نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، فسألوه فقال: ائتوني غداً أخبركم، ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً حتى شق عليه وكذبتة قريش، والاستثناء من النهي، أي: ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله، أي: إلا ملتبساً بمشيتته قائلاً إن شاء الله، أو إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله، بمعنى أن يأذن لك فيه، ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد، واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي.

(1) انظر: النشر (137/2).

(2) انظر: المحرر الوجيز (509/3).

(3) انظر: بلاغة الكلمة (ص11).

واذكر مشيئة ربك وقل إن شاء الله كما روي أنه لما نزل قال ﷺ إن شاء الله، ﴿إذا نسيت﴾ إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته، ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه، واذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليعتقك على التدارك، أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، ﴿وقل عسى أن يهدين ربي﴾ يدلني ﴿لأقرب من هذا رشداً﴾ لأقرب رشداً، وأظهر دلالة على أي نبي من نبأ أصحاب الكهف، وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة عنه أيامهم والإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلية إلى قيام الساعة، أو لأقرب رشداً أو أدنى خيراً من المنسي " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

اختلف اللغويون والمفسرون حول المقصود بقوله تعالى ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ فقال الزجاج: " أي: قل عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف " (2).

وقال ابن الجوزي: " إن قريشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحاب الكهف قال غداً أخبركم كما شرحنا في سبب نزول الآية، فقال الله تعالى له ﴿وقل عسى أن يهدين ربي﴾ أي: عسى أن يُعرفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حددته لكم، ويعجل لي من جهته الرشاد. هذا قول ابن الأنباري (3) " (4).

وعلى هذا يمكن حمل قراءة (يَهْدِينِي) بإثبات الياء على التفسير الأول؛ حيث إن حاجة الرسول إلى الآيات والدلالات على النبوة حاجة تستغرق وقتاً، لذلك ناسب إثبات الياء.

أما حاجته إلى معرفه الجواب على مسائل قريش فهي حاجة سريعة، وخصوصاً لانقطاع الوحي عنه زماناً، وللتقولات التي قيلت حوله من المشركين بسبب ذلك، لذلك ناسب حذف الياء.

(1) انظر: تفسير البيضاوي (3/489-491).

(2) معاني الزجاج (3/278).

(3) هو: شيخ الأدب أبو بكر محمد بن القاسم ابن محمد بن بشار النحوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً له، كان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة، صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة وغريب الحديث وغير ذلك، ولد سنة 271 هجرية، ومات سنة 328 هجرية عن سبع وخمسين سنة. { انظر: طبقات الحفاظ (1/350-351)، طبقات الحنابلة (2/69-72)، شذرات الذهب (1/315)، سير أعلام النبلاء (15/274-275)، البداية والنهاية (11/196) }.

(4) انظر: زاد المسير (5/129).

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أنّ الله ﷻ وجه نبيه ﷺ أن يرجو الله أن يعجل له في الرد على تساؤلات المشركين ليخرس ألسنتهم ويظهر صدقه، وتأييد الله له، وأن يعطيه دائماً من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف.

7- قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾  الكهف.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) بغير تنوين على الإضافة.
2. قرأ الباقون (ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) بالتنوين. (1)

البيان:

قراءة (ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) بالتنوين؛ وذلك لأن قوله (سِنِينَ) عطف بيان لقوله (ثَلَاثَ مِائَةٍ) لأنه لما قال ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ لم يُعرف أنها أيام أم شهور أم سنون، فلما قال سِنِينَ صار هذا بياناً لقوله (ثَلَاثَ مِائَةٍ) فكان هذا عطف بيان له، وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: لبثوا سِنِينَ ثَلَاثَ مِائَةٍ.

وأما قراءة (ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) بغير تنوين على الإضافة؛ فهو أنّ الواجب في الإضافة ثَلَاثَ مِائَةٍ سنة إلا أنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الكهف{103}. (2) ووضع الجمع مكانه مبالغة في الدلالة على الكثرة. (3)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بيان ما أجمله سبحانه من مدة لبث أهل الكهف أحياءً مضروباً على آذانهم في الكهف.

(1) انظر: النشر (233/2).

(2) انظر: التفسير الكبير (113/11).

(3) حاشية زادة على البيضاوي (469/5).

يقول سعيد حوى: " هذا إخبار من الله تعالى بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة، تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي: ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين. فلهذا قال بعد الثلاثمائة وازدادوا تسعاً " . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (ثلاث مائة سنين) : أن المدة التي لبثها أهل الكهف لم تكن أياماً أو شهوراً وإنما هي سنين.

وأفادت قراءة (ثلاث مائة سنين) : كثرة هذه السنين التي لبثوها وهم على هذه الحالة؛ فلم يتأثروا بأي عوامل طبيعية تفسد أجسادهم، ولم يطرأ أي تغير على حالهم، كثرة لا يمكن أن يلبثها الإنسان إلا بقدرة الله. وفي ذلك إشارة إلى أن حالهم التي كانوا عليها والمدة الطويلة التي لبثوها على تلك الحال إنما هي رسالة موجهة لمنكري البعث ودليل على قدرة الله .

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن المدة التي لبثها أهل الكهف في كهفهم وهم على حالة عدم تغير في أجسادهم هي مدة طويلة جداً لا يمكن إلا أن تكون معجزة من معجزات الله الدالة على قدرته سبحانه .

8- قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَبْصَرُ بِهِ وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا ﴾ [الكهف].

القراءات:

1. قرأ ابن عامر (وَلَا تُشْرِكُ) بالخطاب وجزم الكاف على النهي.
2. قرأ الباقر (وَلَا يُشْرِكُ) بالغيب ورفع الكاف على الخبر. (2)

(2) انظر: النشر (233/2).

(1) الأساس في التفسير: سعيد حوى (3174/6).

البيان:

قراءة (ولا تُشْرِكْ) بالتاء والجزم؛ على الخطاب والنهي عن الشرك بالله، فالخطاب للرسول ﷺ والمراد به الإنسان، فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقراءة (ولا يُشْرِكْ) بالياء وضم الكاف على الخبر؛ مخبراً ﷺ عن ذاته، نفى عنه الإشراك، أي: وليس يشرك⁽¹⁾، وأجراه على لفظ الغيبة فرده إلى قوله تعالى ﴿مالهم من دونه من ولي﴾. (2)

التفسير:

تبدأ الآية بالخطاب للرسول ﷺ، وبقطع الممارسة في مدة لبث أصحاب الكهف، المختلف فيها بين أهل الكتاب، وذلك برد العلم إليه ﷺ لأنه هو عالم الغيب والشهادة، وأثبت سبحانه تفرده بالحكم والقضاء والتدبير وعلم الغيب.

يقول الطبرسي: " فالمراد بقوله ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ بعد بيان مدة لبثهم-أصحاب الكهف- إبطال قول أهل الكتاب، واختلافهم في مدة لبثهم، فتقديره: قل يا محمد الله أعلم بمدّة لبثهم، وقد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب، فهو أعلم بذلك منهم. ولا يغيب عن الله سبحانه شيء فيعلم ما غاب في السماوات والأرض عن إدراك العباد، ﴿أبصر به وأسمع﴾ هذا لفظ التعجب، ومعناه: ما أبصره وأسمعه، أي: ما أبصر الله تعالى لكل مبصر، وما أسمعه لكل مسموع، فلا يخفى عليه شيء من ذلك، وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم، وليس لأهل السماوات والأرض من دون الله ناصر يتولى نصرتهم، ولا يُشرك الله في حكمه بما يُخبر به من الغيب أحداً، ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به " . (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (ولا تُشْرِكْ) بالخطاب؛ أنّ الله سبحانه وتعالى ينهى النبي ﷺ والمراد به غيره؛ أن يُشرك في حكم الله أحداً، أو أن ينسب أحد إلى علم الغيب.

يقول الألوسي: " نهى لكل أحد عن الشرك لا نهى له ﷺ، ولو جعل له ﷺ لجعل تعريضاً بغيره كقوله: * إياك أعني واسمعي يا جاره * فيكون مآله إلى ذلك، وجوّز أن

(1) معاني الفراء (139/2).

(2) انظر في بيان القراءتين: الكشف (59/2)، حجة القراءات (ص415)، المستتير (313/1)، الفريد (329/3).

(3) انظر: مجمع البيان (313/6) بتصرف.

يكون الخطاب له ﷺ ويُجعل معطوفاً على (لا تقولن) والمعنى: لا تسأل أحداً عما لا تعرفه من قصة أصحاب الكهف ولبيثهم، واقتصر على ما يأتيك في ذلك من الوحي، أو لا تسأل أحداً عما أخبرك الله تعالى به من نبأ مدة لبيثهم، واقتصر على بيانه سبحانه " (1).

وأفادت قراءة (ولا يُشرك) بالياء على الغيب؛ أن الله سبحانه يخبر عن نفسه أنه لا يشرك في حكمه مما يخبر به من الغيب أحداً، كما أنه لا يشاور في أمره وقضائه أحداً.

يقول أبو السعود: " ﴿ولا يشرك في حكمه﴾ في قضائه أو في علم الغيب أحداً منهم ولا يجعل له فيه مدخلاً، وهو كما ترى أبلغ في نفي الشريك من أن يُقال من ولي ولا شريك " (2).

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين أن الله ﷻ ينهى الرسول أن يسأل أحداً من أهل الكتاب عن تفاصيل خبر أصحاب الكهف، ويكتفي بما أخبره الله به، لأن علم ذلك عنده ﷻ فهو المتصرف في أمور عباده في الحكم والقضاء، وتدبيرهم وتصريفهم، ولا يشرك في أمر الغيب أحداً من خلقه، وتضمن هذا النهي كل إنسان أن يسأل أو يصدّق كل من يدعي علم الغيب؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولا يجعل لأي مخلوق كان مدخلاً إليه.

9- قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾
الكهف.

القراءات:

1. قرأ ابن عامر (بالغُدوة) بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها.
2. قرأ الباقون (بالغداة) بفتح الغين والدال وألف بعدها. (3)

(1) روح المعاني (256/15).

(2) تفسير أبو السعود (249/3).

(3) انظر: النشر (194/2).

اللغة والبيان:

الغدوة: البُكرة ما بين صلاة الغداة⁽¹⁾ وطلوع الشمس. وغدوة، من يوم بعينه، غير مُجراة علمً للوقت. **والغداة:** كالغدوة، وجمعها غدوات. **وغدوة** معرفة لا تصرف، ولا يدخل فيها الألف واللام⁽²⁾ إلا على تأويل التثنية، أو ليزدوج الكلام، كما قال الشاعر⁽³⁾:

وجدنا الوليد بن يزيد مباركاً
شديداً بأحناء الخلافة كاهله

أما **الغداة** فإنها تصرف ويدخل عليها الألف واللام لأنها نكرة.⁽⁴⁾

يقول الراغب⁽⁵⁾: الغدوة والغداة من أول النهار، وقوبل في القرآن الغدو بالأصل، نحو قوله تعالى: ﴿بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [الأعراف:205]، وقوبل الغداة بالعشي، قال تعالى: ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:52]⁽⁶⁾

سبب نزول الآية:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه فأنزل الله ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾⁽⁷⁾.

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أمر الله لرسوله الكريم بالصبر على مجالسة فقراء المؤمنين المخلصين لله، وألا يترك مجالستهم من أجل مجالسة ذوي الغنى والشرف.

(1) صلاة الغداة: صلاة الفجر.

(2) انظر: اللسان (3220/4)

(3) هو الرمّاح بن أبرد، ويُنسب إلى أمه (ميادة) يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك، انظر: مغني اللبيب (ص75)، وشرح شواهد (ص60)، والرواية فيهما: بأعباء الخلافة. وأحناء: جمع حنو، والحنو: كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج. وأحناء الأمور: أطرافها ونواحيها. انظر: اللسان {1033/2}.

(4) انظر: حجة القراءات (ص415).

(5) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني، اشتهر بالتفسير واللغة، له مؤلفات عديدة منها: مفردات ألفاظ القرآن، وأفانين البلاغة وغيرهما. انظر: بغية الوعاة (2/297)، البلغة (1/91)

(6) مفردات الراغب (ص401) مادة: غدا.

(7) أخرجه مسلم في كتاب (فضائل الصحابة) (4/1878) باب (في فضل سعد بن أبي وقاص). وانظر الحديث بمعناه في: أسباب النزول للواحدي (ص229). لباب النقول (ص121). وتفسير القرطبي (5/712-713). وتفسير ابن كثير (5/158-159).

يقول الشنقيطي: "أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يصبر نفسه، أي يحبسها مع المؤمنين الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره مخلصين له، لا يريدون بدعائهم إلا رضاه ﷻ، وقد نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين كعمار، وصهيب، وبلال، وابن مسعود ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين، وقد نهى أن تتجاوز عيناه ضعفاء المؤمنين وفقراءهم بسبب رثاثة زيهم، محترماً لهم طامحاً إلى أهل الغنى والجاه والشرف وما لديهم من زينة الحياة الدنيا بدلاً منهم، كما نهى عن طاعة الغافل عن ذكر الله المتبع لهواه، ومعنى اتباعه هواه: أنه يتبع ما تميل إليه نفسه الأمانة بالسوء وتهواه من الشر، كالكفر والمعاصي، وكانت أعماله سفهاً وضياعاً وتفريطاً.⁽¹⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (بالغداة) أن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من أوصافهم أنهم يدعون ربهم في أول النهار وآخره، أي: في كل وقت ابتغاء مرضاته.

وأفادت قراءة (بالغدوة) أن أولئك الفقراء رغم كونهم نكرة في مجتمع السادة والأغنياء إلا أنهم لهم المكانة العالية عند الله ﷻ لإخلاصهم في طاعتهم وعبادتهم لله حيث يدعونه في جميع الأوقات.

يقول أبو السعود: "وقرىء بالغدوة على أن إدخال اللام عليها وهي علم في الأغلب على تأويل التتكير بهم، والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم ﷺ، وقيل: أصحاب الصفة، وكانوا نحو سبعمائة رجل".⁽²⁾

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن الله ﷻ قد أمر نبيه الكريم بتصبير نفسه على مجالسة فقراء المؤمنين الذين من صفاتهم طاعة الله والصلاة له والدعاء في كل وقت، لذلك كانت لهم المكانة العالية عند الله ﷻ رغم كونهم نكرة في المجتمع، ونهاهه عن ترك مجالستهم من أجل مجالسة كبراء القوم؛ وذلك لأن المقياس عند الله هو مقياس الإيمان وليس مقياس الغنى والسيادة.

(1) انظر: أضواء البيان (2/379-381) بتصرف.

(2) تفسير أبي السعود (3/249).

10- قال تعالى: ﴿ كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا
وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (أُكُلَهَا) بإسكان الكاف.
2. قرأ الباقون (أُكُلَهَا) بضم الكاف. (1)

اللغة والبيان:

أكلها: ثمرها وزرعها، وسماه أكلاً لأنه مأكول. (2) وبلغ مبلغاً صالحاً للأكل. (3) والإسكان والضم لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة: تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول وهو لغة الحجازيين ". (4)
والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن قراءة التنقيح تفيد المبالغة.

التفسير:

تحدثت الآية الكريمة عن حال أشجار الجنتين وزروعها والنهر بينهما.

يقول كشك: " أي: كلتا الجنتين أخرجت ثمرها ولم تنقص منه شيئاً في سائر الأعوام، على خلاف ما يُعهد في الكروم والأشجار من أنها تكثر غلتها أعواماً، وتقل أعواماً أخرى، وشققنا وسط الجنتين نهراً كبيراً، متفرع منه عدة جداول، ليدوم سقيهما، ويزيد بهاؤهما، وتكثر غلتها ". (5)

ويقول أبو السعود: "ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيدان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها، ولو عكس لا نفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض ، فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة ، وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا

(1) انظر: النشر (162/2).

(2) تفسير الماوردي (305/3).

(3) روح المعاني (274/15).

(4) المغني (280/1) في موضع الآية 265 من سورة البقرة.

(5) تفسير كشك (2262/13).

يتوقف على السقي، كقوله تعالى ﴿زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ النور{35} " . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أكلها) بإسكان الكاف: أن كلتا الجنتين أخرجت ثمرها كاملاً ليس فيه نقص في المقدار ولا رداءة في النوع.

يقول البقاعي: " ولما كان الشجر قد يكون فاسداً من جهة أرضه، نفى ذلك بقوله تعالى؛ جواباً كأنه قال: ما حال أرضهما المنتج لركاء ثمرهما ؟ : ﴿كلتا﴾ أي كل واحدة من ﴿الجننتين﴾ المذكورتين ﴿أنت أكلها﴾ أي: ما يطلب منها ويؤكل من ثمر وحب، كاملاً غير منسوب شيء منهما إلى نقص ولا رداءة، وهو معنى : ﴿ولم تظلم﴾ أي: تنقص حساً ولا معنى كمن يضع الشيء في غير موضعه ﴿منه شيئاً﴾ " . (2)

وجاءت قراءة (أكلها) بضم الكاف لتبين أن إيتاء الثمر كاملاً ليس خاصاً في عام دون عام؛ بل هو في سائر الأعوام. وهذا ما يفيدته تتابع الضمتين الذي يفيد المبالغة.

وبذلك جاءت قراءة الضم لتؤكد قراءة السكون ولتزيد عليها معنى الاستمرارية في إيتاء الأكل الذي يدل على فضل الله الذي يستوجب مزيداً من الإيمان لا انقلاباً إلى كفر وضلال. والله أعلم.

(1) تفسير أبي السعود (251/3).

(2) نظم الدرر (467/5).

11، 12- قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا

أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ﴿٢٤﴾ الكهف.

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ

عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿٤٢﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ أبو عمرو (ثَمْرٌ) و (بِثَمْرِهِ) بضم التاء وإسكان الميم فيهما.
2. قرأ عاصم وأبو جعفر وروح (ثَمْرٌ) و (بِثَمْرِهِ) بفتح التاء والميم فيهما.
3. وقرأ رويس (ثَمْرٌ) بفتح التاء والميم، و (بِثَمْرِهِ) بضم التاء والميم.
4. قرأ الباقون (ثَمْرٌ) و (بِثَمْرِهِ) بضم التاء والميم فيهما. (1)
1. قرأ نافع وأبو جعفر (أنا أكثر) بإثبات ألف (أنا) حين وصلها بـ(أكثر).
2. قرأ الباقون بحذفها حين الوصل. (2)

اللغة والبيان :

الثمر: اسم لكل ما يتطعم من أحمال الشجر، الواحدة ثمرة، والجمع: ثمار وثمرات. (3)

الثُّمْرُ: بضم التاء وإسكان الميم: أنواع المال. أي: من تثمير المال، لقوله بعد ذلك ﴿أنا أكثر منك مالاً﴾. (4) وإسكان الميم للتخفيف لأن أصلها الضم. (5)

الثَّمْرُ: بفتح التاء والميم: المأكول، وهو جمع ثمرة، كبقرة وبقر.

الثُّمْرُ: بضم التاء والميم: النخل والشجر، أي: الأصول التي تحمل الثمرة (6)، وقال ابن

عباس وقتادة: هي جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، ويُستشهد لهذا القول

(1) انظر: النشر (233/2)، الإتحاف (ص366)، الهادي (11/3).

(2) انظر: النشر (173/2) عند الآية {258} من سورة البقرة، الإتحاف (ص366).

(3) مفردات الراغب (ص 92) مادة: ثمر.

(4) الحجة (ص131).

(5) انظر: الكشف (60/2). (6) انظر: الحجة للقراء (143/5)، الكشف (60/2).

ببيت النابغة الذبياني⁽¹⁾: * وما أثمر من مال ومن ولد *⁽²⁾. (3)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن جانب من حوار في قصة صاحب الجنتين دار بين صاحب الجنتين الكافر بنعم الله عليه وصاحبه المؤمن؛ حيث اغتر الكافر بما آتاه الله من مال وجاء، وعيّر صاحبه بفقره، وهما يطوفان في الجنتين.

يقول القاسمي: " وكان لصاحب الجنتين أنواع من المال غير الجنتين، فقال لصاحبه وهو يراجع الكلام ، تعبيراً له بالفقر ، وفخراً عليه بالمال والجاه ، أنا أكثر منك مالاً وأنصاراً وحشماً " . (4)

ثم بين سبحانه عاقبة الكفر والجحود بأنعم الله؛ حيث أرسل سبحانه على جنّيه الهلاك المبرم، حينها أخذ الندم على كفره، وتمنى أنه سمع لصاحبه موعظته ولم يشرك بربه أحداً.

يقول الزحيلي: " ونزل الإهلاك والجائحة بالأموال والثمار بإرسال الحسبان على جنّته التي اغتر بها، وألهته عن الله وَعَلَى ، ودمرت أمواله وثماره، فأصبح نادماً متحسراً على ضياع نفقته التي أنفقها عليها، فتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، وتمنى متذكراً موعظة صاحبه أن لم يكن أشرك بربه أحداً، والخواوية على عروشها: هي التي سقطت عرائشها على الأرض، قيل: أرسل الله عليها ناراً فأكلتها، وسقط بعضها على بعض " . (5)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ثُمْر) بأنّ الرجل الكافر كان يملك أنواع المال التي هلكت بأمر الله عقاباً له على كفره.

يقول الطبرسي: " والثُمْر أنواع المال، فإذا اصطلم⁽⁶⁾ الثُمْر فاجتنيح دخلت الثمرة فيه ولا يمكن أن يُصاب الأصل ولا تُصاب الثمرة " . (7)

(1) هو: زياد بن معاوية، ويكنى بأبي أمامة، وسمّي بالنابغة لقوله: فقد نبغت لهم منا شئون . وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء. { انظر: الأغاني (5/11) }.

(2) والشاهد شطر بيت مطلع: مهلاً فداءً لك الأقوم كلهم . ومعنى أثمر: أصلح وأجمع. { انظر: المرجع السابق (39/11) }.

(3) المحرر الوجيز (516/3).

(4) انظر: محاسن التأويل (4057/11-4058).

(5) التفسير المنير (255/15).

(6) الاصطلام: الاستئصال، اصطلم: أي: استوصل. { انظر: مختار الصحاح (ص392) } . (7) مجمع البيان (320/6).

وأفادت قراءة (ثَمْرٌ) أَنَّ أشجار الجنتين كانت مثمرة، وقد هلكت جميع الثمار ولم يبق منها شيء، وهلاك الثمار نتيجة لهلاك أصولها.

يقول ابن عطية: " وأما من قرأ بفتح الثاء والميم، فلا إشكال في أن المعنى ما في رؤوس الشجر من الأكل، ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يعبر إيجازاً عن هلاك الثمر والأصول بهلاك الثمر فقط، فخصها بالذكر إذ هي مقصود المستغل، وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الثمر الذي كان يرجى في المستقبل كما يقتضي قوله إن له (ثمراً)، إن له أصولاً كذلك تقتضي الإحاطة المطلقة بالثمر، أن الأصول قد هلكت ". (1)

وأفادت قراءة (ثُمرٌ) أنه كانت له نخل وشجر، وأنواع أخرى من الأموال.

يقول أبو حيان: " قال ابن عباس وقتادة: الثمرُ جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك، وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة، وقال ابن زيد: هي الأصول فيها الثمر، وقال أبو عمرو بن العلاء: الثمر المال، فعلى هذا المعنى أنه كانت له إلى الجنتين أموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما، فكان متمكناً من عمارة الجنتين ". (2)

أفادت قراءة (أنا أكثر) بإثبات الألف حين الوصل مدى غرور الكافر وتفاخره على المؤمن، لأنَّ في زيادة المبنى زيادة في المعنى كما يقول أهل اللغة.

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن الكافر كانت له أموال كثيرة يستثمرها غير الجنتين اللتين يمتلكهما، كما كان يستثمر بعضاً من هذه الأموال في عمارة جنتيه، وحينما أثمرت الأشجار ونضجت الزروع، وكل شيء أصبح صالحاً للأكل، وبسبب كفره وجوده لنعم الله عليه وتفاخره بما يملك بكل غرور؛ عاقبه الله وَعَجَّلَ بإهلاك ماله كله؛ فأهلك الماشية، وسلبت أمواله، وأهلك جناته بأن أرسل عليهما ناراً أحرقت أشجارهما بثمارها، فسقطت عروشها، كما غارت الأنهار في باطن الأرض. فأهلك ماله كله أصوله وفروعه، فأصبح كل شيء هباءً منثوراً.

يقول ابن عاشور: " أُلْف ماله كله بأن أرسل على الجنة والزرع حُسيانٌ من السماء فأصبحت صعيداً زلقاً، وهلكت أنعامه، وسلبت أمواله، أو خُسف بها بزلزال أو نحوه ". (3)

(1) المحرر الوجيز (516/3).

(2) البحر المحيط (119/6).

(3) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 326).

13- قال تعالى: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ

خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ ﴿٣٦﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر (منهما) بميم بعد الهاء على التنثية.
2. قرأ الباقون (منها) بحذف الميم على الإفراد. (1)

البيان:

قراءة (منهما) على التنثية وعود الضمير على الجنتين المتقدم ذكرهما مكرراً في قوله تعالى ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ وقوله ﴿كلتا الجنتين آتت﴾ وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام.

وقراءة (منها) على الإفراد؛ وعود الضمير على الجنة في قوله تعالى ﴿ودخل جنته﴾ وقوله ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبداً﴾ فكان رده على الأقرب منه أولى من رده على الأبعد، وأيضاً فإن الجنة تحتوي على جنتين وأكثر. وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة. (2)

التفسير:

الآية الكريمة استكمالاً لذكر الحوار الدائر في قصة صاحب الجنتين بين النموذج المؤمن والنموذج الكافر، حيث أنكر الكافر قيام الساعة، وادعى كرامته على الله تعالى، غروراً وغطرسة، ولم يدر أن ما فيه من نعيم إنما هو استدراج له.

يقول الطبري: " لما عاين جنته ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزرورع والأنهار المطردة قال شكاً في المعاد؛ ما أظن الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه فقال: ولئن رددت إلى ربي فرجعت إليه وهو غير موقن أنه راجع إليه، لأجدنَّ خيراً من جننتي هذه عند الله مرجعاً ومردداً، ويقول لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه ". (3)

(1) انظر: النشر (233/2).

(2) انظر: الكشف (60/2-61).

(3) انظر: تفسير الطبري (مجلد 8 ج 15 ص 161).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (منها) بالإفراد؛ أنّ الكافر تمنى على الله أن يجد عنده في الآخرة خيراً من جنته التي طاف فيها هو والمؤمن إن رُدَّ إليه على سبيل الفرض.

وأفادت قراءة (منهما) بالثنائية؛ أنه تمنى على الله أن يعطيه في الآخرة جنتين كما أعطاه في الدنيا ظناً منه أن الله أعطاه إياهما لكونه مستحقاً لهما.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين مدى غطرسة صاحب الجنتين وكفره حتى إنه لم يكفه إنكار البعث، وإنما أيضاً تمنى على الله وأقسم عليه أن يعطيه في الآخرة ليس فقط جنة أفضل من جنته التي يطوف فيها وهو يحاور المؤمن، بل أفضل من جنتيه اللتين أعطاهما الله له في الدنيا ظناً أنه إنما أعطاه إياهما لكرامته عليه سبحانه.

14- قال تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ ابن عامر وأبو جعفر ورويس (لكنَّا هو) بإثبات الألف بعد النون وصلًا.
2. قرأ الباقر (لكن هو) بغير ألف وصلًا. (1)

البيان:

أصل كلمة (لكنَّا) هو: (لكن) و(أنا)، أي: (لكن أنا هو الله ربي)، فألقيت حركة الهمزة على النون، وحذفت الهمزة فبقيت (لكنَّا) بنونين متحركتين، فلما تلاقت النونان أسكنت الأولى وأدغمت في الثانية، فأصبحت (لكنَّا). و(لكن) حرف استدراك لقوله تعالى ﴿أكفرت﴾ كأنه قال: أنت كافر ولكني مؤمن. و(هو) في قوله ﴿هو الله ربي﴾ ضمير الشأن وهو مبتدأ وقوله ﴿الله ربي﴾ جملة من المبتدأ والخبر واقعة في معرض الخبر، لقوله: هو.

وقراءة (لكن) بحذف الألف في الوصل؛ على اعتبار أنها كهاء السكت يُوتى بها لبيان حركة النون في الوقف، والاسم من (أنا) عند البصريين (أن)، والألف زيدت في الوقف كهاء

(1) انظر: النشر (233/2)، الميسر (ص298).

السكت لبيان الحركة كقول القائل: (أَنْ قَلت) محذوفة الألف، فَإِنْ وَقَفَ عَلَيْهَا أُثْبِتت الألف، أي: (أنا) .

أما قراءة (لكنَّا) بإثبات الألف في الوصل على لغة من قال (أنا قمت)، وهو جعل الألف من أصل الاسم المضمر، كما قال الشاعر⁽¹⁾:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميداً قد تدرّيتُ السناما⁽²⁾ (3)

يقول الألويسي: " وقيل: أثبتت إجراء للوصل مجرى الوقف، وفي إثباتها دفع اللبس بـ(لكنَّ) المشددة " . (4)

التفسير:

بعدما أنكر المؤمن على صاحبه الكافر كفره وجحوده بأنعم الله عليه؛ أخبره عن اعتقاده الذي يضاد اعتقاد صاحبه.

يقول الطبرسي: "﴿لكنَّا هو الله ربي﴾ تقديره: لكن أنا أقول هو الله ربي وخالقي ورازقي، فإن افتخرت عليّ بدنياك فإن افتخاري بالتوحيد، ﴿ولا أشرك بربي أحداً﴾ أي: لا أشرك بعبادتي إياه أحداً سواه، بل أوجهها إليه وحده خالصاً، وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم، وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم، وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى " . (5)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (لكنَّ) بدون ألف إقرار الرجل المؤمن بعبوديته لربه وبتوحيده لله.

أما قراءة (لكنَّا) بالألف فقد جاءت لتؤكد تقريره بوحدانية إلهه وافتخاره بعبوديته له.

(1) القائل هو: حميد بن حريث بن بحدل، الكلبي، إسلامي من وجوه أهل دمشق وفرسان قحطان، ولي شرطة يزيد بن معاوية وغزا معه القسطنطينية في خلافة معاوية . { انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (6/ 2969) ، تهذيب تاريخ دمشق (460/4) } .

(2) تدرّيت السنام: علوتُهُ وفرعتُهُ . { انظر: اللسان (1500/2) مادة: ذرا } .

(3) انظر: حجة القراءات (ص417)، الكشف(61/2-62) ، الحجة للقراء (5/145-147) ، التفسير الكبير (مجلد11ج21ص127).

(4) روح المعاني (15/277).

(5) مجمع البيان (6/326).

15- قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وقالون والأصبهاني عن ورش (تَرَنِي) بإثبات الياء وصلماً دون الوقف.
 2. قرأ ابن كثير ويعقوب (تَرَنِي) بإثبات الياء وصلماً ووقفاً.
 3. قرأ الباقر (تَرَنْ) بحذفها وصلماً ووقفاً.⁽¹⁾
١. قرأ نافع وأبو جعفر (أنا أقل) بإثبات ألف (أنا) حين وصلها بـ(أقل).
2. قرأ الباقر بحذفها حين الوصل.⁽²⁾

البيان:

يقول د. فاضل السامرائي: " قد يُحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفاً أو يذكره أو يجتزىء بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال، وفي ذكر الياء وحذفها منحى معين ؛ ففي كل موطن ذكرت فيه الياء يكون مقام إطالة وتفصيل في الكلام، بخلاف الاجتزاء بالكسرة فإن فيه اجتزاء في الكلام ".⁽³⁾

والعلماء حينما تناولوا مثل هذه المواضيع لم يتناولوها إلا ببيان القراءات الواردة فيها، وأحوالها الإعرابية، ولم يهتموا ببيان الوجه البلاغي في الذكر والحذف الوارد فيها.

الإعراب:

(إن ترني) : (إن): شرط جوابه: (فعسى ربي)، وياء الضمير مفعول أول، و (أنا) فصل، أو توكيد للمفعول الأول، و(أقل) مفعول ثان، والرؤية هنا من رؤية القلب - أي: الرؤية

(1) انظر: النشر (237/2) ، الإتحاف (ص367).

(2) انظر: النشر (173/2) عند الآية {258} من سورة البقرة ، الإتحاف (ص366).

(3) انظر: التعبير القرآني (ص75-80).

العلمية- ، (1) لأنّ: رأى إذا عدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، نحو: ﴿ويرى الذين أتوا العلم﴾ [سبا/6] . (2)

ويجوز أن تكون بصرية، و(أنا) توكيد للضمير في (ترني) المنصوب فيكون (أقل) حالاً. (3)

التفسير:

بعد إنكار المؤمن على الكافر اعتقاده، واعتراف المؤمن بالوحدانية والربوبية لله؛ بدأ بتوجيه النصح للكافر.

يقول كشك: " وهلا إذ أعجبتك جنتك حين دخلتها، ونظرت إليها، حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك، وقلت: الأمر ما شاء الله، والكائن ما قدره الله ليكون ذلك منك اعترافاً بالعجز، وبأنّ كل خير بمشيئة الله وفضله، وهلا قلت: لا قوة إلا بالله إقراراً بأن ما قويت على عمارتها وتدبير أمرها فإنما هو بمعونة الله وتأييده... وبعد أن نصح الكافر بالإيمان وأبان له عظم قدرة الله وكبير سلطانه، أجابه عن افتخاره بالمال والنفس، ورد على قوله: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، فقال: إن ترني أيها الرجل أفقر منك فإني أرجو الله أن يقلب الآية ". (4)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَرَن) : سرعة تعرف الكافر على حال المؤمن من هيئته الدالة على ذلك- وهذا ما يُعبر عنه بالرؤية البصرية- وعدم اكتراث المؤمن بعلم الكافر بفقره وحاجته؛ لأنه على يقين بأن الله سيقرب الموازين لصالحه. رجاءً في الله.

وأفادت قراءة (تَرَنِي) بإثبات الياء: الرؤية العلمية والبصرية؛ حيث إن المؤمن يفتخر بإيمانه ولا يكثر بحاله، رغم ما يبصره الكافر من مظهره، أو ما يعرفه من مقاله من فقر وحاجة.

(1) انظر: الفريد (3/339). وانظر أيضاً: في الإعراب: معاني الزجاج (3/288). وفي المقصود بالرؤية: البحر المحيط (123/6).

(2) مفردات الراغب (ص207) مادة: رأى.

(3) البحر المحيط (123/6).

(4) انظر: تفسير كشك (13/2264).

أما قراءة (أنا أقل) بإثبات ألف، فأفادت: عدم خجل المؤمن من فقره ومن الاعتراف به، ومن باب المقابلة لغرور الكافر وتكبره؛ لأنه على يقين أن المقياس عند الله هو مقياس الإيمان، تصديقاً لقوله سبحانه ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات{13}، وأن ما في الدنيا زائل، وطمعاً في كرم الله في الآخرة.

وأفادت قراءة (أنا أقل) بحذف الألف: أنه رغم احتقار الكافر للمؤمن وتفاخره عليه بسبب فقره وقلة ماله وولده، إلا أن هذا لا يهمل المؤمن، لأنه على يقين بعدل الله وكرمه.

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن المؤمن قد نصح الكافر، رغم غروره وافتخاره عليه، بالاعتراف بمشيئة الله، على إبقاء ما يملك أو إفنائه، وبعجزه أمام قدرة الله، وأن ما يملك في الدنيا ليس بقدرته وإنما بتيسير الله له وكرمه عليه، ومعونته له، ثم قابل افتخار الكافر بماله وأعوانه بافتخاره بكونه على الحق، ويقينه في الله؛ رغم ما يبدو على هيئته، ويُعلم عنه من فقر وحاجة، جعلت الكافر يتكبر عليه ويتفاخر، فإن كل ذلك لا يهمله ولا يكثر به، لأنه يرجو عدل الله وكرمه.

16- قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا

حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (أن يؤتيني) بإثبات الياء وصلماً.
2. قرأ ابن كثير ويعقوب (أن يؤتيني) بإثبات الياء وصلماً ووقفاً.
3. قرأ الباقون (أن يؤتين) بحذفها وصلماً ووقفاً.⁽¹⁾

اللغة:

الإيتاء: الإيعاء.⁽²⁾

(1) انظر: النشر (237/2) ، الإتحاف (ص367).

(2) مفردات الراغب (ص 15) مادة: أتي.

التفسير:

يقول البقاعي: " ولما أقر هذا المؤمن بالعجز والافتقار، في نظير ما أبدى الكافر من التقوى والافتخار، سبب عن ذلك ما جرت به العادة في كل جزاء، داعياً بصورة التوقع فقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي﴾ المحسن إليّ ﴿أَنْ يُؤْتِيَنِي﴾ من خزائن رزقه ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ فيحسن إليّ بالغنى كما أحسن إليّ بالفقر المقترن بالتوحيد، المنتج للسعادة ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا﴾ أي: جنتك ﴿حِسَابًا﴾ أي: مرامي من الصواعق، والبرد الشديد ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾، ولما كانت المصابحة بالمصيبة أنكى ما يكون، قال تعالى: ﴿فَتَصْبِحُ﴾ بعد كونها قرة للعين بما تهتز به من الأشجار والزرور ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي: أرضاً يزلق عليها لملاستها باستئصال نباتها، فلا ينبت فيها نبات، ولا يثبت فيها قدم " . (1)

يقول ابن عطية: " الترجي بـ(عسى) يحتمل أن يريد به في الدنيا، ويحتمل أن يريد به في الآخرة، وتمني ذلك في الآخرة أشرف مقطوعاً، وأذهب مع الخير والصلاح، وأن يكون ذلك يراد به الدنيا أذهب في نكايه المخاطب، وأشد إيلاماً لنفسه " . (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أَنْ يُؤْتِيَنِي): أن الرجل الصالح تمنى على الله أن يعطيه خيراً من جنة الكافر ولو بعد حين، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

ويؤيد ذلك أشهر القولين القائل بأن مقصوده: جنة في الآخرة، فيكون أفضل منه عند

الله.

وأفادت قراءة (أَنْ يُؤْتِيَنِي) : تمنى الرجل الصالح للجنة بسرعة؛ والمقصود بذلك أن يؤتیه الله جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة. ويؤيد ذلك رأي من رأى أنه تمنى الجنة في الدنيا، ليكون فيها تمام الإغاطة للكافر في الدنيا قبل الآخرة.

الجمع بين القراءات:

أفادت القراءات أنّ المؤمن تمنى على الله أن يحسن إليه بالغنى ويقلب ما به من الفقر وما بالكافر من الغنى؛ بأن يعطيه خيراً من جنة الكافر، في الآخرة نتيجة صلاحه، أو في الدنيا قبل الآخرة، ويرسل على جنة الكافر عذاباً أو ناراً من السماء، حساب ما كسبت يده، فتصبح

(2) المحرر الوجيز (518/3).

(1) نظم الدرر (470/4).

أرضاً لا نبات فيها، ملساء مقفرة لا يثبت فيها قدم، ليكون في ذلك تمام الإغاضة للكافر.

يقول الطبرسي: " إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالاً وعشيرة وأولاداً فلعل الله أن يؤتيني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة، ويرسل على جنتك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها. عن ابن عباس وقتادة. وقيل: يرسل عليها عذاب حسبان، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك، فتصبح أرضاً مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضر أرض من بعد أن كانت أنفع أرض " . (1)

17- قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

مُنْتَصِراً ﴿٤٢﴾ الكهف.

القرآيات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (ولم يكن) بالياء على التذكير.

2. قرأ الباقون (ولم تكن) بالتاء على التأنيث. (2)

اللغة والبيان:

الفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد. (3)

و(فئة): اسم جمع غير حقيقي التأنيث. (4)

والعرب قد تَوَنَّتْ للكثرة، وتُذَكَّرُ للقلّة، وذلك كما في قوله تعالى ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ يوسف {30} و﴿قالت الأعراب آمنا﴾ الحجرات {14}، فذَكَرَ الفعل (قال) لأنَّ النسوة قلة، وأنَّث (قالت) لأنَّ الأعراب كثرة. (5) وقد تَوَنَّتْ للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية، وإنما أنثوا المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف، والغاية مؤنثة. (6)

(1) انظر: مجمع البيان (326/6).

(2) انظر: النشر (233/2).

(3) مفردات الراغب (ص435) مادة: فيأ. وانظر: معاني الزجاج (381/1).

(4) انظر: الفريد (341/3)، الدر المصون (459/4)، معاني القراءات (ص268).

(5) انظر: معاني القرآن للفراء (435/1) عند بيان معنى الآية 36 من سورة براءة.

(6) انظر: شرح التصريح (288/2)، همع الهوامع (ص171)، شرح المفصل (98/1).

وقال كثير من العلماء إن القراءة بالتذكير - (لم يكن) - هي حمل على المعنى، والقراءة بالتأنيث - (لم تكن) - هي حمل على لفظة الفئنة. (1)

التفسير:

بعدما استجاب الله للمؤمن بإهلاك جنة الكافر؛ بيّن سبحانه أنه لا أمر لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم، ولإذلال أعدائه بعد عزهم وتكبرهم، وأن غيره لا قدرة ولا حقيقة له.

يقول كشك: " أي: ولم تكن له عشيرة ممن افتخر بهم واستعز ينصرونه، ويقدرّون على دفع الجوائح عنه، أو رد المهلك له من دون الله، فإن الله هو الذي يقدر وحده على نصره، وما كان منتصراً بقوته عن انتقام الله منه بإهلاك جنته " . (2)

ويقول المنصوري: " فإن قيل: فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد ، فلم قيل ﴿وما كان منتصراً﴾ ؟ الجواب: إنما رغب في التوحيد، لأجل حفظ ماله، ولطلب الدنيا، فلهذا ما صار توحيد مقبولاً عند الله تعالى " . (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءتان أنه لا ناصر للكافر من غضب الله وعذابه سواء أكثرت عزوته التي كان يعتمد عليها، أم قلت، فلن تستطيع بأي حال أن تنصره أو تدفع عنه شيئاً.

يقول البقاعي: " ﴿ولم تكن له فئة﴾ أي: جماعة لا من نفره الذين اعتر بهم، ولا من غيرهم ينصرونه مما وقع فيه بغير عون الملك الأعظم " . (4)

(1) انظر: المحرر الوجيز (519/3) ، الفريد (341/3) ، معاني القراءات (ص268) ، الحجة في القراءات (ص132).

(2) تفسير كشك (2265/13).

(3) المقتطف (3258).

(4) نظم الدرر (471/4).

18- قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

الكهف.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (الْوَلَايَةُ) بكسر الواو.
2. قرأ الباقرن (الْوَلَايَةُ) بفتح الواو. (1)
1. قرأ أبو عمرو والكسائي (الْحَقُّ) برفع القاف.
2. قرأ الباقرن (الْحَقُّ) بخفض القاف. (2)
1. قرأ عاصم وحمزة وخلف (عُقْبًا) بإسكان القاف.
2. قرأ الباقرن (عُقْبًا) بضم القاف. (3)

اللغة والبيان:

(الْوَلَايَةُ) بالفتح: مصدر الولي، وهي: النصره والتولي. وهي على معنى: أن النصره لله وحده لا يملكها غيره.

(الْوَلَايَةُ) بالكسر: مصدر الوالي، وهي: السلطان والمُلك. وهي على معنى: أن الله جَلَّ جَلَالُهُ هو المنفرد بالملك والسلطان. (4)

يقول ابن خالويه (5) : (الحق): الله عَزَّ وَجَلَّ . والحق: صدق الحديث. والحق: الملك باستحقاق. والحق: اليقين بعد الشك. (6)

وقراءة (الحق) بالخفض على أنها نعتٌ لـ(الله) عَزَّ وَجَلَّ، أي أنه : ذو الحق. لقوله تعالى: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ يونس{30}.

(1) انظر: النشر (208/2) .

(2) انظر: النشر (233/2) .

(3) انظر: النشر (163/2).

(4) انظر: معاني القراءات (268) ، الكشاف (68/3) ، الفريد (342/3).

(5) هو: الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون، أبو عبد الله النحوي اللغوي، الإمام المشهور. توفي سنة 370هـ. {انظر: غاية النهاية (237/1)}.

(6) الحجة (ص132).

أما قراءة (الحق) بالضم على أنها نعتٌ لـ(الولاية)، أي: الولاية الحق لله ، أي لا يستحقها غيره، لأنه لا يشوبها نقص ولا خلل.

أما (عُقْبًا) و (عُقْبًا) فهما لغتان بمعنى: العاقبة، وهي: الآخرة. وهما منصوبان على التمييز. (1) والتثقيل لزيادة المبالغة. فإن (فُعلاً) بضمه وبضمّتين من صيغ جموع الكثرة ، فيفيده ذلك مبالغة، وإن لم يكن جمعاً. (2)

التفسير:

بعدما ذكر سبحانه قصة صاحب الجنّتين وما حلَّ به من عقاب من الله بسبب إشراكه به وكفره بأنعمه، وما نتج من هذه القصة من أنه: لا ناصر لأولياء الله بعد ذلهم، ولا مذل لأعدائه بعد عزهم وكبرهم إلا هو سبحانه. أعقب ذلك بالتأكيد على أنّ النصره هي من الله وحده وأن الملك والسلطان هو الله وحده في الدنيا والآخرة.

يقول القرطبي: " اختلف العلماء في العامل في قوله «هنالك» وهو ظرف، فقيل العامل فيه «ولم تكن له فئة» ولا كان هنالك، أي: ما نصر ولا انتصر هنالك، أي: لما أصابه من العذاب، وقيل: تم الكلام عند قوله «منتصراً» والعامل في قوله «هنالك»: «الولاية» وتقديره على التقديم والتأخير: الولاية لله الحق هنالك، أي: في القيامة. (3)

ويقول النسفي: " هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصره لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله «ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله»، أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر، يعني أن قوله «يا ليتني لم أشرك بربي أحداً» كلمة ألجئ إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها، أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قوله «فعسى ربي أن يؤتينا خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء» ويؤيده قوله «هو خير ثواباً وخير عقباً» أي لأوليائه، أو هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله «لمن الملك اليوم» عافر{16}، الحق بالرفع أبو عمرو وعلي، صفة للولاية، أو خير مبتدأ محذوف، أي: هي الحق، أو هو الحق ، غيرهما بالجر صفة لله، عقباً... بمعنى العاقبة " . (4)

(1) انظر: حجة القراءات (ص419) ، الكشف (2/63) ، الحجة للقراء (5/150-151) ، الفريد (3/342-343).
(2) نظم الدرر (4/471). (3) تفسير القرطبي (مجلد 5 ج731/10). (4) انظر: تفسير النسفي (3/12).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (الولاية) بالفتح: أن النصر لله وحده لا يملكها غيره، وأن كل أحد من مؤمن وكافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع إليه إذا وقع العذاب كقوله ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ غافر{84}. (1)

ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة، وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قوله ﴿فعسى ربي أن يؤتينا خيراً من جنتك ويرسل علينا حسباً من السماء﴾ ويعضده قوله ﴿هو خير ثواباً وخير عقاباً﴾ أي: لأوليائه. (2) هذا على قراءة من وقف على (منتصراً)، وابتدأ بـ(هنالك).

أما على قراءة الوقوف على (هنالك) والابتداء ب(الولاية) فتفيد القراءة أن هذا الأمر في الآخرة، أن النصر لله وحده ولا يملكها غيره في ذلك اليوم.

يقول ابن الجوزي: " ويكون في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة ويؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. قاله ابن قتيبة، والثاني: هنالك يتولى الله أمر الخلائق فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين ". (3)

وأفادت قراءة (الولاية) بالكسر: أن الله هو المنفرد بالملك والسلطان في الدنيا والآخرة. وهذا المعنى كذلك على اختلاف الوقف والابتداء.

يقول القرطبي: " وبالكسر يعني السلطان والقدرة والإمارة، كقوله ﴿والأمر يومئذ لله﴾ الانفطار{19} أي: له الملك والحكم يومئذ، أي: لا يُرد أمره إلى أحد، والملك في كل وقت لله، ولكن تزول الدعاوي والتوهمات يوم القيامة ". (4)

وأفادت قراءة (الحق) بالضم: أن ولاية الله هي الولاية الصدق؛ لأن ولاية غيره كذب وباطل. (5)

(1) انظر: تفسير ابن كثير (167/5).

(2) البحر المحيط (124/6). وقد نقله عن الكشاف (68/3).

(3) زاد المسير (147/5).

(4) تفسير القرطبي (مجلد 5 ج 10/731).

(5) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 329).

أما قراءة (الحق) بالخفض فأفادت: أن الله جَلَّ جَلَالُهُ هو الحق، وأن غير الله لا حقيقة له أو دوام.

يقول البقاعي: " أي الثابت الذي لا يحول يوماً ولا يزول، ولا يغفل ساعة ولا ينام، ولا ولاية لغيره بوجه - هذا على قراءة الجماعة بالجر على الوصف " (1).

الجمع بين القراءات:

الجمع بين القراءات يؤكد حقيقة أن الله جَلَّ جَلَالُهُ هو الإله الحق الذي له الولاية الحقيقية التي لا يشاركه فيها أحد، وهو الملك، وله السلطان في الدنيا والآخرة، فيعترف بملكه وسلطانه وولايته المؤمن طوعاً، والكافر جبراً، وأن النصر لله وحده لا يملكها غيره، وهو الناصر لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، فتوابه لأوليائه خير ثواب وعقابه خير عاقبة، وهو الملاذ لطلب النصر منه للمؤمن والكافر على السواء عند حلول العذاب في الدنيا، والمتولى يوم القيامة من الكفار فيؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون.

19- قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٥٥﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (الرِّيح) بالإفراد.
2. قرأ الباقون (الرِّياح) على الجمع. (2)

البيان:

يقول القرطبي: " فَمَنْ وَحَدَّ الرِّيحَ فَلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرِّيح " (3).

(1) نظم الدرر (471/4).

(2) انظر: النشر (168/2). وراجع بيان معنى القراءتين عند تفسير الآية 69 من سورة الإسراء ص113.

(3) تفسير القرطبي (مجلد 1 ج2 ص595).

التفسير:

لما بيّن تعالى في المثل الأول حال الكافر والمؤمن، وما آل إليه ما افتخر به الكافر من الهلاك، بيّن في هذا المثل حال الحياة الدنيا واضمحلالها، ومصير ما فيها من النعيم، والتزفه إلى الهلاك. (1)

يقول القرطبي: " صف لهؤلاء المتكبرين الذين سألوك طرد فقراء المؤمنين مثل الحياة الدنيا، أي: شبهها «كماء أنزلناه من السماء فاختلف به» أي: بالماء «نبات الأرض» حتى استوى، وقيل: إنَّ النبات اختلف ببعضه ببعض حين نزل عليه الماء، لأنَّ النبات إنما يختلط ويكثر بالمطر، وقالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأنَّ الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على واحد، ولأنَّ الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأنَّ الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفتي، ولأنَّ الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنها وآفتها، ولأنَّ الماء إذا كان بقدر كان نافعاً مُنبِتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه) (2) فأصبح النبات متكسراً من اليبس مُفتتاً، بانقطاع الماء عنه، تفرقه الرياح تذهب به وتجيء " . اهـ (3)

ويقول سيد قطب في هذه الآية: " هذا المشهد يُعْرَضُ قصيراً خاطفاً ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال؛ فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل؛ ولكن يختلط به نبات الأرض، والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشياً تذروه الرياح، وما بين ثلاث جمل قصار ينتهي شريط الحياة، ولقد استخدم النسق اللفظي في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدل عليه الفاء: «ماء أنزلناه من السماء» فـ «فاختلف به نبات الأرض» فـ «أصبح هشياً تذروه الرياح» فما أقصرها حياة! وما أهونها حياة! " . (4)

ثم أخبر ﷺ عن اقتداره على كل شيء.

يقول ابن عاشور: "وجملة «وكان الله على كل شيء مقتدرًا» جملة معترضة في آخر الكلام،

(1) البحر المحيط (126/6).

(2) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر والقناعة، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص {انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (145/7)}.

(3) انظر: تفسير القرطبي (732/5) ببعض التصرف.

(4) في ظلال القرآن (2271/4-2272).

موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب. وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله ﴿ على كل شيء ﴾ وهو بذلك العموم أشبه التذييل. والمقدر: القوي القدرة ". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قراءة (الرِّيح) بينت أن ما تحمله الريح من النبات اليابس المتكسر لا تسير به وتقذفه في اتجاه واحد؛ وإنما تقذفه في الهواء في اتجاهات مختلفة. وكذلك الحياة الدنيا بما فيها من متع متعددة فمهما استمتع بها الإنسان، وظن طول الأمد فيها؛ فإن آخرتها إلى الزوال، لأن كل ما في الدنيا من بهجة ومتع يتقلص ويزول نفعه ثم ينقرض أشتاتاً. وعلى ذلك فقراءة الرياح جاءت مبينة لقراءة الريح.

20- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف].

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) بالتاء وضمها وفتح الياء ورفع (الجبال).
2. قرأ الباقر (نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) بالنون وضمها وكسر الياء ونصب (الجبال). (2)

اللغة والبيان:

السير: المضي في الأرض، يقال: سرت، وسرت بفلان، وسيرته على التكثير، والتسيير ضربان: أحدهما: بالأمر، والاختيار، والإرادة من السائر نحو: ﴿وهو الذي يسيركم﴾ [يونس/22]، والثاني: بالقهر والتسخير كتسخير الجبال ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ [التكوير/ 3]، وقوله: ﴿وسيرت الجبال﴾ [النبا/20] (3)

(1) التحرير والتتوير (مجلد 7 ج 15 ص 332).

(2) انظر: النشر (233/2).

(3) انظر: مفردات الراغب (ص 283) مادة: سير.

قراءة (تُسَيِّرُ الْجِبَالَ) على بناء الفعل للمفعول، والجبال نائب فاعل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ النبا {20}، وقوله ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ التكوثر {3}.

وقراءة (نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) على أنه إخبار عن الله من الله ﷻ عن نفسه، والجبال: مفعول به، وهو محمول على ما بعده من الإخبار في قوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾، فجرى صدر الكلام على آخره.⁽¹⁾

التفسير:

بعد أن بيّن الله تعالى خسارة الدنيا وزوالها. وشرف القيامة ودوامها، وأنّ التفاخر ليس بالأموال. بل بالعمل الصالح، أردفه بأحوال القيامة، وما فيها من أخطار وأهوال، وتغير معالم الأرض والحشر.⁽²⁾

يقول السعدي: " يخبر تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة فقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيباً، ثم يجعلها كالعهن المنفوش، ثم تضحل وتتلاشى، وتكون هباءً منبثاً، وتبرز الأرض، فتصير قاعاً صافياً، لا عوج فيه ولا أمثاً، ويحشر الله جميع الخلق، على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحداً، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وفغور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقاً جديداً ".⁽³⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

كلتا القراءتين أفادت أن الله ﷻ هو المتصرف في يوم القيامة، وأسند الفعل إلى الله بنون العظمة؛ بيان لعظم الفاعل، فهو فاعل كل الأفاعيل ومحدثها ومدبرها، وفي ذلك مزيد من التهديد للكافرين، فالقادر على فعل هذه الأمور العظام أيعجزه أن يبعثهم وينزل بهم عقابه؟! ، أما بناء الفعل للمفعول فهو (جرياً على سنن الكبرياء لله ﷻ) ، وإيداناً بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل لتعينه؛ فلا أحد يستطيع القيام بهذا الأمر العظيم إلا إياه ﷻ⁽⁴⁾، وفيه بيان لأهمية هذا اليوم وعظمته، وعظم ما يحدث فيه من أحداث.

(1) انظر: الكشف (64/2) ، حجة القراءات (ص419) ، الفريد (344/3).

(2) التفسير المنير (264/15).

(3) تفسير السعدي (ص479).

(4) انظر: روح المعاني (288/15).

يقول محمد عمر بازمول: " ويتلخص مما سبق أن البيان القرآني عندما يستغني عن الفاعل ويبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله فإنه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عرف لنا الفاعل أم لم يعرف... حيث وجدنا القرآن يبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله في قراءة، وينبه إلى الفاعل في قراءة أخرى مما يفيد أن المقصود التنبيه على ذكر وقوع الفعل بغض النظر عن العلم بالفاعل أو الخوف منه أو عليه".⁽¹⁾ وفي تعظيم الفعل والفاعل دليل على كمال قدرة الله وعظمته.

قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ أبو عمرو والكسائي بخلفه بالوقف على (ما) من (مال هذا).
2. قرأ الباقر بالوقف على (اللام) من (مال هذا) دون (ما).⁽²⁾

البيان:

(مال هذا الكتاب): (ما) اسم استفهام مبتدأ، و (لهذا) خبره، (الكتاب) بدل، وجملة (لا يغادر): حالية⁽³⁾. أي: أي شيء ثبت لهذا الكتاب حال كونه لا يغادر.⁽⁴⁾ والاستفهام مستعمل في التعجب.⁽⁵⁾ و لام الجر رسمت مفصولة في الرسم العثماني إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة.⁽⁶⁾

(1) انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (833/2).
(2) انظر: النشر (109/2-110) ، الإتحاف (ص367).
(3) إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش (617/5).
(4) حاشية الجمل على الجلالين المسماة (الفتوحات الإلهية): سليمان الجمل (29/3).
(5) انظر: التحرير والتنوير (مجلد7ج15ص338).
(6) انظر: نظم الدرر (474/4). وفيها (بعض الكتب) بدل (بعض الكلمة) . وهو تصحيف من الطابع؛ لأنه ورد في الألوسي وفي القاسمي نقلاً عن البقاعي: (بعض الكلمة). انظر: روح المعاني(291/15) ، محاسن التأويل (4069/10).

التفسير:

يقول الرازي: " والمراد أنه يوضع في هذا اليوم - يوم القيامة - كتاب كل إنسان في يده إما في اليمين أو في الشمال، والمراد الجنس وهو صحف الأعمال، وترى المجرمين خائفين مما في الكتاب من أعمالهم الخبيثة، وخائفين من ظهور ذلك لأهل الموقف فيفتضحون، وبالجملة يحصل لهم خوف العقاب من الحق، وخوف الفضيحة عند الخلق، «ويقولون يا ويلتنا»، ينادون هلكتهم التي هلكتها خاصة من بين الهلكات «مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها» وهي عبارة عن الإحاطة، بمعنى لا يترك شيئاً من المعاصي سواء أكانت صغيرة أم كبيرة إلا وهي مذكورة في هذا الكتاب، ونظيره قوله تعالى «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» الانطار {10-12}، وإدخال تاء التأنيث في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعلة الصغيرة والكبيرة «إلا أحصاها» لإضبطها وحصرها، وقال بعض العلماء: ضجوا من الصغائر قبل الكبائر. لأن تلك الصغائر هي التي جرتهم إلى الكبائر، فاحترزوا من الصغائر جداً، «ووجدوا ما عملوا حاضراً» في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا «ولا يظلم ربك أحداً» أي: لا يكتب عليه ما لم يفعل، ولا يزيد في عقابه المستحق، ولا يعذب أحداً بجرم غيره " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الوقف على (اللام): أن الكافرين صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب حين رأوا صحائف أعمالهم ودقتها في الإحصاء عليهم يقفون على بعض الكلمة فلا يكملونها. وأفادت قراءة الوقف على (ما) من (مال هذا): أن شدة المفاجأة وهول الرعب الذي أصاب الكافرين ؛ قد ألجم ألسنتهم عن التعبير والتساؤل عما رأوا وشاهدوا من هذا الإحصاء الدقيق، فلم يستطع الواحد منهم النطق وتلعثم لسانه، فيقف على كل حرف فيخرجه بشق بالغ. وعلى ذلك فهذه القراءة كانت أكثر دقة في تصوير حال الكافرين.

الجمع بين القراءتين:

لقد استطاع الرسم العثماني من خلال فصل اللام عن الهاء فقط في كتابة الاستفهام؛ التعبير عن حالة الكافرين؛ حال رؤية الإحصاء الدقيق في صحائفهم لأعمالهم التي اقترفوها في

(1) انظر: التفسير الكبير (مجلد 11 ج 21 ص 135).

حياتهم الدنيا، فما بالناس إذا أُضيف إلى ذلك قراءتان متواترتان في قراءة هذا الاستفهام، فلا بد أن تضيفاً تصويراً أكثر دقة وعمقاً لحالة أولئك الكافرين؛ فقد صورت القراءتان مدى الرعب والكرب الذي أصابهم حتى إن الكافر حين يرى الإحصاء الدقيق عليه يضيق صدره ويُلجم لسانه فلا يستطيع النطق إلا بشق بالغ فيقف على كل حرف ينطقه وهو يتساءل متعجباً جزعاً. إن هذا إلا دليل على إعجاز القرآن في تنوع قراءاته ورسمه أيضاً. فلو اجتمعت كل أقلام الأدباء في التعبير عن هذه الحالة ما استطاعت أن تصفها هذا الوصف الدقيق بهذه البلاغة المطلقة والإيجاز الشديد.

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ﴿ الكهف.﴾

القراءات:

1. قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان بضم التاء حالة وصل الملائكة بالسجود، أما الوجه الثاني لابن وردان فهو الإشمام في كسرة التاء بضمها.
2. قرأ الباقر بكسر التاء كسرة خالصة. (1)

التفسير:

بعد أن ذكر سبحانه رده على أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بأموالهم وأعوانهم، قضى على ذلك بذكر عصيان إبليس لأمره تعالى بالسجود لآدم، لأن الذي حداه إلى ذلك هو كبره وافتخاره عليه بأصله. (2)

يقول أبو السعود: اذكر لهم يا محمد وقت قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم، فسجدوا جميعاً امتثالاً بالأمر إلا إبليس فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر؛ لأن كان أصله جنياً، فخرج عن طاعته كما ينبىء عنه الفاء، أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى؛ إذ لولاه لما

(1) انظر: النشر (158/2). وقد سبق بيان معنى القراءتين عند تفسير الآية 61 من سورة الإسراء. فانظره (ص104).

(2) انظر: تفسير كشك (2271/13) باختصار.

أبى، والتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله، والمراد بتذكير قصته: تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم، وأموالهم، المستكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع إبليس، وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ الخ، فإنَّ الهمة للإنكار والتعجب، والفاء للتعقيب، أي: أعقبت علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وأولاده وأتباعه أولياء فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي؟! والحال أن إبليس وذريته أعداء لكم!، وتقيد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الإنكار وتشديده، فإن مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعاً، فبئس للواضعين للشيء في غير موضعه بدلاً من الله ﷻ إبليس وذريته، وفي الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير؛ من الإيدان بكمال السخط، والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى . اهـ⁽¹⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة الضم (للملائكة اسجدوا) أن أمر الله للملائكة بالسجود هو أمر عظيم وثقيل؛ لأنهم أمروا بالسجود لمخلوق من مخلوقات الله، ورغم ذلك استجابت الملائكة لهذا الأمر فوراً، ولكن إبليس ثقل عليه الأمر واستكبر، وتملكه الحسد والكبر فلم يستجب لأمر الله، لأنه لم يكن من جنس الملائكة فينقاد لأمر الله؛ بل كان من جنس الجن، فخرج عن طاعة الله، وخرج من زمرة الملائكة، لذلك ناسب المجيء بالضمه لأن الخروج من طاعة الله ومن زمرة الملائكة أمر شديد وثقيل، وآثاره عظيمة وفظيعة.

وأفادت قراءة (للملائكة اسجدوا) سهولة انقياد الملائكة لأوامر الله دون سؤال أو استفسار أو تردد، فناسب قراءة الكسر الطاعة المباشرة والفورية للملائكة دون أدنى تردد؛ ومما دل على ذلك قوله: (فسجدوا) فالفاء تفيد السرعة مع التعقيب والترتيب. كما أفادت أن إبليس اللعين قد هان عليه الأمر بعصيان أوامر الله، فعصاه ولم يلتزم أمره.

الجمع بين القراءتين:

بينت القراءتان أن الملائكة قد أطاعوا أمر الله بالسجود لآدم ﷺ فوراً دون تردد، إلا أن إبليس اللعين سهل عليه أمر عصيان أمر الله فلم يسجد على رغم علمه بفضاعة عدم طاعته وشدة عصيان أوامره، فطرد من رحمة الله، وفي ذلك إيذان للكافرين الذين اتبعوا الشهوات

(1) انظر: تفسير أبي السعود (255/3) بتصرف.

واتبعوا خطأ إبليس اللعين مدى السخط الذي لحقهم بهذا الاتباع والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح على رغم سهولة اتباع الحق لأن اتباع الرسول اتباع له ومنجاة لهم من غضب الله.

23- قال تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ أبو جعفر (ما أشهدناهم) بالنون والألف على الجمع للعظمة.
2. قرأ الباقر (ما أشهدتهم) بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم.
3. قرأ أبو جعفر (وما كنت) بفتح التاء.
4. قرأ الباقر (وما كنت) بضم التاء.⁽¹⁾

اللغة والبيان:

قال الراغب: الشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة؛ إما بالبصر، أو بالبصيرة، وقوله: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات﴾ أي: ما جعلتهم ممن اطلعوا ببصيرتهم على خلقها.⁽²⁾

وقال ابن عاشور: " والإشهاد: جعل الغير شاهداً، أي: حاضراً، وهو كناية عن إحضار خاص، وهو إحضار المشاركة في العمل أو الإعانة عليه. ونفي هذا الشهود يستلزم نفي المشاركة في الخلق والإلهية بالفحوى، أي: بالأولى " .⁽³⁾

قراءة (ما أشهدتهم) على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو الله ﷻ، وقد جاء ذلك مطابقاً لقوله تعالى من قبل ﴿ أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ الكهف {50} .

وقراءة (ما أشهدناهم) على الجمع على العظمة، جرياً على نسق ما قبله في قوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ الكهف {50}.⁽⁴⁾

(1) انظر: النشر (233/2).

(2) انظر: مفردات الراغب (ص 300-301) مادة: شهد.

(3) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 342).

(4) انظر: المعني (373/2).

أما قراءة (وما كنت) بفتح التاء، فهو على الالتفات من التكلم إلى الخطاب، إذ سياق الآية يقتضي التكلم، وهو خطاب للنبي ﷺ والمقصود: إعلام أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل، ولم يتخذ عوناً له على نجاح دعوته.

وقراءة (وما كنت) بضم التاء، إخباراً من الله تعالى عن ذاته المقدسة بأنه ﷺ ليس في حاجة إلى أحد. (1)

التفسير:

بعدما بين ﷺ عصيان إبليس لأمر الله له بالسجود لآدم ﷺ، وتقرّيعه لأولئك الكافرين الذين استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم. أتبع ذلك بتحقيق شأن إبليس وجنوده ومن اتبعهم من الكافرين. وافتخر سبحانه أنه لم يستشر أحداً من العابدين والمعبودين؛ لأنه غني عن العالمين.

يقول ابن كثير: "يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم، لا يملكون شيئاً، ولا أشهدتهم خلقي للسموات والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين؛ يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير، كما قال: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾... الآية. سبأ {22-23} ولهذا قال ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾، قال مالك: أعواناً". (2)

ووضع الظاهر موضع المضمّر؛ إذ المراد بـ(المضلين) من نفى عنهم إسهاد خلق السموات، وإنما نبّه بذلك على وصفهم القبيح. (3) وذماً لهم، واستبعاداً للاعتضاد بهم. (4)

وقوله (ما أشهدتهم) أي: إبليس وذريته، أو ما أشهدت الملائكة فكيف يعبدونهم، أو ما أشهدت الكفار فكيف ينسبون إليّ ما لا يليق بجلالي، أو ما أشهدت جميع الخلق. (5)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ما أشهدتهم) و (وما كنت): أنه ﷺ لم يحضر أحداً من مخلوقاته للمشاركة

(1) انظر: القراءات وأثرها في علوم العربية (144/2)، المستنير (317/1)، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (597/2).

(2) تفسير ابن كثير (176/5).

(3) اللباب (511/12)، الدر (464/4).

(4) تفسير البيضاوي (504/3). (5) حاشية الجمل (30/3).

في خلق السماوات والأرض أو الإعانة عليها لأنه ليس في حاجة إلى أحد من مخلوقاته. فكيف يعبدونهم من دونه.

يقول الطبرسي: " أي: ما أحضرت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم مستعيناً بهم على ذلك، ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض، وهذا إخبار عن كمال قدرته واستغناؤه عن الأنصار والأعوان، ويدل عليه قوله: «وما كنت متخذ المضلين عضداً» أي: الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً يعضدونني عليه " (1).

ويقول القاسمي: " بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، أي: وإذا لم يكونوا عضداً في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة؟ واستحقاق العبادة من توابع الخالقية. والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها. والخالقية منفية عن غيره تعالى، فينتفي لازمها وهو استحقاق عبادة ذلك الغير، وهم المضلون، فلا يكونون أرباباً " (2).

وأفادت قراءة (ما أشهدناهم) و (وما كنت): زيادة في تعظيم ذاته المقدسة، وترفعه على خلقه، وتحقير لما يُعبد ويُتخذ أعواناً من دون الله وإن كثر عددهم أو تنوع جنسهم. أما قراءة (وما كنت): نفي ﷺ عن الرسول ﷺ أن يتخذ المضلين أعواناً من دون الله على نجاح دعوته، وما ينبغي له ذلك. فالضمير في (أشهدتهم) و (المضلين) عائد على الكافرين الذين طلبوا من الرسول ﷺ طرد فقراء المسلمين.

يقول البيضاوي: " وقيل الضمير للمشركين، والمعنى: ما أشهدتهم خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين، فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني. ويعضده قراءة من قرأ (وما كنت) على خطاب الرسول ﷺ " (3).

ويقول أبو حيان: " والذي أقوله أن المعنى إخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين، بل هو مذ كان ووجد ﷺ في غاية التبري منهم والبعد عنهم، لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مأل إليه ﷺ " (4).

(1) مجمع البيان (333/6).

(2) تفسير القاسمي (4071/11).

(3) تفسير البيضاوي (504/3-505).

(4) البحر المحيط (130/6).

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أنه ﷺ قد نفى عن ذاته الكريمة أن يكون قد أطلع أحداً من خلقه على خلق السموات والأرض أو خلق أنفسهم، أو أشركهم أو استعان بهم في ذلك؛ بل تفرد سبحانه في ذلك؛ لأنه وحده القادر على ذلك فكيف يشرك المخلوقين وهو خالقهم؟! وكيف يشركون به غيره ومعلوم أن استحقاق العبادة من توابع الخالقية؟ لذلك فلا ينبغي للرسول ﷺ أن يلتفت لقول المشركين من طرد فقراء المؤمنين طمعاً في نصرتهم للدين، لأن ذلك ليس من كينونته لأنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال إليه.

24- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ حمزة (نقول) بالنون.
2. قرأ الباقون (يقول) بالياء. (1)

التفسير:

عاد سبحانه في هذه الآية إلى ترهيب الكافرين بأحوال القيامة، مقرعاً وموبخاً لهم على رعوس الأشهاد.

يقول البقاعي: " أي واذكر يوم يقول الله لهم تهكماً بهم: ﴿ نادوا شركائي ﴾ وبين أن الإضافة ليست على حقيقتها، بل هي توبيخ لهم فقال تعالى: ﴿ الذين زعمتم ﴾ أنهم شركاء، ﴿ فدعوه ﴾ تمادياً في الجهل والضلال، ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ أي: لم يطلبوا ويريدوا أن يجيبوهم إعراضاً عنهم استهانة بهم، واشتغالاً بأنفسهم، فضلاً عن أن يعينوهم، ولما كانوا في غاية الاستبعاد لأن يحال بينهم وبين معبوداتهم، قال في مظهر العظمة: ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ أي: المشركين والشركاء ﴿ موبقاً ﴾ أي: هلاكاً أو موضع هلاك، فاصلاً حائلاً بينهم، مهلكاً قوياً عميقاً ثابتاً حفيظاً، لا يشذ عنه منهم أحد، وإنما فسرتة بذلك لأنه مثل قوله تعالى ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ يونس {28} أي:

(1) انظر: النشر (233/2).

بالقلوب، أي: جعلنا ما كان بينهم من الوصلة عداوة، ومثل قوله تعالى ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ الأعراف {38}، ﴿شُرَكَائِنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ﴾ النحل {86} ونحوه لأن معنى ذلك كله أنه يبذل ما كان بينهم من الود في الدنيا والوصلة بيبغض وقطيعة كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ العنكبوت {25} وأن كل فريق يطلب للآخر الهلاك، فافتضى ذلك اجتماع الكل فيه " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قراءة (نقول) بالنون؛ على الإخبار من الله ﷻ عن نفسه بالقول، لمناسبة الإخبار في قوله تعالى ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ .

وقراءة (يقول) بالياء؛ التفات من التكلم إلى الغيبة، أي: واذكر يا محمد يوم يقول نادوا شركائي. ولم يقل: شركاءنا (2) وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم وتقريعاً. (3)
والالتفات من التكلم إلى الغيبة؛ إعرافاً عن أولياء إبليس، وتحقيراً لشأنهم، إذ ليسوا أملاً لكلام الله تعالى لهم. (4)

25- قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ
وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا

﴿ الكهف.﴾

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء.
2. قرأ الباقر (قُبُلًا) بضم القاف والباء. (5)

(1) نظم الدرر (4/477).

(2) انظر: الكشف (2/65) ، حجة القراءات (ص420) ، المغني (2/375).

(3) الفريد (3/349).

(4) القراءات وأثرها في علوم العربية (2/143).

(5) انظر: النشر (2/234).

اللغة والبيان:

قراءة (قَبْلًا) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: عياناً مواجهة، أي: أن يأتيهم العذاب مقابلةً يرونه.

أما قراءة (قُبُلًا) بضم القاف والباء؛ جمع قبيل، مثل: سبيل وسبُل، على معنى: أو يأتيهم العذاب صنفاً صنفاً، أي: أنواعاً من العذاب. ويجوز أن يكون هذا العذاب صنفاً واحداً، ويكون معناه: يأتيهم شيء بعد شيء، وكله صنف واحد.

وقال الزجاج: (قُبُلًا) بمعنى: من قبل. وفي التنزيل ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ﴾ يوسف {26} أي: من قبل وجهه. (1) وقال مجاهد: فجأة. (2)

التفسير:

الآية تعجيب من حال المشركين الذين منعوا أنفسهم من الإيمان بالله وقد جاءهم محمد ﷺ بالهدى من عند الله، فكان أولى بهم أن يؤمنوا ويستغفروا الله من قبل أن يأتيهم العذاب كما طلبوه فجأة يرونه بأعينهم كسنة الله في مثلهم.

يقول د. وهبة الزحيلي: " أي: وما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان بالله، حين شاهدوا البيئات والأدلة الواضحة على وجود الله وتوحيده، واستغفار ربهم والتوبة إليه من ذنوبهم إلا طلبهم أحد أمرين: إما أن تأتيهم سنة الأولين القدماء من إحاطة العذاب بهم وإبادتهم، وهو عذاب الاستئصال، كما قال جماعة لنبيهم: ﴿انتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ العنكبوت {29} وقالت قريش: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ الأنفال {32}، وإما أن يروا العذاب عياناً مواجهة ومقابلة، والمعنى أنهم لا يقدمون على الإيمان إلا عند نزول عذاب الاستئصال فيهلكوا، أو أن يتواصل أنواع العذاب والبلاء حال بقائهم في الحياة الدنيا". (3)

ويقول ابن الجوزي: " فإن قيل إذا كان المراد بسنة الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله أو يأتيهم العذاب؟ فالجواب أن سنة الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته

(1) انظر: الكشف (2/64)، حجة القراءات (ص420)، معاني الزجاج (3/297)، معاني الفراء (2/147)، الحجة للقراء (5/153)، مشكل إعراب القرآن (ص444).

(2) تفسير مجاهد (1/377)، وأخرجه الطبري في تفسيره (مجلد8ج15ص173) وذكره السيوطي في الدر المنثور (5/407) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره الخازن في تفسيره (4/219) ولم ينسبه.

(3) التفسير المنير (15/280).

وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قبلاً أفاد القتل يوم بدر، قال مقاتل سنة الأولين عذاب الأمم السالفة، (أو يأتيهم العذاب قبلاً) أي: عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (قُبُلاً): أن ما منع المشركين من أهل مكة من الإيمان بالله، حين شاهدوا الأدلة الواضحة على وجود الله وتوحيده، واستغفار ربهم والتوبة إليه من ذنوبهم إلا عنادهم واستكبارهم، فطلبوا عذاب الاستئصال جرياً على سنن من كان قبلهم من الكافرين، أو أن يأتيهم عذاب الله فجأة متواصلاً صنفاً بعد صنف وشيئاً بعد شيء. كقول قوم شعيب لنبيهم ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾ الشعراء {187}. وأكثر العلماء على هذا الوجه من التفسير.

ووجه آخر في تفسير الآية:

ما منع الناس من الإيمان والاستغفار، بعدما شاهدوا البيّنات والأدلة الواضحة على وجود الله وتوحيده، إلا ما سبق في علم الله من أنهم لا يؤمنون، بل يستمرون على كفرهم حتى تأتيهم سنة الله في إهلاكهم بالعذاب المستأصل، أو يأتيهم العذاب فجأة متواصلاً نوعاً بعد نوع وشيئاً بعد شيء، كقوله تعالى ﴿إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ يونس {96-97}. (2)

أما قراءة (قِبَلاً) فتفيد: أن العذاب الذي ينتظرونه سيأتيهم من أمامهم وهم ينظرون إليه عياناً، فيشتد عليهم هول مشاهدته.

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين أن العذاب الذي طلبه الكافرون وقدره الله لهم عقاباً على كفرهم كونه: يأتيهم فجأة من أمامهم وهم ينظرون إليه أنواعاً وألواناً متتابعاً صنفاً صنفاً شيئاً فشيئاً. وذلك ليكون أشد نكاية بهم نتيجة لكفرهم ومعاندتهم لربهم.

(1) زاد المسير (158/5).

(2) تنبيه: استفادت الباحثة في بيان هذين الوجهين من تفسير أضواء البيان . انظر: (406-405/2).

26- قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوءًا ﴾ الكهف .

القراءات:

1. قرأ حفص (هُزُوءًا) بإبدال الهمزة واواً للتخفيف مع ضم الزاي وصلأً ووقفاً.
2. قرأ حمزة (هُزْءًا) بالهمزة على الأصل ، مع إسكان الزاي وصلأً فقط، ويقف عليها بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها هكذا (هُزَا)، وبإبدال الهمزة واواً على الرسم هكذا (هُزُوءًا) .
3. قرأ خلف العاشر (هُزْءًا) بالهمزة مع إسكان الزاي وصلأً ووقفاً.
4. قرأ الباقون (هُزُوءًا) بالهمزة مع ضم الزاي وصلأً ووقفاً.⁽¹⁾

اللغة والبيان:

هزأ: الهاء، و الزاي، و الهمزة، كلمة واحدة: يُقال: هَزَيْءَ واستهزأ، إذا سَخِرَ.⁽²⁾
والهَزْءُ والهَزُوءُ: السُّخْرِيَّةُ.⁽³⁾ وقال الماوردي: ويحتمل قوله (هزواً) وجهين: أحدهما: لعباً، الثاني: باطلاً.⁽⁴⁾ أو هو: موضع استهزاء.⁽⁵⁾
ووجه الضم في الزاي أنه جاء على الأصل، ووجه الإسكان للتخفيف؛ لأن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فيه لغتان: الضم، والإسكان، ومثله من الجموع ما كان على وزن فعل.⁽⁶⁾ وجاء في روح المعاني: قراءة (هُزُوءًا) بضمين مهموزاً؛ مصدر وصف به للمبالغة، وقد يؤول بما يستهزأ به.⁽⁷⁾

(1) انظر: النشر (162/2) ، الإتحاف (ص181) ، الميسر (ص300) ، المغني (142/1) في موضع الآية 67 من سورة البقرة.

(2) معجم المقاييس (ص 1070).

(3) اللسان (4659/6) مادة: هزأ.

(4) تفسير الماوردي (319/3).

(5) تفسير النيسابوري (مجلد8ج15ص181) .

(6) انظر: المغني (142/1) في موضع الآية 67 من سورة البقرة.

(7) انظر: تفسير الألوسي (303/15).

التفسير:

ولما كان مجيء العذاب الذي طلبه الكافرون أو حُذروا به؛ بيد الله ﷻ وليس بيد الرسول ﷺ أعقب ذلك ببيان مهمة الرسل وموقف الكافرين منهم.

يقول البقاعي: " ولما كان ذلك ليس إلى الرسول، إنما هو إلى الإله، بينه بقوله تعالى ﴿وما نرسل﴾ على ما لنا من العظمة التي لا أمر لأحد معنا فيها ﴿المرسلين إلا مبشرين﴾ بالخير على أفعال الطاعة ﴿ومنذرين﴾ بالشر على أفعال المعصية، فيطلب منهم الظالمون من أممهم ما ليس إليهم من فصل الأمر ﴿ويجادل الذين كفروا﴾ أي: يجددون الجدل كلما أتاهم أمر من قبلنا ﴿بالباطل﴾ من قولهم: لو كنتم صادقين لأتيتم بما نطلب منكم، مع أن ذلك ليس كذلك لأنه ليس لأحد غير الله من الأمر شيء ﴿ليدحضوا﴾ أي: ليزلقوا فيزبلوا ويبطلوا ﴿به الحق﴾ الثابت من المعجزات المثبتة لصدقهم، ولما كان لكل مقام مقال، ولكل مقال حد وحال، فأتى في الجدل بصيغة الاستقبال، وكان اتخاذ الاستهزاء أمراً واحداً، أتى به ماضياً فقال تعالى: ﴿واتخذوا﴾ أي: كلفوا أنفسهم أن أخذوا ﴿آياتي﴾ بالبشارات التي هي المقصودة بالذات لكل ذي روح ﴿وما أنذروا﴾ من آياتي، بني للمفعول؛ لأن الفاعل معروف، والمخيف الإنذار، ﴿هزوا﴾ مع ما بعدهما جداً عن ذلك، فلا بالرغبة أطاعوا، ولا للرهبة ارتاعوا، فكانوا شراً من البهائم " . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (هُزُوا): استمرار الكافرين بالسخرية من آيات الله التي أنزلها، وبخاصة من الآيات التي نزلت تحذره من العذاب. وهذه الاستمرارية استمرارية على مدى العصور، أي أن الكفر ملة واحدة. وذلك لأن صيغة (فُعُلاً) تفيد الاستمرارية؛ حيث إن توالي الحركات يفيد ذلك، مع إفادة كثرة هذا الاستهزاء، وذلك لأن العرب⁽²⁾ جعلت الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه.

وأفادت قراءة (هُزَاءً): أن الكافرين اتخذوا آيات الله موضعاً للاستهزاء. لما يفيد السكون من الاستقرار .

أما قراءة (هُزُوا) فأفادت المعاني السابقة جميعاً لجمعها بين ثقل الضمة وتواليها، وشدة الهمزة وتقلها، وما يفيد السكون من الثبات والاستقرار. لذلك فقد بينت أن الكافرين على مدى العصور قد جعلوا آيات الله موضعاً لسخريتهم الشديدة ولعيبهم في كل مجالسهم.

(1) نظم الدرر (482/4).

(2) انظر: معاني الأبنية في العربية (ص102).

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن الكافرين كان دينهم على مر العصور كلما جاءهم رسول من عند الله جعلوا آيات الله موضعاً لسخريتهم الثقيلة الشديدة ومحطاً للعبهم واستهزائهم . وفي هذا دليل على مدى كفرهم وعتوهم، واستكبارهم ونفورهم من طاعة الله، وجحودهم لفضل الله عليهم بأن أرسل عليهم من يرشدهم إلى طريق الحق.

27- قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم

مَّوْعِدًا ﴾ الكهف .

القراءات:

1. قرأ شعبة (لِمَهْلِكِهِم) بفتح الميم واللام التي بعد الهاء.
2. قرأ حفص (لِمَهْلِكِهِم) بفتح الميم وكسر اللام.
3. قرأ الباقون (لِمُهْلِكِهِم) بضم الميم وفتح اللام. (1)

اللغة والبيان:

الهلاك: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً، ويقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك. (2)
قراءة (لِمَهْلِكِهِم) بفتح الميم واللام؛ مصدر ميمي قياسي من (هَلَكَ يَهْلِكُ مهْلَكًا)، أي: وجعلنا لهلاكهم موعداً.

وقراءة (لِمَهْلِكِهِم) بفتح الميم وكسر اللام؛ مصدر ميمي سماعي، أو اسم زمان على معنى (هَلَكَ يَهْلِكُ) أي: وقتاً لهلاكهم، أو اسم مكان، أي: موضعاً لذلك الهلاك، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ الكهف {86}، أي: الموضع الذي تغرب فيه.

وقراءة (لِمُهْلِكِهِم) بضم الميم وفتح اللام؛ مصدر ميمي قياسي من (أَهْلَكَ) الرباعي مضاف إلى المفعول به، أي: أهلكهم الله مُهْلَكًا، أي: إهلاكاً. على معنى: وجعلنا لإهلاكنا إياهم موعداً لا يتجاوزونه. أو اسم زمان، أي: لوقت إهلاكنا إياهم. فكل فعل ماض على أفعل فالمصدر منه مُفْعَلٌ، أو إفعال، واسم الزمان منه مُفْعَلٌ، وكذلك اسم المكان. (3)

(1) انظر: النشر (234/2).

(2) انظر: مفردات الراغب (ص 577) مادة: هلك .

(3) انظر: معاني الزجاج (297/3) ، الفريد (352/3) ، الحجة في القراءات (ص134) ، الكشف (65/2-66).

التفسير:

لما كانت سنة الله في القرون الماضية والأمم الخالية من الكافرين الإهلاك؛ أعقب ذلك ببيان علة الإهلاك تعريضاً بالمشركين الذين ظنوا أنهم قد أفلتوا من العذاب لتأخره عليهم.

يقول ابن كثير: «وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا» أي: الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكتناهم بسبب كفرهم وعنادهم «وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا» أي: جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين، لا يزيد ولا ينقص، أي: وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي، ولستم بأعز علينا منهم، فخافوا عذابي ونذر " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لِمَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم واللام: أن الله قد جعل لهلاك الكافرين موعداً لن يُخلفه. وعليه فهذه القراءة بينت تحقق الإهلاك للكافرين وتعجيله لهم.

وأفادت قراءة (لِمَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم وكسر اللام: أن الله قد جعل وقتاً لهلاك الكافرين، ومكاناً لذلك الإهلاك. وعليه فهذه القراءة بينت ضرب وقت ومكان معينين لهذا الإهلاك.

أما قراءة (لِمَهْلِكِهِمْ) بضم الميم وفتح اللام فأفادت: أن الله قد جعل وقتاً ومدة معلومة، ومكاناً محدداً لإهلاك الكافرين لن يخلفه. وعليه فهذه القراءة بينت وقت الإهلاك المحدد والمحدود بمدته الزمنية المعلومة التي لا تزيد ولا تنقص، كما أنه بمكان محدد.

يقول البقاعي: " وجعلنا بما لنا من العظمة لإهلاكهم بالفعل وقتاً نحله بهم فيه، ومكاناً لم نخلفه، كما أنا جعلنا لهؤلاء موعداً في الدنيا بيوم بدر والفتح وحنين ونحو ذلك، وفي الآخرة لن نخلفه " (2).

الجمع بين القراءات:

وبهذا تكون كل قراءة قد بينت جانباً مما خفي من القراءة الأخرى من معلومات، وإن كانت قراءة (لِمَهْلِكِهِمْ) قد جمعت المعاني جميعاً. لأنها احتملت: المصدر، واسم المكان، واسم الزمان. وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه في إيجازه وتنوع بيانه.

(1) تفسير ابن كثير (5/180).

(2) نظم الدرر (4/485).

28- قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ

وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾

﴿ الكهف.﴾

القراءات:

1. قرأ حفص (أنسانيه) بضم هاء الكناية.
2. قرأ الباقون (أنسانيه) بكسر هاء الكناية.(1)
1. قرأ الكسائي (أنسانيه) بإمالة الألف.
2. قرأ ابن كثير (أنسانيه إلا) بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء(2)

اللغة:

النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع؛ إما لضعف قلبه؛ وإما عن غفلة؛ وإما عن

قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال: نسيته نسياناً.(3)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن اعتذار يوشع لموسى عليه السلام عن نسيانه لذكر ما حدث للحوت

عند الصخرة التي أوى إليها من أمور عجيبة.

يقول الصابوني: " قال الفتى يوشع بن نون حين طلب موسى عليه السلام منه الحوت للغداء

أرأيت حين التجأنا إلى الصخرة التي نمت عندها ماذا حدث من الأمر العجيب ؟ لقد خرج

الحوت من المكمل، ودخل البحر، وأصبح عليه مثل الكوة، وقد نسيت أن أذكر لك ذلك حين

استيقظت، وقد أنساني الشيطان أن أخبرك عن قصته الغريبة، واتخذ الحوت طريقه في البحر،

وكان أمره عجباً ، يتعجب الفتى من أمره ؛ لأنه كان حوتاً مشوياً فدبت فيه الحياة ، ودخل

البحر" . (4)

(1) انظر: النشر (240/1).

(2) انظر: الإتحاف (ص369).

(3) مفردات الراغب (546) مادة: نسي.

(4) انظر: صفة التفسير (173/2).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**أَنسَانِيَهُ**) بضم هاء الكناية؛ قوة النسيان الذي تعرض له يوشع - فتى موسى عليه السلام - حيث إنه تذكر بعد أن سارا مسافة طويلة، وذلك حينما طلب منه موسى عليه السلام الطعام. ولأن الضمة من أقوى الحركات فناسب ذلك قوة النسيان. بالإضافة إلى ندرة النسيان في هذا الموطن؛ وذلك مناسبة لندرة استخدام الضمة في مثل هذا الموطن؛ حيث إن الحدث الذي رآه يوشع من بث الحياة في الحوت ودخوله البحر حدث لا يمكن أن يُنسى. (1)

يقول الألوسي: " وضم حفص الهاء في (أنسانيه) وهو قليل في مثل هذا التركيب؛ قلة النسيان في مثل هذه الواقعة... وفي إيثار أن والفعل على المصدر نوع مبالغة لا تخفى ". (2)

أما قراءة (**أَنسَانِيهِ**) بكسر هاء الكناية؛ فأفادت استحياء يوشع من موسى عليه السلام بسبب هذا النسيان، ومن غلبة الشيطان الذي تسبب في هذا النسيان. لذلك ابتداءً بقوله (أرأيت) التي تفيد التعجب، ونسبة التسبب في النسيان إلى الشيطان بقوله (وما أنسانيه إلا الشيطان). وفيه أيضاً بيان لاستحيائه بسبب قلة اهتمامه بالمحافظة على هذا التذكر.

يقول الزمخشري: " قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان ". (3)

ويقول أبو السعود: " والحال وإن كانت غريبة لا يُعهد نسيانها لكنه لما تعودَ بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها ". (4)

وقراءة (**أَنسَانِيهِ**) بإمالة الألف؛ أفادت شدة الاستحياء بسبب هذا النسيان. لما يوحيه كسر السين وإمالة الألف من انكسار، أما قراءة (**أَنسَانِيهِ**) فأفادت طول مدة النسيان التي أعقبت الحدث؛ بدليل أنهما سارا مسافة طويلة، ولم يتذكر يوشع أمر الحوت إلا بعدما بلغ منهما الجوع مبلغاً، فطلب موسى عليه السلام منه أن يأتيه بالطعام، حينها تذكر.

الجمع بين القراءات:

يظهر من خلال الجمع بين القراءات مدى استحياء يوشع من موسى عليه السلام، واعتذاره له بسبب شغل الشيطان له، وتعجيبه له مما وقع له من النسيان القوي الطويل لأمر الحوت ودخوله في الماء بعد أن دبت فيه الحياة على رغم أن هذا الأمر لا يُنسى لغرابته وندرته.

(2) انظر: روح المعاني (318/15).

(4) تفسير أبي السعود (259/3).

(1) انظر: بلاغة الكلمة (ص118).

(3) الكشاف (76/3).

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ذَاكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾

الكهف .

القراءات:

1. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر والكسائي (نبعي) بإثبات الياء وصلأً.
2. قرأ ابن كثير ويعقوب (نبعي) بإثبات الياء وصلأً ووقفأً.
3. قرأ الباقون (نبع) بحذفها وصلأً ووقفأً تبعأً للرسم.(1)

اللغة والبيان:

نبيع: نطلبه.(2) أي: ما كنا نريد.(3)

قد تحذف ياء المتكلم ويُجتزأ عنها بالكسرة، وذلك لا يكون إلا لغرض، فإنه قد تُذكر الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتُحذف و يُجتزأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار، وقد تُحذف لغرض آخر يقتضيه المقام إضافة إلى ذلك.(4)

التفسير:

بعدما أخبر يوشع موسى عليه السلام بما كان منه من نسيان أمر الحوت واعتذر منه على هذا النسيان، فقال موسى لفتاه بأن ذلك المكان الذي فقدت فيه الحوت هو المكان الذي كنا نطلبه، فعادا يقصان أثرهما.

يقول الشوكاني: " قال موسى لفتاه: ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع هو الذي كنا نطلبه، فإن الرجل الذي نريده هو هناك، فرجعا على الطريق التي جاء منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما " .(5)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (نبعي) بإثبات الياء: أن انطلاق الحوت في البحر هو ما يطلبه موسى عليه السلام ومن أجل ذلك قطع الرحلة الطويلة.

(1) انظر: النشر (237/2).

(2) كلمات القرآن (ص 180).

(3) معاني الزجاج (300/3).

(5) انظر: فتح القدير (375/3).

(4) بلاغة الكلمة (ص24).

وجاءت قراءة (نبع) بحذف الياء لتبين أن انطلاق الحوت في البحر ليس هو ما يبيغيه موسى عليه السلام على وجه الحقيقة ؛ وإنما يبيغى الشخص الذي يريد أن يتعلم منه وهو الخضر عليه السلام ، والموجود في ذلك المكان الذي انطلق فيه الحوت، والذي كان علامة لإيجاده.

الجمع بين القراءتين:

جاءت قراءة الحذف مبينة لقراءة الإثبات، على خلاف القاعدة المشهورة عند أهل اللغة بأن زيادة المبنى زيادة في المعنى! فسبحان الذي أوجز فبين.

30- قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ

رُشْدًا ﴾ الكهف .

القراءات:

1. قرأ أبو عمرو ويعقوب (رُشْدًا) بفتح الراء والشين.
2. قرأ الباقر (رُشْدًا) بضم الراء وإسكان الشين. (1)
1. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (تعلمني) بإثبات الياء وصلًا.
2. قرأ ابن كثير ويعقوب (تعلمني) بإثبات الياء وصلًا ووقفًا.
3. قرأ الباقر (تعلمن) بحذف الياء وصلًا ووقفًا تبعًا للرسم. (2)

اللغة والبيان:

رُشْدًا: صوابًا. أو إصابة خير. (3)

قراءة (رُشْدًا) بفتح الراء والشين، معناه: الصلاح في الدين.

وقراءة (رُشْدًا) بضم الراء وإسكان الشين، معناه: الصلاح في المال، وحد البلوغ.

والدليل قوله تعالى ﴿فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النساء{6} أي: صلاحاً. (4)

وقال أبو عمرو بن العلاء: (الرُشد) بالضم هو: الصلاح، وبالفتح هو: العلم. (5)

(1) انظر: النشر (234/2).

(2) انظر: النشر (237/2).

(3) كلمات القرآن (ص180).

(4) انظر: الحجة في القراءات (ص134).

(5) انظر: المغني (379/2).

وقال الراغب: وقال بعضهم: الرَّشْدُ أَخَصُّ مِنَ الرَّشْدِ، فَإِنَّ الرَّشْدَ يُقَالُ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، وَالرَّشْدُ يُقَالُ فِي الْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ لَا غَيْرٍ. (1)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن أدب موسى عليه السلام وهو يطلب العلم من الخضر بعد أن وجده عند مجمع البحرين.

يقول البقاعي: " قال له موسى طالباً منه على سبيل التأدب والتلطف بإظهار ذلك في قالب الاستئذان: هل أتبعك اتباعاً بليغاً حيث توجهت؛ والاتباع: الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد كونه آتياً به؛ وبين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله «على أن تعلمن» وزاد في التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال: «مما علمت» وبناء للمفعول لعلم المخاطبين - لكونهم من الخالص - بأن الفاعل هو الله تعالى، وللاشارة إلى سهولة كل أمر على الله عز وجل «رشداً» أي علماً يرشدني إلى الصواب فيما أقصده، ولا نقص في تعلم نبي من نبي... وأتى عليه السلام في سؤاله له بهذه الأنواع من الآداب والإبلاغ في التواضع لما هو عليه من الرسوخ في العلم، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، فكان تعظيمه لأرباب العلوم أكمل". (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (رُشْدًا)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً يسترشد به في أمر دينه ودنياه، أي: يكون فيه الصلاح في الدنيا والآخرة.

وأفادت قراءة (رَشْدًا)؛ أن موسى عليه السلام طلب من الخضر أن يعلمه مما علمه الله علماً ذا رشد يسترشد به في أمر دينه، أي: فيه الصلاح في الدين.

وعلى ذلك فقراءة (رَشْدًا) خصصت ما طلبه موسى عليه السلام من علم يبتغي تعلمه من العبد الصالح، وهو علم يكون فيه الصلاح في الدين.

ومما هو معروف ومنطقي أن أي علم يتعلمه الإنسان ابتغاء صلاح آخرته لابد وأن يكون فيه صلاح دنياه، وعلى ذلك يمكن اعتبار أن القراءتين بمعنى واحد؛ وهو إصابة الخير أو الصلاح.

(2) انظر: نظم الدرر (491/4).

(1) مفردات الراغب (ص 221) مادة: رشد.

وأفادت قراءة (**تعلمني**) بإثبات الياء؛ حرص موسى عليه السلام على التعلم من علم العبد الصالح الذي هو من تعليم الله له، مزيداً من العلم ولو استغرق ذلك بعضاً من الوقت، وصبره على ذلك بدليل: أن موسى عليه السلام لم يحدد مدة من الزمن يتعلم من خلالها، أو مقداراً من العلم يتعلمه من الخضر حينما طلب منه أن يعلمه، بل ترك أمر التعليم ومدته إلى الخضر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حينما قال الخضر لموسى عليه السلام إنه لن يستطيع الصبر على ما سيرى أجابه عليه السلام بقوله «ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً».

وهذا يدل على حرصه على التعلم ولو استغرق هذا الأمر زمناً من الوقت. كما فيه دليل على تواضع موسى عليه السلام واعترافه بحاجته إلى العلم؛ فإثبات الياء فيه مزيد من اعترافه بذلك، وإقراره على نفسه بالجهل في بعض الأمور، وعلى أستاذه بالعلم.

وأفادت قراءة (**تعلمن**) بحذف الياء؛ حرص موسى عليه السلام على التعلم فور التقائه بالخضر.

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات؛ حرص موسى عليه السلام على سرعة ابتداء التعلم من الخضر علماً بقدر ما يستطيع، فيه الصلاح والإرشاد له في دينه ودنياه استجابة لأمر الله، وتواضعه لأستاذه واعترافه بالجهل في بعض الأمور، وصبره على هذا الأمر -التعلم- ولو استغرق مدة من الزمن.

31- قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾  الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (**تَسْأَلْنِي**) بفتح اللام وتشديد النون.
2. قرأ الباقون (**تَسْأَلْنِي**) بإسكان اللام وتخفيف النون.
3. اتفق القراء العشرة على إثبات الياء بعد النون في الحاليين - الوصل والوقف - إلا ابن ذكوان فقرأ بالإثبات والحذف في الوصل والوقف. (1)

(1) انظر: النشر (234/2).

البيان:

قراءة (تَسَأَلُنِي) بفتح اللام وتشديد النون؛ على أَنَّ النون المشددة هنا هي نون التوكيد الثقيلة التي تدخل في الأمر والنهي والشرط للتوكيد، فالفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وكُسرت نون التوكيد وحقها الفتح لمجانسة الياء، وحُذفت نون الوقاية لاجتماع الأمثال.

وقراءة (تَسَأَلُنِي) بإسكان اللام وتخفيف النون؛ على أَنَّ الفعل مجزوم بلا الناهية. والنون للوقاية، والياء مفعول. (1)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن اشتراط الخضر على موسى عليه السلام إذا صحبه ألا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يخبره بالأمر.

يقول الزمخشري: " فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غيبي عليك وجهه صحته، فحميت (2)، وأنكرت في نفسك ألا تفاتحني بالسؤال، ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك. وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع " (3).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تَسَأَلُنِي) : التوكيد من الخضر على موسى عليه السلام ألا يبادر بسؤاله عن أي أمر من الأمور العجيبة التي يراها حتى يبدأه الخضر ببيان أمرها وتفسيرها. تحقيقاً لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم من الصبر والالتزام بأوامره.

يقول ابن عاشور: " والفاء في قوله «فإن اتبعتني» تفريع على وعد موسى إياه بأنه يجده صابراً، وفرع على ذلك نهيه عن السؤال عن شيء مما يشاهده من تصرفاته حتى يبينه له من تلقاء نفسه، وأكد النهي بحرف التوكيد تحقيقاً لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم، لأن السؤال قد يصادف وقت اشتغال المسؤول بإكمال عمله فتضيق له نفسه، وربما كان الجواب عنه بدون شره نفس، وربما خالطه بعض القلق فيكون الجواب غير شاف. فأراد الخضر أن يتولى هو بيان أعماله في الإبان الذي يراه مناسباً ليكون البيان أبسط، والإقبال أبهج فيزيد الاتصال بين القرينين " (4).

(1) انظر: الكشف (67/2)، المغني (380/2). (2) فحميت: أنفت وسخطت. انظر: مختار الصحاح (ص176) مادة. حمى

(4) التحرير والتوير (مجلد7 ج15 ص373-374).

(3) الكشف (78/3).

أما قراءة (تَسَأَلْنِي) فأفادت نهي الخضر لموسى عليه السلام من سؤاله عن أي أمر يراه قبل أن يبينه له هو. وفي هذا تعليم للصبر.

وأفادت قراءة (تَسَأَلْنِي) بإثبات الياء وحذفها على اعتبار أن الإثبات للنهي عن دوام السؤال، والحذف للنهي عن السرعة في السؤال بعد رؤية الحدث. والله أعلم.

الجمع بين القراءات:

يتبين من خلال الجمع بين القراءات مدى حرص الخضر على تطبيق آداب العالم والمتعلم من خلال تعليمه لموسى عليه السلام حيث طلب منه وأكد عليه ألا يسأله عن أي شيء يراه بمجرد حدوثه، وأن عليه الانتظار، وألا يلح في ذلك حتى يبينه هو له.

32- قال تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ

أَخْرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦١﴾ الكهف .

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا) بالياء وفتح الراء، (أهلها) بالرفع.
2. قرأ الباقون (لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا) بالتاء وكسر الراء ونصب (أهلها). (1)

البيان:

قراءة (لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا) بالتاء؛ مضارع (أغرق) الثلاثي المزيد بهمزة (2)، وذلك على الخطاب من موسى للخضر، فالمخاطب هو الفاعل، ودلّ بالتاء على حد المواجهة والحضور (3)، وتعدى فعله إلى الأهل. فنصبهم، وناسب ذلك ما قبله وما بعده، فالذي قبله قوله (أخرقتها) والذي بعده قوله (لقد جئت). (4)

وقراءة (لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا) بالياء؛ مضارع (غرق) الثلاثي، و(أهلها) بالرفع فاعل (يغرق). وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. (5)

(1) انظر: النشر (235/2).

(2) المغني (2/381).

(3) الحجة في القراءات (ص134).

(4) انظر: الكشف (68/2) ، الفريد (358/3). (5) القراءات وأثرها في علوم العربية (126/2).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بداية رحلة موسى عليه السلام مع العبد الصالح ، بعدما أخذ العبد الصالح عليه العهد على ألا يبادره بسؤال عما يرى من أمور مستنكرة حتى يبادره هو ببيانها. والبداية بقصة السفينة وما أحدثه فيها من خرق فعله الخضر وأنكره موسى عليه.

أخرج البخاري في صحيحه : " فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة، لم يَقْجَأْ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول (1) عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئا إمرأ، ﴿قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾، قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وكانت الأولى من موسى نسياناً، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر " (2).

يقول ابن كثير: " يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه، وهو الخضر، أنهما انطلقا لما توافقا واصطحبا، واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه، فركبا في السفينة، وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة، وأنهم عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول؛ يعني بغير أجرة تكرمة للخضر، فلما استقلت بهم السفينة في البحر، ولججت أي دخلت اللجة، قام الخضر فخرقها واستخرج لوحا من ألواحها، ثم رقعها، فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾، وهذه اللام العاقبة لا لام التعليل. كما قال الشاعر (3):

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَإِنُوا لِلْخَرَابِ *

﴿لقد جئت شيئا إمرأ﴾ ، قال مجاهد: منكرأ ، وقال قتادة: عجبا (4).

يقول القرطبي: " ولم يقل لتغرقني لأن الذي غلب عليه-موسى عليه السلام - في الحال فرط الشفقة عليهم، ومراعاة حقهم " (5).

(1) نول: عطاء. انظر: معجم المقاييس (ص1004) مادة: نول.

(2) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب " وإذ قال موسى لفتاه... " حديث رقم (4725) قال: حدثنا الحميدي...به. { فتح الباري (410-409/8) }.

(3) القائل هو أبو العناهية، والشطر الثاني منه قوله: * فكلكم يصير إلى تباب * . { انظر: الأغاني (74/4) }.

(4) تفسير ابن كثير (189/5). (5) تفسير القرطبي (21/6).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (**لَتُغْرَقِ أَهْلَهَا**): أن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أسند الغرق إلى الخضر، لأنه هو خارق السفينة، والخارق هو فاعل الغرق في المعنى. (1) والتقدير: لتغرق أنت أهل هذه السفينة. (2)

وأفادت قراءة (**لَيَغْرَقِ أَهْلَهَا**): أن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أسند الغرق إلى أهل السفينة. كأنه قال: أخرجت السفينة لترسو في البحر فيغرق فيه أهلها؟. (3)

الجمع بين القراءتين:

يظهر بالجمع بين القراءتين الأدب الجم الذي تحلى به موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ، حيث إن قراءة إسناد الغرق إلى أهل السفينة أزالت ما قد يظنه ظان أن تصرف موسى بتوجيه الخطاب إلى الخضر هو سوء أدب منه، ومن هنا يكون مدخل للطاعين في عصمة الأنبياء. ومن ناحية أخرى بينت أن الخطاب القرآني يتنوع من أجل أن يبين فوائد عدة لا تدرك إلا بفهم معاني القراءات، وفهم المقصود من هذا الخطاب، وخطاب الالتفات من أهم الخطاب في القرآن الذي بين هذه المعاني السامية.

يقول محمد سالم محيسن: " وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إذ سياق الآية ﴿قال أخرجتها﴾ يقتضي الخطاب فيقال: (لتغرق) ولكن التفت إلى الغيبة ليسند موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الغرق إلى أهل السفينة، ولم يسنده إلى الخضر تأدباً معه، ولو ظل الأسلوب القرآني على الخطاب لفاتت هذه الفائدة " . (4)

33- قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي

عُسْرًا ﴿٧٣﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ أبو جعفر (**عُسْرًا**) بضم السين.
2. قرأ الباقر (**عُسْرًا**) بإسكان السين. (5)

(1) انظر: الكشف (68/2).

(2) التفسير الكبير (مجلد 11 ج 21 ص 155).

(3) انظر: حجة القراءات (ص 423). (4) القراءات وأثرها في علوم العربية (126/2). (5) انظر: النشر (162/2).

اللغة والبيان:

عسراً: نقيض اليسر. (1) أي: صعوبة ومشقة. (2)

أي: عاملني باليسر لا بالعسر. (3) ولا تُضَيِّقْ عَلَيَّ الأمر في صحبتي إياك. (4) ولا تكلفني ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو والنسيان. (5)

عُسراً وعُسراً: الإسكان، والضم، لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لغة تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين. (6)

والتثقيب لزيادة المبالغة. فإن (فُعلاً) بضمة وبضمتين من صيغ جموع الكثرة، فيفيده ذلك مبالغة، وإن لم يكن جمعاً. (7)

التفسير:

بعد حادثة خرق السفينة وإنكار موسى ﷺ على الخضر ما فعل، وتذكير الخضر لموسى بالعهد الذي بينهما من عدم سؤاله عن شيء حتى يخبره بأمره؛ اعتذر موسى ﷺ من الخضر وطلب منه ألا يشق عليه.

يقول ابن عاشور: " اعتذر موسى بالنسيان وكان قد نسي التزامه بما غشي ذهنه من مشاهدة ما ينكره، والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذه؛ لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذه من لا يصلح للمصاحبة لما ينشأ عن النسيان من خطر. فالحرمة الاحتراز من صحبة من يطرأ عليه النسيان، ولذلك بنى كلام موسى على طلب عدم المؤاخذه بالنسيان ولم يُبين على الاعتذار بالنسيان، كأنه رأى نفسه محقوقاً بالمؤاخذه، فكان كلاماً بديع النسيج في الاعتذار، والمؤاخذه: مفاعلة من الأخذ، وهي هنا للمبالغة لأنها من جانب واحد كقوله تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ النحل {61}. وما مصدرية، أي: لا تؤاخذني بنسياني". (8)

(1) مفردات الراغب (ص 374). مادة: عسر.

(2) كلمات القرآن (ص 181).

(3) معاني الزجاج (3/302).

(4) مجمع البيان (6/346).

(5) تفسير الماوردي (3/328).

(6) المغني (2/384).

(7) سبق الإشارة إلى هذه النقطة عند تفسير الآية 44 من السورة (ص 180).

(8) التحرير والتنوير (مجلد 7 ج 15 ص 376).

ويقول القاسمي: " ﴿ ولا ترهقني من أمري عسراً ﴾ أي: لا تحمل عليّ من أمري في
تحصيل العلم منك عسراً لئلا يلجئني إلى تركه. أي: لا تعسر عليّ متابعتك، بل يسرها عليّ
بالإغضاء وترك المناقشة " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (عُسراً): أن موسى عليه السلام طلب من الخضر ألا يؤاخذه على نسيانه للعهد الذي
بينهما، وألا يشق عليه في اتباعه لتحصيل العلم؛ بل يسهل عليه الأمر لئلا يلجئه ذلك إلى تركه.
وأفادت قراءة (عُسراً): أن موسى عليه السلام طلب من الخضر ألا يشق عليه في تحصيله
للعلم، وألا يبالغ في المشقة عليه طوال الرحلة؛ لأن هذا سيجعله غير قادر على الاستمرار فيها،
وذلك لأن تتابع الضمات فيه ثقل وزيادة في المشقة.

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن موسى عليه السلام اعتذر للخضر عن نسيانه للعهد الذي بينهما
وهو عدم سؤاله عن أي شيء عجيب يراه من الخضر حتى يخبره الخضر بسبب فعله، ولا
يؤاخذه على ذلك النسيان، كما طلب منه أن يهون عليه أمر متابعتة في رحلة العلم، وألا يشق
عليه، وألا يداوم على ذلك طوال الرحلة، بل يتغاضى عن أسئلته. ويعامله باليسر حتى لا يتركه.

34- قال تعالى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا

زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس (زاكِية) بالألف وتخفيف الياء.
2. قرأ الباقون (زكِيَّة) بغير ألف بعد الزاي وتشديد الياء. (2)
1. قرأ نافع وابن ذكوان وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (نُكْرًا) بضم الكاف.
2. قرأ الباقون (نُكْرًا) بسكون الكاف. (3)

(1) محاسن التأويل (4081/11).

(2) انظر: النشر (235/2).

(3) انظر: النشر (163/2).

اللغة والبيان:

اختلف في معنى (زاكية) و (زكِيَّة) على أقوال:

(زاكية) : اسم فاعل من (زكى) بمعنى : طاهرة من الذنوب، وصالحة؛ لأنها صغيرة، ولم تبلغ بعد حد التكليف.⁽¹⁾

(و زكِيَّة) : صفة مشبهة من (الزكاء) بمعنى الطهارة أيضاً.⁽²⁾ أي: مُطَهَّرَةٌ.⁽³⁾ والقراءتان بمعنى واحد، إلا أن (زكِيَّة) أبلغ من (زاكية) لأنها صفة مشبهة تدل على الثبوت، كما أن فعلاً المحول من فاعل يدل على المبالغة.⁽⁴⁾

وقال قتادة: (زاكية) نامية، و (زكِيَّة) تقيّة دنيّة. وقال الحسن: بريئة.⁽⁵⁾ أي: لم يُرَ ما يوجب قتلها.⁽⁶⁾ قال ابن خالويه: (زاكية) أنها لم تذنب قط، و(زكِيَّة) أنها أذنبت ثم تابت. قلت: وهو قول أبي عمرو بن العلاء.⁽⁷⁾

هذا على رأي من رأى أن الغلام لم يبلغ الحلم، ويرى البعض أن الغلام كان بالغاً.

قيل: كان شاباً بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل، وقد يُسمّى الرجل غلاماً.

ومنه قول ليلي الأخيلية:

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها.⁽⁸⁾

قلت: وكذلك رأى أبو حيان، وابن عطية، و البقاعي . ودلّوا على كبر الغلام بقوله

تعالى على لسان موسى ﷺ : ﴿ بغير نفس ﴾ ، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس.⁽⁹⁾

(1) انظر: المغني (383/2).

(2) المستنير (322/1).

(3) مجاز القرآن (410/1).

(4) انظر: القراءات وأثرها : بازمول (908/2) ، البحر المحيط (142/6) ، روح المعاني (339/15).

(5) حجة القراءات (ص424).

(6) معاني الزجاج (303/3).

(7) انظر: الحجة (ص134) ، تفسير الماوردي (330/3) ، روح المعاني (339/15). وقد ناقش الألويسي تخريج أبي عمرو لقراءته، واختياره للقراءة والتخريج . فانظره في نفس المصدر.

(8) مجمع البيان (346/6).

(9) انظر: البحر المحيط (142/6) ، المحرر الوجيز (532/3).

شيئاً نكراً: أي: داهية: أمراً عظيماً.⁽¹⁾ والنكر: ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس.⁽²⁾

وقيل: أي: شيئاً أنكر من الأول،⁽³⁾ أي: من خرق السفينة.

والإسكان، والضم، لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لغة تميم وأسد، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين.⁽⁴⁾

التفسير:

بعد حادث خرق الخضر للسفينة، ونزول موسى عليه السلام مع الخضر من السفينة، وسلامتهما من الغرق، بدأت أحداث قصة جديدة في تلك الرحلة؛ وهي قتل العبد الصالح للغلام.

يقول البقاعي: " بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق والغصب ﴿ حتى إذا لقيا غلاماً ﴾ لم يبلغ الحلم وهو في غاية القوة ﴿ فقتله ﴾ حين لقيه - كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط-. ثم أجاب الشرط بقوله مشعراً بأن شروعه في الإنكار في هذه أسرع: ﴿ قال ﴾ أي موسى عليه السلام: ﴿ أقتلت ﴾ يا خضر ﴿ نفساً زكية ﴾ بكونها على الفطرة الأولى من غير أن تدنس بخطيئة توجب القتل ﴿ بغير نفس ﴾ قتلها ليكون قتلها لها قوداً⁽⁵⁾؛ وهذا يدل على أنه كان بالغاً حتى إذا قتل قتيلاً أمكن قتله به إلا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ، ثم استأنف قوله: ﴿ لقد جنّت ﴾ في قتلها إياها ﴿ شيئاً ﴾ وصرح بالإنكار في قوله: ﴿ نكراً ﴾ لأنه مباشرة. والخرق تسبب لا يلزم منه الغرق " .⁽⁶⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (زاكية) : أن موسى عليه السلام قد أنكر على الخضر قتل الغلام لكونه صغيراً لم يبلغ الحلم، فنفسه طاهرة .

وأفادت قراءة (زكية) : أن موسى عليه السلام أنكر على الخضر قتل الغلام إنكاراً شديداً ؛ لكونه يرى أن نفس الغلام طاهرة في ذاتها، كما أنها مطهرة و بريئة لأنها لم تقترف ذنباً يوجب القتل. وذلك على قول من اعتبره صغيراً لم يبلغ الحلم .

(1) مجاز القرآن (410/1).

(2) التفسير الكبير (مجلد 11 ج 21 ص 156).

(3) تفسير أبي السعود (261/3).

(4) المغني (384/2).

(5) القود: قتل القاتل بالقتيل، وسمي قوداً لأنه يُفاد إليه. { المقاييس في اللغة (ص 867) مادة: قود }.

(6) نظم الدرر (493/4).

وقد خرَّج النووي تخصيص موسى عليه السلام لحق القصاص بالنفي بقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام «بغير نفس»: بأنه الأنسب بمقام القتل، أو أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي، وقد نقل المحدثون كاليهقي أنه كان في الإسلام كذلك قبل الهجرة، وقال السبكي⁽¹⁾ أنه كان قبل أحد ثم نسخ، أما من قال بأن الغلام كان بالغاً فقال: وصفه موسى عليه السلام بذلك لأنه لم يره أذنب، فهو وصف ناشيء من حسن الظن " .⁽²⁾

أما قراءة (نُكراً) فأفادت أن ما فعله الخضر من قتل الغلام هو أمر عظيم تنكره العقول وتتفر منه النفوس.

وقراءة (نُكراً) تفيد ما أفادته قراءة التخفيف؛ إلا أن توالي الضم على حرفين متتابعين يفيد النقل، مما يوحي بأن هذا الفعل في غاية العظم والإنكار، بالإضافة إلى استغراقه لمعنى أنه أشد نكراً من خرق السفينة.

يقول ابن عاشور: " وكلام موسى في إنكار ذلك جرى على نسق كلامه في إنكار خرق السفينة، سوى أنه وصف هذا الفعل بأنه نُكْرٌ، وهو - بضمّتين - : الذي تنكره العقول وتستقبحه. فهو أشد من الشيء الإمر؛ لأن هذا فساد حاصل والآخر نريعة فساد " .⁽³⁾

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبين أن موسى عليه السلام قد أنكر على الخضر قتله للغلام إنكاراً شديداً واعتبره غاية في الفظاعة، لأنه قتل نفساً طاهرة بريئة لم ترتكب ذنباً. حتى أنه أشد فظاعة من خرق السفينة؛ لأن خرق السفينة قتلٌ مُترَقَّب، أما هذا فقتلٌ بيِّن. وحتى لو كان الغلام بالغاً فإن هذا الفعل به في غاية الفظاعة؛ لأنه لم يرتكب ذنباً ظاهراً له يوجب القصاص منه.

(1) هو: قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، والد تاج الدين السبكي مؤلف (طبقات الشافعية الكبرى) فقيه مصري شافعي، ولي قضاء الشام، ولد بسبك سنة 683هـ، وتوفي سنة 756هـ. مؤلف مكثر. من كتبه: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) و (الابتهاج في شرح المنهاج). { انظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (10/139 وما بعدها) ، طبقات الشافعية (37/3-42) ، المنجد في الأعلام ص295. }.

(2) انظر: روح المعاني (15/339).

(3) التحرير والتنوير (مجلد7ج15ص378).

35- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكِ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبِي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وأبو جعفر (لَدُنِّي) بضم الدال وتخفيف النون.
2. قرأ شعبة بوجهين:
الأول: إسكان الدال مع الإشمام مع تخفيف النون.
الثاني: اختلاس ضمة الدال مع تخفيف النون.
3. قرأ الباقون (لَدُنِّي) بضم الدال وتشديد النون. (1)

اللغة والبيان:

(لَدُن) : بمنزلة (عند) وإذا استقبلتها الألف واللام أسقطت نونها ورجعت إلى (لدى) كقولك لدن زيد، ولد الرجل. (2) ولكن لدن أخص من (عند)؛ لأنه يدل على ابتداء نهاية. نحو أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فيوضع (لدن) موضع نهاية الفعل. وقد يوضع موضع (عند) فيما حُكي. يقال: أصبت عنده مالاً، ولدنه مالاً. قال بعضهم: لدن أبلغ من (عند) وأخص. (3) كما في هذه الآية.

(لَدُنِّي): الاسم (لدن)، والنون الثانية وقاية زيدت ليسلم سكون النون فيه كما زيدت في عني ومني لذلك، وأدغمت الأصلية في المزيدة، أما (لَدُنِّي): ففيها وجهان:

- 1- حُدفت نون الوقاية كما حُدفت في (قد) فقيل: قدي وقدني.
- 2- أصله (لُدُّ) وهي لغة من (لُدُنُّ) والنون للوقاية. وبتخفيفها مع إشمام الدال شيئاً من الضم تنبيهاً على أصلها، إذ أصلها الضم، وإنما أسكنت تخفيفاً، كقولهم في عَضُد، عَضُدٌ. (4)

هذا تخريج القراءات من ناحية نحوية، أما من ناحية ما يفيد كل من التخفيف والتشديد فلم يتطرق إليه العلماء بصورة مباشرة، لذلك كان لزاماً التطرق إليه لأن كل قراءة لابد أن تفيد معنىً جديداً.

(1) انظر: النشر (235/2)، الميسر (ص302)، المغني (384/2-385). (2) كتاب حروف المعاني (1/26).

(3) مفردات الراغب (ص504). مادة: لدن. (4) انظر: الفريد (361/3)، معاني الزجاج (303/3-304).

التفسير:

بعدما أنكر موسى عليه السلام على الخضر قتله للغلام ؛ ذكره الخضر بما حذره من عدم صبره على ما سيرى من أمور عجيبة، حينها اعتذر موسى عليه السلام وعبر عن ندمه، ومدح صبر الخضر عليه.

يقول الرازي: " حكى تعالى عن ذلك العالم أنه ما زاد على أن ذكره ما عاهده عليه إلا أنه زاد ههنا لفظة (لك) لأن هذه اللفظة تؤكد التوبيخ، فعند هذا قال موسى ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾ مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته، وهذا كلام نادم شديد الندامة ". (1)

وقال الصابوني: " ﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ أي: قد أعذرت إليّ في ترك مصاحبتي فأنت معذور عندي لمخالفتي لك ثلاث مرات". (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (لدي) بالتخفيف: إظهار موسى عليه السلام للخضر إن ترك مصاحبته، وندمه على سؤاله.

وأفادت قراءة الاختلاس والإشمام مع التخفيف إظهار موسى للخضر مع استحيائه من الخضر على ما بدر منه، لأن خفاء الصوت بالحركة أو اختلاسها يوحى بضعف الصوت مما يوحى بالحياء والندم.

أما قراءة التنقيح فأفادت مزيداً من الإظهار للخضر من قبل موسى عليه السلام والندم على ما بدر منه من سؤاله، مع مدح لصبر الخضر عليه.

يقول الرازي: " ثم قال ﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ والمراد منه أنه يمدحه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين أولاً وثانياً، مع قرب المدة ". (3)

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن موسى عليه السلام أدرك خطأه بمبادرته بالسؤال وعدم صبره على ما يرى من أمور عجيبة، وقد ندم على ذلك بحياء لقله صبره بمقتضى طبع الاستعجال، ولكنه في نفس الوقت أكبر احتمال الخضر له رغم قرب المدة بين كل سؤال وآخر، ووجد له العذر في تركه إن تركه.

(1) انظر: التفسير الكبير (مجلد 11 ج 21 ص 156). ببعض التصرف.

(2) صفوة التفسير (174/2). (3) التفسير الكبير (مجلد 11 ج 21 ص 156).

36- قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (لَتَّخَذْتَ) بتخفيف التاء وكسر الخاء من غير ألف وصل.
2. قرأ الباقون (لَاتَّخَذْتَ) بتشديد التاء وفتح الخاء وألف وصل.
3. قرأ ابن كثير وحفص ورويس بخلف عنه، بإظهار الذال عند التاء.
4. قرأ الباقون بإدغام الذال في التاء، وهو الوجه الثاني لرويس. (1)

اللغة والبيان:

قال الراغب: **تخذ** بمعنى أخذ. (2)

(لَتَّخَذْتَ) فعل ماض من (تخذ ، يتخذ) على وزن (علم ، يعلم) . (لَاتَّخَذْتَ) فعل ماض من (اتخذ ، يتخذ) على وزن (افتعل) فأدغمت فاء الكلمة في (تاء) (افتعل) . (3) وليس من الأخذ في شيء. (4) ويجيء بناء افتعل للدلالة على المطاوعة، أو للدلالة على التصرف باجتهاد ومبالغة. (5) أما بناء (تخذ) فعلى وزن فعَل. ويأتي للدلالة على عَرَض، والمراد بالعرض: المعنى العارض للذات غير الراسخ أو المستقر فيها، وأنه مما يحصل ويسرع زواله. (6)

التفسير:

يقول المنصوري: "﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ هي أنطاكية⁽⁷⁾، وقيل: برقة، وقيل هي

(1) انظر: النشر (236/2).

* تنبيه: تفسير الآية سيتناول فقط فرش الحروف لأن التفسير يتأثر فيه أما الأصول فغالباً لا أثر لها في التفسير.

(2) انظر: مفردات الراغب (ص84). مادة: تخذ.

(3) المغني (2/386).

(4) تفسير النسفي (17/3).

(5) شرح ابن عقيل (2/511). قسم تكملة في تصريف الأفعال. (6) انظر: معاني الأبنية في العربية (ص 81-82).

(7) مدينة تجارية في تركيا تقع على امتداد نهر أورونتس، على بعد 10كم من البحر الأبيض المتوسط، أنشأت نحو عام 300 ق . م وكانت عاصمة سوريا خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين ، وأصبحت جزءاً من تركيا عام 1923م بموجب معاهدة لوزان. { الموسوعة العربية العالمية (3/259) ، وانظر وصف ياقوت الحموي للمدينة قديماً في معجم البلدان (1/316 وما بعدها) . }

بلدة في الأندلس ﴿ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ روي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما، ﴿فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ أي يقارب ويداني أن يسقط، فاستعيرت الإرادة المشاركة للدلالة على المبالغة في ذلك، والانقضاض: الإسراع في السقوط، ومنه انقضاض الطير والكوكب ﴿فأقامه﴾ مسحه بيده فقام، وقيل: نقضه وبناه، وفي حديث أبي⁽¹⁾: فقال الخضر بيده هكذا فأقامه ﴿قال﴾ موسى عليه السلام ﴿لو شئت لتخذت عليه أجراً﴾ تحريضاً على أخذ الأجرة، أو تعريضاً بأنه فضول، كأنه لمأ رأى الحرمان، ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه؛ لم يتمالك الصبر⁽²⁾.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (لَتَّخَذْتَ) : أن موسى عليه السلام عرض على الخضر أخذ الأجرة على إقامة الجدار.

يقول القرطبي: " وفي حديث أبي بن كعب: لو شئت لأوتيت أجراً. وهذه صدرت من موسى سؤالاً على وجه العرض لا الاعتراض " .⁽³⁾

وأفادت قراءة (لَاتَّخَذْتَ) : أن موسى عليه السلام حرَّض الخضر وحثه على أخذ الجعل أو الأجرة على إقامة الجدار.

يقول الألويسي: " قال موسى عليه السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريضاً للخضر عليه السلام، وحثاً على أخذ الجعل والأجرة على فعله ليحصل لهما بذلك الانتعاش والتقوي بالمعاش فهو سؤال له لم يأخذ الأجرة، واعتراض على ترك الأخذ، فالمراد لازم فائدة الخبر إذ لا فائدة في الإخبار بفعله " .⁽⁴⁾

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين: أن موسى عليه السلام لم يعرض على الخضر أخذ الأجرة على إقامة الجدار فقط؛ بل حرَّضه على ذلك لشدة حاجتهما إلى الطعام والضيافة. هذا من جانب، ومن جانب آخر لأن أهل القرية قد رفضوا سابقاً استضافتهما أو حتى إطعامهما حينما طلبا منهم ذلك، لذلك فهو لاء القوم لا يستحقون فعل الخضر.

(1) الحديث أخرجه الترمذي (309/5) كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف ، حديث رقم (3149). وقال: هذا حديث حسن.

(2) المقتطف (274/3).

(3) تفسير القرطبي (32/6).

(4) تفسير الألويسي (7/16).

37- قال تعالى: ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ

رُحْمًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (يُبَدِّلُهُمَا) بتشديد الدال.
2. قرأ الباقون (يُبَدِّلُهُمَا) بتخفيف الدال. (1)
1. قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (رُحْمًا) بضم الحاء.
2. قرأ الباقون (رُحْمًا) بسكون الحاء. (2)

اللغة والبيان:

رحمًا: رحمة و عطفًا. (3) وهو مصدر رحمت. (4) وأقرب رحمًا: أي: أقرب عطفًا وأمسُ بالقرابة. (5)

(يُبَدِّلُهُمَا): مضارع (بَدَّلَ) الثلاثي مضعف العين. ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا بدلنا آية﴾

النحل{101} .

(يُبَدِّلُهُمَا): مضارع (أبدل) الثلاثي المزيد بهمزة. (6) "ومنه قول العرب: أبدلت الشيء

من الشيء؛ إذا أزلت الأول، وجعلت الثاني مكانه، ومنه قول أبي النجم (7) :

* عَدَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبْدَلِ *

فكذلك الولد الذي أراد الله تعالى إبدال أبيه به غير الأول. ولفظها إذا قالوا: بدلت الشيء من الشيء، فمعناه غيرت حاله وعينه، والأصل باق. كقولك: بدلت قميصي جبة، وخاتمي حلقة. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿بدلناهم جلوداً غيرها﴾ فالجد الثاني هو الأول ولو كان غيره لم يجب

(1) انظر: النشر (236/2).

(2) انظر: النشر (163/2).

(3) تفسير غريب القرآن (ص270). وانظر: الحجة في القراءات السبع (ص136) ، تفسير النسفي (18/3).

(4) معاني القرآن للفراء (157/2).

(5) معاني القرآن للزجاج (305/3).

(6) انظر: الكشف (72/2) ، المغني (387/2) ، الهادي (21/3) ، الحجة في القراءات السبع (ص135) ، الدر المصون (478/4).

(7) البيت في اللسان (231/1) مادة: بدل ، وفي تهذيب اللغة (132/14).

عذابه، لأنه لم يباشر معصية . فأما إذا قالوا أبدلت غلامي جارية و فرسي ناقه، لم يقولوه إلا بالألف " . (1)

التفسير:

بعدما تمت رحلة الخضر مع موسى عليه السلام ورأى فيها موسى أموراً عجيبة من فعل الخضر لم يصبر عليها، وقبل الفراق بينهما نبأ الخضر موسى عليه السلام عن حكمة تلك الأمور العجيبة التي أنكرها عليه حسب وعده له بذلك. فأخبره عن تأويل الفعلة الأولى وهي: خرق السفينة، وهذه الآية تتحدث عن تأويل الفعلة الثانية وهي قتل الغلام؛ فبين له الحكمة من قتله وهي: أن الله أراد أن يحفظ على والديه إيمانهما ويرزقهما أطهر نفساً منه، وأكثر براً بهما منه لأن ذلك الغلام كان فاسداً مفسداً في باطنه، وهذا من العلم الذي أعلمه الله للخضر. فهو تنفيذ لأمر الله رحمة بالعباد.

يقول الألووسي في تفسيره: " ﴿ فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه ﴾ بأن يرزقهما بدله ولدًا خيراً منه طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة. وفي التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما ما لا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما، ﴿ وأقرب رحماً ﴾ والمراد أقرب رحمة عليهما وبراً بهما، وأخرج ابن أبي شيبة. وابن المنذر. وابن أبي حاتم عن عطية أن المعنى: هما به أرحم منهما بالغلام، ولعل المراد على هذا أنه أحب إليهما من ذلك الغلام إما لزيادة حسن خلقه أو خلقه أو الاثنين معاً، وهذا المعنى أقرب للتأسيس من المعنى الأول على تفسير المعطوف عليه بما سمعت، إلا أنه يؤيد التفسير ما روي عن ابن عباس أنهما أبدلا جارية ولدت نبياً، وقال الثعلبي⁽²⁾: إنها أدركت يونس بن متى فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت نبياً هدى الله تعالى على يده أمة من الأمم، ووجه التأييد أن الجارية بحسب العادة تحب أبويها وترحمهما، وتعطف عليهما، وتبر بهما أكثر من الغلام، قيل أبدلها غلاماً مؤمناً مثلها (3) . " (4)

(1) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص135-136). وهذا المعنى ذكره الأزهرى في كتابه معاني القراءات (ص273) فانظره. وانظر أيضاً: الكشف (72/2).

(2) هو: أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر، وهو غير الثعلبي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعلبي الجزائري صاحب تفسير الجواهر الحسان، فالثعلبي له تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، توفي سنة 427هـ. { انظر في ترجمته: وفيات الأعيان (1/79-80) . طبقات المفسرين: السيوطي (1/28) ، شذرات الذهب (2/230-231). } .

(3) هذا قول ابن جريج ، ذكره الثعلبي في تفسيره (ص1300). { انظر كتابه في شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية { www. Tafsir. net } .

(4) انظر: تفسير الألووسي (16/11-12) باختصار.

يقول سعيد حوى: " وفي المرة الثانية قال: ﴿ فأردنا ﴾ لأنه إفساد من حيث الفعل، إنعام من حيث التبديل، فلم ينسبه إلى نفسه منفردة صراحة، ولم ينسبه إلى الله صراحة، وفي المرة الأولى قال: ﴿ فأرت أن أعيبها ﴾ نسبه إلى نفسه فقط؛ لأنه إفساد في الظاهر وهو من فعله فكانت دقته في التعبير نموذجاً على كمال أدبه، فهو تعليم لنا، وأدب من أدب الأولياء مع الله " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يُبَدِّلُهُمَا) : أن الغاية من قتل الغلام هو: إرادة الله أن يرزق الأبوين المؤمنين غلاماً مسلماً طاهر النفس باراً بهما، وذلك حفاظاً عليهما ورحمة بهما.

أما قراءة (يُبَدِّلُهُمَا) فأفادت: بأن بديل الغلام لم يكن من جنسه بل هي أنثى طاهرة النفس طيبة الخلق رحيمة عطوفة بارة بهما.

وقراءة (رُحْمًا) أفادت أن الذي سيرزقانه بدل ابنهما المقتول سيكون أقرب رحمة وعطفاً بوالديه.

أما قراءة (رُحْمًا) فأفادت تبادل المعنى بين الأهل وبديل الغلام المقتول ؛ وذلك لأن (رُحْمًا) على وزن فُعْلًا وهو من صيغ جموع الكثرة التي تفيد المبالغة، فإذا كان على وزن فُعْلًا كان أكثر إفادة للمعنى.

واحتمل معنيين؛ الأول خاص ببديل الغلام المقتول. والآخر خاص بهما: أما الأول: الذي سيكون بديلاً لابنهما المقتول فسيكون أقرب عطفاً ورحمة بوالديه. أما الآخر الخاص بهما: فسيكون الأبوان أرحم به من الغلام المقتول. ويؤيد ذلك ما ذكره الألويسي أنفاً.

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات يتبين أن قراءة (يُبَدِّلُهُمَا) بينت جنس المبدل الذي لم توضحه القراءة الأخرى، وأنها ستكون جارية على قدر كبير من حسن الخلق وأقرب رحمة وعطفاً بوالديها، وأنهما سيكونان أرحم بها وأكثر محبة لها من حبهما للغلام.

(1) الأساس في التفسير (3214/6).

38- فأتبع من قوله تعالى: ﴿ فَأَتَّبِعَ سَبَبًا ﴾ الكهف.

أتبع من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتَّبِعَ سَبَبًا ﴾ الكهف.

ومن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتَّبِعَ سَبَبًا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (فَاتَّبِعَ) بوصل الهمزة وتشديد التاء.
2. قرأ الباقون (فَأَتَّبِعَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء. (1)

اللغة والبيان:

(أتبع) فعل ماض على وزن (أفعل) يتعدى إلى مفعولين: فـ(سبباً) هو المفعول الثاني، والمفعول الأول محذوف تقديره: فأتبع سبباً سبباً، أو أتبع أمره سبباً.

(اتَّبِعَ) فعل ماض على وزن (افتعل) من (تبع) الثلاثي، ثم أدغمت تاء الافتعال في فاء الكلمة. (2)

قال أبو زيد (3) : رأيت القوم فأتَّبَعْتُهُمْ إتباعاً: إذا سبقوك فأسرعت نحوهم، ومروا عليّ فأتَّبَعْتُهُمْ اتِّباعاً إذا ذهبت معهم ولم يسبقوك. (4)

وقال أبو عبيد: (اتَّبِعَ) بالوصل في السير، و(أتبع) بالقطع معناه اللحاق. (5) وهو عبارة عن المُجِدِّ المُسرِع الحثيث الطلب، وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات. (6)

ويقال: تَبِعَهُ وَاتَّبَعَهُ: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار، ويُقال: أَتَّبَعَهُ: إذا حَقَّقَهُ. (7) ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ فَأَتَّبِعَهُ شَهَابٌ ثاقِبٌ ﴾ الصافات {10}. أي: لحقه.

(1) انظر: النشر (236/2) .

(2) انظر: المعني (389/2) ، الكشف (73/2).

(3) هو: سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري، صاحب كتاب النوادر، روى القراءات عن أبي عمرو بن العلاء ، توفي 215هـ. انظر: البلغة (103/1).

(4) حجة القراءات (ص428) ، الحجة للقراء (167/5).

(5) محاسن التأويل (11/4100). وانظر: تفسير الطبري (مجلد8ج16ص9).

(6) الدر المصون (480/4).

(7) انظر: مفردات الراغب (ص83). مادة: تبع.

والسبب ها هنا: الطريق. (1) وقال أبو عبيدة (2): (فأتبع سبباً) أي: طريقاً وأثراً ومنهجاً. (3)

التفسير:

الآيات الثلاث ترسم بداية خط سير الرحلات الثلاث لبطل القصة الرابعة التي وردت في سورة الكهف؛ وهي قصة ذي القرنين (4) الذي مكن الله له في الأرض، وآتاه من أسباب العلم والصلاح ما مكنه أن يبلغ مشارق الأرض ومغاربها لينشر دين الله، وليحكم العالم بحكم الله.

وهذه القصة هي إحدى ثلاث أمور سألت قريش عنها النبي ﷺ بإيعاز من اليهود، والتي كانت سبباً لنزول سورة الكهف كما سبق ذكره عند الحديث عن سبب نزول السورة.

يقول سيد قطب: " لقد سأل سائلون عن ذي القرنين سألو الرسول ﷺ فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته. وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة. فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم. وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة، ولكنها لا تعتمد على يقين. وينبغي أن تؤخذ بحذر، لما فيها من إسرائيليّات وأساطير، وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات: واحدة إلى المغرب، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين.. فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث " (5).

يقول ابن عاشور: " السبب الوسيلة. والمراد هنا معنى مجازي وهو الطريق؛ لأن الطريق وسيلة إلى المكان المقصود، وقرينة المجاز ذكر الاتباع والبلوغ في قوله ﴿فأتبع سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ . والدليل على إرادة غير معنى السبب في قوله تعالى ﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ إظهار اسم السبب دون إضماره؛ لأنه لما أريد به معنى غير ما أريد بالأول حسن إظهار اسمه تنبيهاً على اختلاف المعنيين، أي: فاتبع طريقاً للسير وكان سيره للغزو كما دل عليه قوله ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾ " (6).

(1) الحجة في القراءات السبع (ص136).

(2) هو: معمر بن المثنى التيمي البصري، النحوي اللغوي، كان عالماً بجميع العلوم، قدم بغداد أيام الرشيد وقرأ عليه بها بعض كتبه، له كتاب في مثالب العرب وكتاب في مثالب أهل البصرة . توفي سنة 208هـ. انظر: البلغة (1/224).

(3) مجاز القرآن (1/413).

(4) اختلف المفسرون في اسم ذي القرنين ونسبه وزمان وجوده، وسبب تلقيبه بهذا اللقب (ذو القرنين) ، وتباينت أقوالهم في ذلك، لأنه لم يرد نص صريح من قرآن أو سنة يوضح ذلك، وكل ما جاء في شأنه أنه ملك صالح مكن الله له في الأرض وآتاه من أسباب التمكين ما جعله يملك مشارق الأرض ومغاربها، ويحقق العدل وينشر دين الله في الأرض. وكما هو معروف فإن القصص القرآني المقصود منه العبرة والعظة ، والعبرة تتحقق بدون الحاجة إلى تحديد الاسم أو الزمان والمكان . الباحثة.

(5) الظلال (4/2290). (6) التحرير والتنوير (مجلد8ج16ص24-25).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (اتَّبِعَ): أن ذا القرنين سار في طريقه إلى الغزو سالكاً طريقاً مؤدية إلى مبتغاه، وأفادت قراءة (أتَّبِع) : أنه سلك طريقه بكل جد وهمة حرصاً على الوصول إلى مبتغاه بأقصى سرعة وبكل طاقته فألحق طريقاً بطريق حتى وصل إلى هدفه. فعدل في الحكم ورفع الظلم عن العباد ومكّن لدين الله في الأرض.

يقول ابن الجوزي: " والمعنى تبع طريقاً يؤديه إلى مغرب الشمس وكان إذا ظهر على قوم أخذ منهم جيشاً فسار بهم إلى غيرهم " . (1)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين حرص ذو القرنين على الغزو في سبيل الله ﷻ ، حيث إنه لم يكن جاداً في هدفه فقط ، بل حريصاً على الوصول إلى مبتغاه بأقصى ما يستطيع من قدرة، ومما دلل على ذلك؛ أنه لم يلتفت لملك أو مال أو جاه ، وإنما كان حريصاً على نشر دين الله في البلاد المفتوحة بين العباد والعدل بينهم ، ورفع الظلم عنهم ، فإذا اطمأن إلى ذلك ترك كل شيء وتابع رحلته في سبيل الله . فجاءت قراءة القطع تفسيراً لقراءة التشديد.

يقول البقاعي: " فأراد بلوغ المغرب، ولعله بدأ به لأن باب التوبة فيه ﴿فَاتَّبِعْ﴾ أي بغاية جهده هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو بالتشديد، والمعنى على قراءة الباقيين بقطع الهمزة وإسكان الفوقانية: ألحق بعض الأسباب ببعض، وذلك تفسير لقراءة التشديد " . (2)

39- قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا قُلْنَا يَلَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ

حُسْنًا ﴿٨٦﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب (حَمِئَةٍ) بغير ألف بعد الحاء، وبالهمزة.
2. قرأ الباقيون (حَامِيَةٍ) بالألف وفتح الياء من غير همز. (3)

(1) زاد المسير (185/5).

(2) نظم الدرر (501/4).

(3) انظر: النشر (236/2).

اللغة والبيان:

(حامية): اسم فاعل من (حمى يحمي). و(حمئة): صفة مشبهة مشتقة من (الحمأة)⁽¹⁾.
الحمي: الحرارة المتولدة من الجواهر المحمية، كالنار والشمس، ومن القوة الحارة في
البدن، قال تعالى: ﴿في عين حامية﴾، أي: حارة.

والحمأة والحمأ: طين أسود منتن، قال تعالى: ﴿من حمأ مسنون﴾ [الحجر/26]، ويقال:
حمأت البئر: أخرجت حمأتها، وأحمأتها: جعلت فيها حمأً، وقرئ: ﴿في عين حمئة﴾ ذات
حمأً.⁽²⁾

ويقول الأزهري: من قرأ (حمئة) أراد: في عين ذات حمأة، قد حميت فهي حمئة، ومن
قرأ (حامية) أراد: حارة، وقد تكون حارة ذات حمأة، فيكون فيها المعنيان.⁽³⁾

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بداية رحلة ذي القرنين؛ فبدأت رحلته باتجاه أقصى الغرب،
فوصل إلى عين ماء قد اختلط طينها الأسود بمائها الحار، ووجد في ذلك المكان قوماً خيره الله
وعَجَّلَ في أمرهم.

يقول المنصوري: " حتى إذا بلغ منتهى الأرض من جهة الغرب، بحيث لا يتمكن أحد
عن مجاوزته، ووقف على حافة البحر المحيط الغربي، الذي يُقال له أوقيانوس، وجد الشمس
تغرب في عين⁽⁴⁾ ذات حمأة، وهي الطين الأسود، ولعله بلغ ساحل المحيط، فرآها كذلك، إذ لم
يكن في مطعم بصره غير الماء، ولذلك قال تعالى: ﴿وجدها تغرب﴾ ولم يقل: كانت تغرب،
كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب في البحر " .⁽⁵⁾

ويقول الشنقيطي: " المراد بالعين في الآية البحر المحيط، وهو ذو طين أسود. والعين
تطلق في اللغة على ينبوع الماء. والينبوع: الماء الكثير، فاسم العين يصدق على البحر لغة.

(1) انظر: المغني (390/2).

(2) انظر: مفردات الراغب (ص 148-149). مادة: حمى . ومفاتيح الأغاني (ص 261).

(3) معاني القراءات (ص 274).

(4) رجح ابن عاشور أن يكون المقصود بالعين هي: عين من عيون النفط الواقعة على ساحل بحر الخزر حيث مدينة (باكو) والتي
فيها منابع للنفط، واحتج على ذلك بأن النفط لم يكن معروفاً يومئذ. والمؤرخون المسلمون يسمونها البلاد المنتنة. {انظر: التحرير
والتوير (26/16)}. ويميل الدكتور عبد العليم خضر في كتابه " مفاهيم جغرافية في القصص القرآني - قصة ذي القرنين " إلى تحديد
بحر إيجه، وأنه البحر الغربي الذي بلغه، وأن خليج أزمير الذي يصب فيه نهر (غديس) الذي يحمل معه الأتربة والطين البركاني من
الأناضول هو العين الحمئة. { هامش مباحث في التفسير الموضوعي ص 304 }. (5) انظر: المقتطف (278/3) بتصرف.

وكون من على شاطئ المحيط الغربي يرى الشمس في نظر عينه تسقط في البحر أمر معروف " (1)

يقول البيضاوي: " ووجد عند تلك العين قوماً، قيل كان لباسهم جلود الوحش، وطعامهم ما لفظه البحر، وكانوا كفاراً، فخيرَهم الله ﷺ بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإيمان بالإرشاد وتعليم الشرائع. وقيل: خيره بين القتل والأسر وسماه إحساناً في مقابلة القتل " (2)

ويقول سعيد حوى: " ﴿ قلنا يا ذا القرنين... الآية. هذا القول الموجه لذي القرنين، هل كان إلهاماً فيكون ولياً؟ أو كان وحياً له فيكون نبياً؟ أو يكون وحياً بواسطة نبي معه فيكون صديقاً؟ ليس عندنا ما نستطيع الجزم به. والآية تفيد أنه خيرٌ بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم، وبين أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم وتعليمهم الشرائع إن آمنوا " (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (حمئة): أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود نثن.

قال ابن كثير: " والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من (الحمأة) وهو الطين، كما قال تعالى ﴿إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾ الحجر {28} ، أي: طين أملس. وقد تقدم بيانه، وقال ابن جرير (4) : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب، أنبأنا نافع بن أبي نعيم: سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول كان ابن عباس يقول ﴿في عين حمئة﴾ ثم فسرها ذات حمأة، قال نافع: وسئل عنها كعب الأحبار فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس (5) وبه قال مجاهد (6) وغير واحد " (7)

وأفادت قراءة (حامية): أنه وجدها تغرب في عين ماء حارة.

قال عبد الله بن عمرو: نظر النبي ﷺ إلى الشمس حين غربت، فقال: "نار الله الحامية لولا ما يزرعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض " (8)

(1) أضواء البيان (430/2).

(2) انظر: تفسير البيضاوي (520/3).

(3) الأساس في التفسير (3225/6).

(4) أخرجه ابن جرير في تفسيره (مجلد 8 ج 16 ص 10). ولم أعثر عليه في مصدر آخر حسب اطلاعي.

(5) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي (ص 251). وقال: حارة، ويقال طينة سوداء منتنة إن قرأت بغير ألف.

(6) انظر: تفسير مجاهد (380/1).

(7) تفسير ابن كثير (198/5).

(8) تفسير القرطبي (46/6). والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره (199/5) بتكرار قوله " نار الله الحامية " وبزيادة (من) في بدايته =

الجمع بين القراءتين:

الآية بالقراءتين جمعت وصفين في تلك العين التي وجد ذو القرنين الشمس تغرب فيها؛ فهي عين حارة، وهي ذات طين أسود منتن.

يقول الطبري: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستقيضتان في قرأة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ (في عين حامية) واصفها بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارئ (في عين حمئة) واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين " (1).

40- قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ ^ص وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر (جزء الحسنی) برفع الهمزة من غير تنوين.
2. قرأ الباقر (جزء الحسنی) بفتح الهمزة منونة منصوبة مع كسر التنوين وصلًا للساكنين. (2)
1. قرأ أبو جعفر (يُسْرًا) بضم السين.
2. قرأ الباقر (يُسْرًا) بإسكان السين. (3)

اللغة والبيان:

الجزاء: الغناء والكفاية، والجزاء: ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. يقال: جزيته كذا وبكذا. (4)

= وقال فيه: رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون، وفي صحة رفع هذا الحديث نظر، ولعله من كلام عبد الله بن عمرو. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (131/8) رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسمه وبقيته رجاله ثقات.

(1) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 16 ص 10).
(2) انظر: النشر (236/2)، الميسر (ص 303).
(3) انظر: النشر (392/2)، الميسر (ص 303).
(4) انظر: مفردات الراغب (ص 105). مادة: جزا.

(جزاء الحسنی): جزاءً وفيه وجهان:

أحدهما: مصدر في موضع الحال، أي: فله الحسنی مجزياً بها والعامل فيه معنى الاستقرار الحاصل من (له) وذو الحال الهاء في (له) أي: ثبت أو استقر له الحسنی.

والثاني: مصدر محض على المعنى: أي: يجزون بها جزاءً.⁽¹⁾

(جزاء الحسنی): جزاءً: مبتدأ مؤخر خبره الجار والمجرور قبله، والحسنی مضاف إليه.⁽²⁾ على أنه يريد بـ(الحسنی): أعمالهم الصالحة في إيمانهم، فوعدهم بجزاء الأعمال الصالحة.⁽³⁾

وقيل: (الحسنی) بمعنى: الجنة، وأضيف الجزاء إليها وهي الجزاء⁽⁴⁾، أي: الحسنی هي الجزاء، أي: فله الجنة، كقوله تعالى: ﴿لَهُوَّ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الواقعة {95}.⁽⁵⁾

(يسراً) و (يسراً): لغتان بمعنى واحد إلا أن (يسراً) تفيد المبالغة، لأن التثقيل يفيد المبالغة.⁽⁶⁾ والقول اليسر: هو الكلام الحسن. وصف باليسر المعنوي لكونه لا يثقل سماعه، وهو مثل قوله تعالى ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا﴾ الإسراء {28}. أي: جميلاً.⁽⁷⁾

التفسير:

حينما خير الله تعالى ذا القرنين في أهل أقصى المغرب بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام؛ اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فبينت الآية السابقة شأن من دعاه ذو القرنين إلى الإيمان فأبى، وهذه الآية تبين شأن وجزاء من دعاه فأمن، وعمل بمقتضى الإيمان.

يقول أبو حيان: " ولما ذكر ما يستحقه من آمن وعمل صالحاً؛ ذكر جزاء الله له في الآخرة وهو الحسنی، أي: الجنة لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة، وهو عظيم بالنسبة للإحسان في الدنيا، ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ أي: لا نقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه، أي: قولاً

(1) انظر: الفريد (367/3)

(2) المغني (391/2).

(3) المحرر الوجيز (540/3).

(4) يضاف الاسم إلى نفسه إذا اختلف لفظ المضاف والمضاف إليه، وهو هو في الحقيقة. {انظر: حجة القراءات (ص430)}.

(5) انظر: الفريد (367/3)، حجة القراءات (ص430).

(6) تم الإشارة إلى هذا المفهوم مرات عدة في كلمات مختلفة. انظر على سبيل المثال (عقباً) من الآية 44 من سورة الكهف.

(7) التحرير والتنوير (مجلد 8 ج 16 ص 27).

ذا يسر وسهولة، كما قال «قولاً ميسوراً» الإسراء {28}، ولما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل، بل اقتصر على القول أدباً مع الله تعالى، وإن كان يعلم أنه يحسن إليه فعلاً وقولاً " . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (جزاء الحسنى): أن مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَأَتَبَعَ إِيمَانَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لَهُ فِي الْآخِرَةِ جِزَاءُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي عَمَلَهَا. أَوْ الْجَنَّةَ.

يقول الطبري: "وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاؤها، يعني جزاء هذه الأفعال الحسنة والوجه الثاني: أن يكون معنياً بالحسنى: الجنة، وأضيف الجزاء إليها، كما قيل «ولدار الآخرة خير» [النحل: 30] والدار: هي الآخرة، وكما قال: «وذلك دين القيمة» [البينة: 5] والدين: هو القيم " . (2)

وأفادت قراءة (جزاء الحسنى): أن مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَأَتَبَعَ إِيمَانَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَلَهُ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةَ جِزَاءً.

ويقول الطبري: " أي: أن لهم الجنة جزاء، فيكون الجزاء نصباً على التفسير " . (3)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن قراءة النصب قد حددت المقصود من معنى قراءة الرفع؛ وذلك لأن قراءة الرفع احتملت وجهين من التفسير، أما قراءة النصب فاحتملت وجهاً واحداً وهو أعلاهما ثواباً.

(1) البحر المحيط (6/152).

(2) و (3) تفسير الطبري (مجلد 8 ج 16 ص 11).

41- قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ ﴿١٣﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص (السَّدَّيْنِ) بفتح السين.
2. قرأ الباقر (السُّدَّيْنِ) بضم السين.
3. قرأ حمزة والكسائي وخلف (يُفْقَهُونَ) بضم الياء وكسر القاف.
4. قرأ الباقر (يَفْقَهُونَ) بفتح الياء والقاف.⁽¹⁾

اللغة والبيان:

السَّدُّ: ما كان خَلْقَةً، أي: من فعل الله كالجبال والشعاب. **والسَّدُّ:** ما كان صَنْعَةً، أي: من فعل الآدميين.⁽²⁾ وقيل: **السَّدُّ:** المصدر من سدده سدأ. **والسَّدُّ:** الاسم.⁽³⁾

يفقهون: يفهمون.⁽⁴⁾ (**يُفْقَهُونَ**) : من الفعل الرباعي (أفقه) وهو متعد لمفعولين، المفعول الأول: محذوف تقديره: أحداً. والمفعول الثاني: قولاً. والمعنى: لا يكادون يفهمون السامع كلامهم.

(**يَفْقَهُونَ**) : من الفعل الثلاثي (فقه) وهو يتعدى لمفعول واحد، وهو: قولاً. والمعنى: لا يكادون يفهمون كلام غيرهم لجهلهم بلسان من يخاطبهم، وقلة فطنتهم.⁽⁵⁾

التفسير:

تحدث الآية عن الطريق الثالث الذي سلكه ذو القرنين وهو طريق معترض بين المشرق والمغرب، حيث وجد بالقرب من جبلين عظيمين قوماً لا يفهمون لسان غيرهم ولا يفهمون غيرهم.

(1) انظر: النشر (236/2) ، المغني (392/2-394).

(2) انظر: مفردات الراغب (ص255) ، مجاز القرآن (414/1) ، معاني القرآن للزجاج (310/3) ، الكشف (75/2).

(3) انظر: الحجة للقراء (171/5) ، النكت والعيون (34/3) ونسبه إلى ابن عباس وقتادة والضحاك.

(4) المستنير (326/1). وانظر: نظم الدرر (503/4).

(5) انظر: الكشف (76/2) ، المغني (394/2) ، الحجة في القراءات السبع (ص137).

يقول ابن عاشور: " ويظهر أن هذا السبب اتجه به إلى جهة غير جهتي المغرب والمشرق، فيحتمل أنها الشمال أو الجنوب. وعيَّنه المفسرون أنه للشمال، وبنوا على أن ذا القرنين هو إسكندر المقدوني، فقالوا: إن جهة السدين بين أرمينيا وأذربيجان. ونحن نبنى على ما عيَّناه (2) في الملقب بذي القرنين، فنقول: إن موضع السدين هو الشمال الغربي لصحراء (قوبي) الفاصلة بين الصين وبلاد المغول شمال الصين و جنوب منغوليا. وقد وُجد السد هنالك، ولم تزل آثاره إلى اليوم شاهداها الجغرافيون والسائحون، وصُوِّرت صوراً شمسية في كتب الجغرافيا وكتب التاريخ العصرية. ومعنى ﴿ لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ أنهم لا يعرفون شيئاً من قول غيرهم فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة بحيث لا يعرفها تراجمة ذي القرنين؛ لأن شأن الملوك أن يتخذوا تراجمة ليرجموا لغات الأمم الذين يحتاجون إلى مخاطبتهم، فهؤلاء القوم كانوا يتكلمون بلغة غريبة لانقطاع أصقاعهم عن الأصقاع المعروفة، فلا يوجد من يستطيع إفهامهم مراد الملك، ولا هم يستطيعون الإفهام. ويجوز أن يكون المعنى أنهم قوم متوغلون في البداوة والبلاهة فلا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم " . (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (السُّدَيْن) : أن ذا القرنين قد وصل في رحلته إلى جبلين عظيمين.
وأفادت قراءة (السَّدَيْن) : وعلى اعتبار المصدر: أن هذين الجبلين قد سدا أو حجزا جانبي الطريق لضخامتهما وعظهما.

يقول أبو حيان: " وسمي الجبلان سدين لأن كل واحد منهما سد فجاج الأرض " . (3)

أما قراءة (يُفْقَهُون) فأفادت: أن أهل تلك البلاد لا يفهمون أحداً حديثهم لعجمتهم.

يقول الزمخشري: " وقرىء يُفْقَهُون أي: لا يفهمون السامع كلامهم، ولا يبينونه؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة " . (4)

وقراءة (يَفْقَهُون) أفادت: أن هؤلاء القوم لا يفهمون لغة غيرهم سواء من أتباع ذي القرنين أو من أقوال غيرهم من الناس لغرابة لغتهم وبعدها عن لغات غيرهم.

(1) رجح ابن عاشور في تفسيره أن يكون ذو القرنين هو أحد ملوك الصين، واسمه (تسينشي هوانقتي) وكان موجوداً في حدود سنة سبع وأربعين ومائتين قبل الميلاد. {انظر حجته في هذا الاختيار (23-19/16/8)}.

(2) التحرير والتنوير (31/16/8).

(3) البحر المحيط (153/6).

(4) الكشاف (87/3).

يقول البقاعي: " أي: لا يقربون من أن يفهموه ممن مع ذي القرنين فهماً جيداً كما يفهم غيرهم، ودل وصفهم بما يأتي على أنهم يفهمون فهماً ما بعد بُعد ومحاولة طويلة، لعدم ماهر بلسانهم ممن مع ذي القرنين، وعدم ماهر منهم بلسان أحد ممن معه، وهذا يدل على أن بينهم وبين بقية سكان الأرض غير يأجوج ومأجوج براري شاسعة، وفيافي واسعة، منعت من اختلاطهم بهم، وأن تطيعهم بلسان غيرهم بعيد جداً لقلّة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال، أو لغير ذلك " (1).

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن ذا القرنين قد وصل في رحلته الثالثة إلى مكان بين جبلين قد سدا جانبي الطريق، لعظهما . وأنه وجد من ورائهما أمة من الناس لا يكادون يفهمون كلام أتباعه ولا كلام غيرهم، ولا يستطيعون إفهام لغتهم لغيرهم، لأنهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم، إما لبعد لغتهم عن لغات غيرهم ، بسبب بعدهم عن الناس، أو لقلّة فطنة فيهم، لأن الفطن يستطيع إفهام غيره، وفهم ما يراد بالقول بالقرائن وفحوى الحال.

42- قال تعالى: ﴿ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنَّ يٰاَجُوْجَ وَمَآجُوْجَ مُّفْسِدُوْنَ فِى

الْاَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلٰى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾

﴿ الكهف.﴾

القراءات:

1. قرأ عاصم (يأجوج ومأجوج) بالهمز.
2. قرأ الباقر (ياجوج وماجوج) بغير همز. (2)
1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (خَرَجًا) بفتح الراء وألف بعدها.
2. قرأ الباقر (خَرَجًا) بإسكان الراء من غير ألف فيها.
3. قرأ حفص وحمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو وخلف العاشر (سَدًّا) بفتح السين.
4. قرأ نافع وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (سُدًّا) بضم السين. (3)

(1) نظم الدرر (503/4-504).

(2) انظر: النشر (306/1).

(3) انظر: النشر (236/2) ، المغني (392/2-393). وانظر معاني القراءتين عند موضع (السدین) الآية 93 من السورة ص231.

اللغة والبيان:

اختلف العلماء في **يأجوج ومأجوج** ، فقيل: هما اسمان أعجميان لقبيلتين لا اشتقاق لهما. وقيل: هما اسمان عربيان مشتقان من: أجيح النار، وهو التهابها، وشدة توقدها. وقيل: من الأجة: وهو الاختلاط، أو شدة الحر. وقيل من الأج، وهو سرعة العدو. وقيل من الأجاج، وهو الماء الملح الزعاق. (1) فيكون وزنه: يفعولاً ومفعولاً. (2) وعلى اعتبار عدم الهمز فيهما يكون وزنهما واحداً وهو: فاعول.

وحيث إن الأسماء الأعجمية سوى هذا الحرف غير مهموزة نحو: طالوت وجالوت (3). لذلك يمكن اعتبار أن القراءة بالهمز على أنهما عربيان مشتقان، والقراءة بغير همز على اعتبار أنهما أعجميان. (4)

الخراج: مختص في الغالب بالضريبة على الأرض في كل شهر أو في كل عام. (5)
أما **الخرج:** فهو الجعل. (6) وقال أبو عمر: الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أدأؤه. (7)

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن شكاية ساكني البلاد التي وصل إليها ذو القرنين مما يلي السدين مما يلقون من يأجوج ومأجوج، ورجاؤهم عنده ما ينفعهم من منع إفساد تينك القبيلتين، وما عرضوه عليه مقابل ذلك.

يقول البقاعي: " «قالوا» أي: مترجموهم أو جيرانهم - الذين من دونهم - كما في مصحف ابن مسعود ممن يعرف بعض كلامهم، أو بالإشارة كما يخاطب إليكم: «يا ذا القرنين» مسنا الضر «إن يأجوج ومأجوج» وهما قبيلتان من الناس من أولاد يافث، لا يطاق أمرهم، ولا يطفأ جمرهم، وقد ثبت في الصحيحين في حديث بعث النار أنهم من ذرية آدم عليه السلام (8)

(1) انظر: الدر المصون (4/482).

(2) الكشف (2/77).

(3) حجة القراءات (ص433).

(4) انظر: الحجة في القراءات السبع (ص137).

(5) انظر: مفردات الراغب (ص163) مادة: خرج ، الكشف (2/77) ، الفريد (3/370).

(6) انظر: معاني القرآن للفراء (2/159) ، حجة القراءات (ص433) ، الكشف (2/78) ، الفريد (3/370).

(7) اللباب (12/564).

(8) الحديث أخرجه البخاري (3/1221) حديث رقم (3170) ومسلم (1/201) حديث رقم (222) وأحمد (3/32). من حديث أبي

سعيد الخدري. واللفظ لمسلم: قال رسول الله ﷺ يقول الله ﻋﻠﻴﻚ : يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول أخرج =

﴿مفسدون في الأرض﴾ بأنواع الفساد ﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾⁽¹⁾ نخرجه لك من أموالنا... على أن تجعل في جميع ما بيننا وبينهم من الأرض التي يمكن توصلهم إلينا منها بما آتاك الله من المكنة سداً يصل بين هذين الجبلين " .⁽²⁾

يقول ابن عاشور: " وافتتاحهم الكلام بالنداء أنهم نادوه نداء المستغيثين المضطرين. ونداؤهم إياه بلقب ذي القرنين يدل على أنه مشهور بمعنى ذلك اللقب بين الأمم المتاخمة لبلاده⁽³⁾ العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بينت قراءة (ياجوج وماجوج) بغير همز اسم قبيلتين لهما شأن كبير في التسبب بالإفساد في الأرض والإضرار بالعباد.

أما قراءة (ياجوج وماجوج) بالهمز فقد بينت حال هاتين القبيلتين من الكثرة وأنهما أخلطاً من أصناف، وسرعتهما في العدو والإغارة، وأنهما غاية في الاضطراب والإفساد والإهلاك فهما كالنار المتقدة التي تقضي على الأخضر واليابس، وكالمح المر الذي يصيب كل ما يصل إليه فيسبب الفساد والهلاك.

يقول ابن عاشور: " واختلف المفسرون في أنه اسم عربي أو معرّب. وغالب ظني أنه اسم وضعه القرآن حاكي به معناه في لغة تلك الأمة، المناسب لحال مجتمعهم فاشتق لهما من مادة الأَج. وهو الخلط. إذ علمت أن تلك الأمة كانت أخلطاً من أصناف "⁽⁴⁾

وأفادت قراءة (الخرج) أن أهل تلك البلاد التي وصل إليها ذو القرنين قد استجدوا به ليخلصهم من أذى ياجوج وماجوج فعرضوا عليه أن يجعلوا له جعلاً - أي: مالاً يجمعونه منهم - مقابل تخليصهم.

= بعث النار، قال وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك حين يشيب الصغير ﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ قال فاشتد ذلك عليهم، قالوا يا رسول الله أينما ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا فإن من ياجوج وماجوج ألفاً، ومنكم رجل، قال ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار.

(1) قال أبو حيان: استدعاء منهم قبول ما يبذلونه مما يعينه على ما طلبوا على جهة حسن الأدب إذ سأله ذلك كقول موسى للخضر ﴿هل أتبعك على أن تعلمني﴾ الكهف {66}. تفسير البحر المحيط (154/6)

(2) نظم الدرر (504/4).

(3) التحرير والتنوير (32/16).

(4) التحرير والتنوير (34/16).

يقول مكي بن أبي طالب: " كأنهم قالوا له: نجعل لك جُعلًا ندفعه إليك الساعة من أموالنا مرة واحدة، على أن تبني بيننا وبينهم سداً ". (1)

وأفادت قراءة (خراجاً) مدى شدة حاجة ساكني تلك المنطقة إلى الخلاص بحيث عرضوا على ذي القرنين أن يجعلوا ضريبة على أموالهم وأراضيهم يخرجونها له كل شهر أو عام باستمرار مقابل بناء السد وتخليصهم.

ويقول مكي بن أبي طالب في ذلك: " أي: فهل نجعل لك أجرة نؤديها إليك في كل وقت نتفق عليه كالجزية على أن تبني بيننا وبينهم سداً أي حاجزاً. فالخراج ما يؤدي في كل شهر أو في كل سنة ". (2)

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن القرآن الكريم قد وصف حال يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض ومدى فسادهم من خلال أسمائهم . كما بيّن شدة حاجة من جاورهم إلى الخلاص من أذاهم حيث عرضوا على ذي القرنين جعلاً يجعلونه من أموالهم مقابل خلاصهم وبناء سد يسد ما بين الجبلين من فرجة، فيمنع تينك القبيلتين من الإغارة عليهم ، وإن كلفهم هذا الأمر بجانب الجعل أن يخرجوا ضريبة سنوية أو شهرية على أرضهم يدفعونها لذي القرنين مقابل ذلك.

43- قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ (الكهف).

القراءات:

1. قرأ ابن كثير (مَكَّنِّي) بإظهار النونين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.
2. قرأ الباقر (مَكَّنِّي) بالإدغام. (3)

اللغة والبيان:

مَكَّنِّي: أي: بسط الله لي من القدرة والملك. (4)

(1) ، (2) للكشف (78/2).

(3) انظر: النشر (238/2) ، المغني (396/2).

(4) البحر المحيط (155/6).

ويقول ابن الجوزي: وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان:

أحدهما: أنه العلم بالله وطلب ثوابه.

والثاني: ما ملك من الدنيا.⁽¹⁾

الردم: سد الثلثة بالحجر.⁽²⁾ والردم أكثر من السد، لأن الردم ما جُعل بعضه فوق بعض، يُقال: ثوب مُردَّم، إذا كان قد رُقِعَ رقعة فوق رقعة.⁽³⁾

التفسير:

الآية استكمالاً لقصة ذي القرنين مع المستغيثين من يأجوج ومأجوج. فحينما عرضوا عليه جعلاً أو فريضة من أموالهم لقاء بناء سد لهم يقيهم من بأس يأجوج ومأجوج؛ أجابهم بلسان الشاكر لأنعم الله، المستغني عن أموال العباد لقاء مرضاة الله. وطلب الاستعانة بهم في بناء ردم أكبر وأحصن من السد الذي يرجونه.

يقول ابن عطية: " قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، ويعمل منكم بالأيدي،... وهذا من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه تهَدَّى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم لو جمعوا له خرجاً لم يعنه منهم أحد، ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به، وأمر يطاول مدة العمل، وربما أربى على المُخرَج، والردم أبلغ من السد، إذ السد كل ما سد به، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ".⁽⁴⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مَكْنِي) بإظهار النونين: أن تمكينه ظاهر وبائن للعيان من امتلاكه للمال والقوة والسلطان.

وأفادت قراءة (مَكْنِي) : أن هذا التمكين منه ما هو ظاهر للعيان ومعروف، ومنه ما هو مختص بذي القرنين لا يطلع عليه أحد لأنه تمكين إيماني ونفسي وهداية من الله . وعلى ذلك فإظهار النون إشارة إلى التمكين الظاهري، وإدغامها إشارة إلى التمكين الباطني. والله أعلم.

(1) زاد المسير (5/192).

(2) مفردات الراغب (ص 218) مادة: ردم.

(3) معاني الزجاج (3/311).

(4) المحرر الوجيز (3/542).

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن الله عَلَّامٌ قد مكن لذي القرنين تمكينين استطاع من خلالهما أن يملك مشارق الأرض ومغاربها.

الأول: تمكين بالملك والسلطان. **الثاني:** تمكين بالعلم والإيمان والهداية

يقول البقاعي: " ولما كانت لمكنته حالتان: إحداهما ظاهرة، وهي ما شوهد من فعله بعد وقوعه، وباطنة ولا يقع أحد عليها بحدس ولا توهم، لأنها مما لم يؤلف مثله، فلا يقع المتوسم عليه، قرأ ابن كثير بإظهار النون في (مكنني) وغيره بالإدغام، إشارة إليهما. (1)

44، 45- قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿٤٥﴾ ءآتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصُّدُفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءآتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٤٦﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ شعبة بخلف عنه (ردماً انتوني) بكسر تنوين (ردماً) وهمزة ساكنة بعده في الوصل. ويبتدئ (إيتوني) بهمزة وصل مكسورة، ويبدل بالهمزة الساكنة بعدها ياء.
 2. قرأ الباقون (ردماً آتوني) بإسكان التنوين في (ردماً) وهمزة قطع مفتوحة وبعدها ألف ثابتة وصللاً ووقفاً وهو الوجه الثاني لشعبة.
 3. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (الصُّدُفَيْنِ) بضم الصاد والذال.
 4. قرأ شعبة (الصُّدُفَيْنِ) بضم الصاد وإسكان الذال.
 5. قرأ الباقون (الصُّدُفَيْنِ) بفتح الصاد والذال. (2)
1. قرأ شعبة بخلف عنه، وهمزة (قال انتوني) وصللاً.
 2. قرأ الباقون (قال آتوني) وصللاً. وهو الوجه الثاني لشعبة. (3)

(1) نظم الدرر (504/4).

(2) انظر: النشر (237-236/2)، المغني (397-396/2). (3) انظر: الميسر (ص303).

اللغة والبيان:

آتوني: أعطوني. (1) وهو أراد به تكليف المناولة بالأنفس. (2)
أتوني: جيئوني، أو هو بمعنى أحضروا لأن جاء وحضر متقاربان. (3) وهي أشبه بقوله
«فأعينوني بقوة» لأنه كلفهم المعونة على عمل السد، ولم يقبل الخراج الذي بذلوه، فإنما هو
معونة على ما كلفهم من قوله «فأعينوني بقوة». (4) فيكون معناه: جيئوني بما هو معونة. (5)
الصدف: كل شيء مرتفع كالجبل. أو هو: جانب الجبل. (6) والصدفان والصدفان
والصدفان. كلها لغات مشهورة في هذه الكلمة، وهما: الجبلان المتقابلان، فكأن أحدهما صادف
صاحبه، ولذلك لا يقال ذلك لما انفرد بنفسه عن أن يلاقي مثله من الجبال. (7)
ما بين الصدفين: أي: ما بين الناحيتين من الجبلين. (8) بينهما طريق. (9)

ولكن البقاعي وبكلام بغاية الروعة والدلالات استثمر الحركات ودلالاتها ليبين معنى كل
قراءة من القراءات في كلمة (الصدفين)، حيث قال: " وقراءة من فتح الصاد والdal دالة على أن
تقابلهما في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وقراءة ضم الصاد والdal دالة على أنه
مع ذلك في غاية القوة حتى إن أعلاه وأسفله سواء، وقراءة ضم الصاد وإسكان الdal دالة على
أشد ثبات وأقننه في كل منهما، فلا ينتخر شيء منهما على الزمان بريح ولا غيرها من فساد في
أحد الجانبين برخاوة من سياخ (10) أو غيره " . (11)

التفسير:

بعدما رفض ذو القرنين أن يأخذ أجراً على بناء السد، طلب الاستعانه بهم في بناء ردم
أكبر وأحصن من السد الذي يرجونه، وذلك بأن يمدوه بالعمال والآلات التي تساعد في إنجاز
العمل، ثم شرع في بنائه بمساعدتهم.

(1) معاني القرآن للقراء (160/2) ، الفريد (371/3).

(2) انظر: الحجة للقراء السبعة (176/5).

(3) انظر: التبيان في إعراب القرآن (108/2).

(4) الحجة للقراء السبعة (175/5).

(5) حجة القراءات (ص434).

(6) اللسان (2416/3-2417). مادة: صدف.

(7) انظر: المحتسب (34/2) ، الفريد (371/3-372).

(8) التبيان في تفسير غريب القرآن (279/1) ، مجاز القرآن (414/1) .

(9) معاني القراءات (ص277). (10) سياخ: غوص في الأرض. انظر: اللسان (2141/3) مادة : سوخ.

(11) انظر: نظم الدرر (505/4).

يقول البغوي: " قال لهم ذو القرنين ما قواني عليه ربي خير من جعلكم، فإني لا أريد المال، بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم أجعل بينكم وبينهم ردماً أي سداً، قالوا وما تلك القوة؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة؟ قال جيئوني بقطع الحديد فأتوه بها وبالحطب، وجعل بعضها على بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى إذا سوى بين طرفي الجبلين قال انفخوا، وفي القصة أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد ثم قال انفخوا يعني في النار، حتى إذا صار الحديد ناراً قال آتوني قطراً أفرغ عليه، والإفراغ الصب، والقطر هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس، قال قتادة: هو كالبرد المحبَّب طريقة سوداء وطريقة حمراء،⁽¹⁾ وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ ".⁽²⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ائتوني) بعد (ردم) مكسورة التتوين وبهمزة ساكنة بعده في الوصل: أن ذا القرنين طلب من أولئك القوم أن يجيئوه بقطع الحديد.

قال البيضاوي: " قراءة أبي بكر (ردماً ائتوني) بكسر التتوين موصولة الهمزة، على معنى: جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها كما في: أمرتك الخير، ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل ".⁽³⁾

أما قراءة (قال ائتوني) بالقطع وصلأ فأفادت: أن ذا القرنين طلب منهم أن يحضروا للعمل لمساعدته في بناء الردم. وأن يأتوه بالقطر ليفرغه على زبر الحديد.

يقول ابن عاشور: " وقرأه حمزة وأبو بكر عن عاصم (ائتوني) على أنه أمر من الإتيان. أي: أمرهم أن يحضروا للعمل ".⁽⁴⁾ والمعنى جيئوني به أفرغه عليه ".⁽⁵⁾

وأفادت قراءة (ردماً آتوني) و (آتوني أفرغ) بأن ذا القرنين طلب منهم أن يعطوه زبر

(1) هذا جزء من حديث رواه الطبري في جامع البيان (20/16) عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كأنه البرد المحبَّر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال قد رأيت. وقال فيه ابن كثير: هذا حديث مرسل. (203/5).

(2) انظر: تفسير البغوي (182/3). بتصرف. والبرد المحبَّب: الثوب الملون.

(3) تفسير البيضاوي (3 / 523).

(4) التحرير والتتوير (38/16).

(5) زاد المسير (193/5).

الحديد، والقطر والمقصود بها هو: استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة، وإنما هو استدعاء للمناولة، وعمل الأبدان؛ لأنه رفض أخذ العطية والأجر على المساعدة.

يقول القرطبي: " أي أعطوني زبر الحديد وناولونيها، أمرهم بنقل الآلة، وهذا كله إنما استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة، وإنما هو استدعاء للمناولة، لأنه قد ارتبط من قوله: إنه لا يأخذ منهم الخرج، فلم يبق إلا استدعاء المناولة، وأعمال الأبدان ". (1)

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن ذا القرنين طلب من أولئك القوم أن يساعده في بناء ردم يحجز عنهم يأجوج ومأجوج، وأن هذا الطلب لا ينافي عزوفه عن قبول الخرج أو الخراج، وقد وضحت قراءة القطع وبينت أن المقصود هو الاستعانة بهم في المساعدة والمناولة وليس المقصود من قراءة المد الإعطاء بمعنى الهبة، وعلى ذلك فقراءة القطع وضحت قراءة المد.

كما اتضح بالجمع بين قراءات (الصدفين) صفات هذا البناء الذي استعان ذو القرنين بأهل تلك البلاد على بنائه ليحجز عنهم قومي يأجوج ومأجوج ويقيهم من شرورهم، حيث إن تقابل الجبلين في غاية الاستقامة، فكأنهما جدار فتح فيه باب، وهما في غاية القوة حتى إن أعلاهما وأسفلهما سواء، وأنهما في غاية الثبات والقوة، فلا ينتخر شيء منهما على الزمان بريح ولا غيرها من فساد في أحد الجانبين، وبالتالي فالردم في غاية الاستقامة والعلو والقوة والثبات فلا يتعرض للانهييار أو السقوط بسبب قوة الجبلين ومتانتهم وقدرتهما للصدود في وجه العوامل الجوية. فكأنه وصف للردم لا وصف للجبلين. وهذا من إعجاز القرآن في ألفاظه ودلالاته.

46- قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ﴿١٧﴾

الكهف.

القراءات:

1. قرأ حمزة (اسطاعوا) بتشديد الطاء.
2. قرأ الباقون (اسطاعوا) بتخفيف الطاء. (2)

(1) تفسير القرطبي (56/6).

(2) انظر: النشر (237/2).

اللغة والبيان:

الاستطاعة: القدرة على الشيء. ⁽¹⁾ وهي: استقالة من الطوع، وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتياً، وهي عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل، وهي أربعة أشياء: بنية مخصوصة للفاعل. وتصور للفعل، ومادة قابلة لتأثيره، وآلة إن كان الفعل آلياً كالكتابة، ويضاده العجز، وقيل: الاستطاعة أخص من القدرة. ⁽²⁾ وأصل (استطاعوا): استطاعوا بالتاء، والاتحاد التاء والطاء في المخرج، حذف التاء ليخف اللفظ. ⁽³⁾

أما (استطاعوا) فأصلها أيضاً استطاعوا وأدغمت التاء في الطاء لأنها أختان. ⁽⁴⁾ وبذلك جمع بين السين وهي ساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة أيضاً. ⁽⁵⁾

والتضعيف يُقصد به المبالغة، كما أن تكرار الحرف إشارة إلى تكرار الحدث. ⁽⁶⁾ ونظراً لأن من صفات الطاء الشدة؛ فإن الشدة هنا مضعة لتشديد الطاء في (استطاعوا).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن متانة الردم الذي بناه ذو القرنين بحيث لم يستطع قوماً يأجوج ومأجوج أن يعلوه لارتفاعه وملاسته ولا أن ينقبوه لمتانته.

يقول المنصوري: " فعلوا ما أمروا به فصار جبلاً صلباً، فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فلم يستطيعوا ولم يقدروا أن يعلوه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا أن ينقبوه لثخنه وصلابته، وهذه خارقة عظيمة، لأن تلك الزبر الكثيرة بالنفخ فيها تكون كالنار، وإفراغ القطر عليها أي: النحاس المذاب شبه مستحيل، فكان ما كان، والله على كل شيء قدير. وقيل: بناه من الصخور مرتباً بعضها ببعض بكلايبب من حديد ونحاس مذاب ". ⁽⁷⁾

وقال القرطبي: " ما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويصعدوا فيه؛ لأنه أملس مستو مع الجبل، والجبل عال لا يرام، وارتفاع السد مائتا ذراع وخمسون ذراعاً، وروي في طوله ما

(1) اللسان (2721/4).

(2) انظر: مفردات الراغب (ص346-347)، بصائر ذوي التمييز (187/2).

(3) انظر: معاني القرآن للزجاج (312/3)، اللسان (2721/4)، مفاتيح الأغاني (ص264) ويعتبر الكرمانى أن التاء والطاء متقاربان في المخرج .

(4) انظر: حجة القراءات (ص435).

(5) الحجة للقراء (178/5). وقد ناقش أبو علي قضية الجمع بين ساكنين، وبين أقوال العلماء، ثم وجد مسوغاً لذلك واستشهد عليه من أشعار سيبويه. فانظره: (182-179/5).

(6) انظر: بلاغة الكلمة (ص42). (7) انظر: المقطف (282/3).

بين طرفي الجبلين مائة فرسخ، وفي عرضه خمسون فرسخ؛ قاله وهب بن منبه. قوله تعالى: ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ لبعده عرضه وقوته، وروي في الصحيح عن أبي هريرة (1) عن النبي ﷺ قال: { فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه } وعقد وهب بن منبه بيده تسعين - وفي رواية - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، وذكر الحديث (2).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (اسطاعوا) بتخفيف الطاء: أن يأجوج ومأجوج لم يقدرُوا على أن يعلوا الردم لملاسته.

وأفادت قراءة (اسطاعوا) بتثديد الطاء: انتفاء القدرة مطلقاً في حق يأجوج ومأجوج على تسلق الردم، رغم محاولاتهم المستمرة ، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: إحياءات حروف الكلمة؛ وذلك لأن اجتماع ساكنين في كلمة واحدة يوحي بسكون الحركة، وبذلك عجزوا عجزاً شديداً عن علو الردم أو حتى تسلقه. كما أن وجود التثديد في حرف من حروف الكلمة يوحي بقوة الحرف وشدته، فما بالناس إذا اجتمع مع شدة النطق بالحرف صفة الشدة فيه؟ وبذلك تكون المشقة مضاعفة، والحركة أكثر بطناً وصعوبة.

أما الناحية الثانية: فهي أنهم لا يملكون مقومات الاستطاعة الكاملة فهم قوم كما وصفهم العلماء؛ همجيون لا يعرفون غير الاعتداء والقتل والسلب. لذلك تركوا التسلق لعصيانه عليهم.

ومما يدل على تركهم للتسلق: الحديث الذي رواه أبو هريرة. وحديث آخر بيّن فيه أن همهم الذي داوموا عليه هو النقب في الردم ، حيث لم يُشر الحديث إلى التسلق. وهذا يدل على استعصائه عليهم رغم تكراره عدة مرات، ثم تركه وانشغالهم بما هو أكثر سهولة منه، ألا وهو النقب، رغم تكرار المحاولات فيه، حتى يتم لهم الأمر بمشيئة الله.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: { إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيستثنى فيعودون إليه وهو كهينته

(1) أخرجه البخاري (1221/3) كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج حديث رقم (3169). ومسلم (2208/4) كتاب الفتن، باب

اقترب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج. حديث رقم (2881). من طريق وهيب... به.

(2) انظر: تفسير القرطبي (58/6).

حين تركوه فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فبيعت الله عليهم نغفاً⁽¹⁾ في رقابهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم⁽²⁾.

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن قراءة تشديد الطاء أكدت قراءة عدم التشديد، وكلتاها قد أكدت استحالة قدرة يأجوج ومأجوج على تسلق الردم . وأن خروجهم سيكون عن طريق النقب عندما يشاء الله. وهذا على الرغم مما قيل من أقوال في الحديث الذي تم الاستئناس فيه لتدعيم هذا الرأي، لأن هذا الحديث يدعمه الحديث الذي روي في الصحيحين⁽³⁾ عن زينب بنت جحش زوج الرسول ﷺ في أن الخروج سيكون عن طريق الفتحة في الردم. وكذلك حديث أبي هريرة الذي روي في الصحيحين أيضاً وسبق ذكره.⁽⁴⁾

47- قال تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ

دَكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (دكَّاءَ) بالمد والهمز مفتوحاً من غير تنوين.
2. قرأ الباقر (دكَّاءَ) بالتنوين من غير مد. (5)

(1) النَّغْفُ: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. الواحدة: نَغْفَةٌ. { مختار الصحاح (ص 695) }.
(2) أخرجه ابن ماجة (1364/2) كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، حديث رقم (4080) . والترمذي (313/5) كتاب التفسير. حديث رقم (3153) عن قتادة ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في مستدركه (534/4) حديث رقم (8501) وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال فيه ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي، ولكن في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من إرتقائه ولا من نقبه، لإحكام بنائه وصلابته وشدته. ثم قال: ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع.
(3) عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد أقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلق. قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث ".

(4) انظر: ص 243.

(5) انظر: النشر (204/2).

اللغة والبيان:

الدك: الدق. (1) **دكاً:** أي: دكّه دكاً (2) . أي: مدكوكاً، أو ذا دك. (3)
دكّاء: أي: جعله مثل دكّاء، والعرب تقول: ناقة دكّاء: أي: لا سنام لها. (4) وهي على وزن فعلاء. وهي: كل ما انبسط من الأرض من مُرتفع. وهي: الأرض الملساء. (5) وقيل: أي: مساوياً للأرض فليغور فيها أو يذوب حتى يصير تراباً. (6)

التفسير:

حين فرغ ذو القرنين من بناء السد ورأى أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يعلوا الردم أو أن ينقبوه، أو أن يعتدوا على من دونه قال هذا الذي بنيته وأعانني عليه الله من فضله وآثار رحمته بهم؛ أن حجز عنهم فساد يأجوج ومأجوج، ولكن حين تحين مشيئة الله يدكه دكاً فيجعله أرضاً مستوية ملساء كأن لم يكن من قبل .

يقول د. وهبة الزحيلي: " قال ذو القرنين لأهل تلك الديار: هذا السد نعمة وأثر من آثار رحمة ربي بهؤلاء القوم أو بالناس؛ لحيلولته بين يأجوج ومأجوج وبين الفساد في الأرض، فإذا حلّ أجل ربي بخروجهم من وراء السد، جعله ربي مدكوكاً منهدماً، مستويّاً ملصقاً بالأرض، وكان وعد ربي بخرابه وخروج يأجوج ومأجوج وبكل ما وعد به حقاً ثابتاً لا يتخلف، كائناً لا محالة ". (7)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (دكاً): أنه حين يأتي موعد خروج يأجوج و مأجوج سيجعل الله الردم يندق ويتفتت حتى يستوي بالأرض.

وأفادت قراءة (دكّاء): أنه حينما يأتي موعد خروج يأجوج و مأجوج سيجعل الله ذلك الردم كالأرض المستوية الملساء. زيادة في بيان اندثاره.

(1) مختار الصحاح (ص228). مادة: دكك.

(2) مفاتيح الأغاني (ص265).

(3) الفريد (3/373).

(4) انظر: حجة القراءات (ص435).

(5) انظر: معاني القرآن للزجاج (3/312).

(6) حاشية الجمل (3/48).

(7) التفسير المنير (16/28).

الجمع بين القراءتين:

بينت قراءة المد حال هذا الردم المنفتت وما آل إليه، فأصبح كالأرض المستوية الملساء . يقول الطبري عند تفسير الآية 143 من سورة الأعراف: " واختلفت القراء في قراءة قوله: (دكاً) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة: (دكا) مقصوراً بالتثوين، بمعنى: دك الله الجبل دكاً ؛ أي فتته، واعتباراً بقول الله: ﴿كلا إذا دكت الأرض﴾ { الفجر: 21 } . وقوله: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ {الحاقة: 14 } وقرأته عامة قراء الكوفيين: " جعله دكاء " واختلف أهل العربية في معناه إذا قرئ كذلك. فقال بعض نحويي البصرة: العرب تقول: ناقة دكاء: ليس لها سنام، وقال: الجبل مذكر، فلا يشبه أن يكون منه إلا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: 82] وكان بعض نحويي الكوفة يقول: معنى ذلك: جعل الجبل أرضاً دكاء، ثم حذف الأرض وأقيمت الدكاء مقامها إذ أدت عنها روي عنه عليه السلام أنه قال: "فساخ الجبل " ولم يقل: فتفتت، ولا تحول تراباً. ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض، فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها، وصارت دكاء بلا سنام. وأما إذا دك بعضه فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكاء فإنها خلف من الأرض، فلذلك أنثت على ما قد بينت. فمعنى الكلام إذن: فلما تجلى ربه للجبل ساخ، فجعل مكانه أرضاً دكاء " . (1)

48- قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ

قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٩﴾ الكهف.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف (أن ينفد) بالياء على التذكير.
2. قرأ الباقون (أن تنفد) بالتاء على التأنيث. (2)

اللغة والبيان:

النفاد: الفناء. يُقال: نَفَدَ يَنْفَدُ. (3) أي: يفنى ويفرغ. (4)

(1) انظر: تفسير الطبري: (مجلد6ج9ص38) ببعض الاختصار.

(2) انظر: النشر (237/2).

(3) انظر: مفردات الراغب (ص556).

(4) انظر: كلمات القرآن (ص184).

قال الأزهري: من قرأ (تنفد) فلأن الكلمات جماعة مؤنثة. ومن قرأ (ينفد) ذهب إلى معنى الكَلِم، وتقدّم الفعل. (1) أي أن (كلمات) تأنيث مجازي وإن كان لفظه مؤنثاً (2) بمعنى (الكلم) الذي يفيد جمع الكثرة.

كلمات ربي: قال قتادة: كلام الله وحكمته. وقال مجاهد: علم ربي. (3)

مداداً: هو اسم لما تمد به الدواة من الحبر. (4) وسمي المداد مداداً؛ لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة. (5) والمداد كله مخلوق، وكلام الله الذي يكتب بالمداد غير مخلوق. (6)

مدداً: عوناً وزيادة. (7)

سبب نزول الآية:

رُوي في سبب نزولها: ما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فنزلت: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ الإسراء {85}، وقال اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآية. (8)

التفسير:

لما ادعت يهود أنها قد أوتيت علماً كثيراً، وتباهت بالتوراة وبأن فيها علم كل شيء ؛ بين سبحانه في هذه الآية أن ما أوتي اليهود من علم الله لا يعدو قطرة من علمه غير المتناهي، يتكلم بمشيئته وقدرته شيئاً بعد شيء. فهو لم يزل منكماً إذا شاء، وأن كلماته لا نهاية لها. وهذا مذهب السلف.

(1) معاني القراءات (ص279).

(2) انظر: اللباب (577/12-578).

(3) انظر: الدر المنثور (468/5).

(4) البحر المحيط (159/6).

(5) اللباب (577/12).

(6) كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير (568/12).

(7) مجمع البيان (369/6).

(8) أخرجه الترمذي في سننه (304/5) في كتاب التفسير، باب : ومن سورة بني إسرائيل. حديث رقم (3140) من طريق عكرمة عن ابن عباس. وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأخرجه أحمد في مسنده (255/1). وذكره السيوطي في لباب النقول (ص179) . وانظر: أسباب النزول للواحي (ص230).

يقول د. وهبة الزحيلي في تفسير الآية: " أي: قل أيها الرسول لهم : لو كتبت كلمات علم الله وحكمته، وكان ماء البحر حبراً للقلم الذي يكتب به، والقلم يكتب، لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك، ولو جيء بمثل البحر آخر وآخر وهكذا لنفد أيضاً، ولم تنفد كلمات الله. وهذا دليل على كثرة كلمات الله، وسعة علم الله وحكمته وأسراره، بحيث لا تضبطها الأقلام والكتب، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهِ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان {27}. (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أن ينفد): الإشارة إلى علم الله؛ بأنه غير متناهٍ لا ينفد ولا يفنى.

يقول ابن عاشور: " لما ابتدأت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم أفيض فيها من أفانين الإرشاد والإنذار والوعد والوعيد، وذكر فيها من أحسن القصص ما فيه عبرة وموعظة، وما هو خفي من أحوال الأمم؛ حوّل الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى. فهذا استئناف ابتدائي، وهو انتقال إلى التنويه بعلم الله تعالى مفيض العلم على رسوله ﷺ لأن المشركين لما سألوه عن أشياء يظنونها مفحمة للرسول، وأن لا قبل له بعلمها علمه الله إياها، وأخبر عنها أصدق خبر، وبينها بأقصى ما تقبله أفهامهم، وبما يقصر عنه علم الذين أغروا المشركين بالسؤال عنها. وكان آخرها خبر ذي القرنين، أتبع ذلك بما يُعلم منه سعة علم الله تعالى، وسعة ما يجري على وفق علمه من الوحي إذا أراد إبلاغ بعض ما في علمه إلى أحد من رسله. وفي هذا رد عجز السورة على صدرها ". (2)

وأفادت قراءة (أن تنفد): الإشارة إلى كلام الله وحكمته. وأن كلمات الله لا يلحقها فناء ولا تنتهي لأن علمه ومقدرته لا تنتهي، وكما أن العلم والقدرة من صفات الله؛ كذلك الكلام من صفاته عز في علاه، وأنه ليس بمخلوق كما كان يدعي المشركون. وفي ذلك أيضاً رد على كل من أنكر صفة الكلام لله أو أولها.

يقول ابن قدامة: " فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا مما أنكره الله على المشركين، ولأن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ فلو كانت البحار مداداً يكتب به لنفدت البحار وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناء كلمات الله ﷻ كما لا يلحق الفناء علم الله، لأن من فني كلامه لحقته

(2) التحرير والتنوير (16/51-52).

(1) التفسير المنير (16/42).

الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجر ذلك على ربنا **عَلَيْكَ** صح أنه لم يزل متكلماً، ولا يزال متكلماً، وقد نفى النفاذ عن كلامه كما نفى الهلاك عن وجهه ". (1)

ويقول ابن الجوزي: " وإنما لم تتفد كلمات الله لأن كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق إلى صفاته النفاذ ". (2)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أنه: كما أن العلم صفة من صفات الله؛ فكذلك كلام الله صفة من صفاته، وكما أن صفة العلم غير متناهية فكذلك كلامه. وأن علمه يتكلم به سبحانه متى شاء وبقدر ما يشاء. وفي ذلك رد على كل الفرق المنحرفة بمجموعها.

ويمكن أن يكون هناك وجه آخر من التفسير في بيان المعنى بالجمع بين قاعدتين في

اللغة العربية وهي:

القاعدة الأولى: أن العرب قد تُؤنَّث للكثرة، وتُذَكَّر للقلّة. (3)

القاعدة الثانية: أن الاسم إذا قُصد إلى جمع قَلَّتْهُ جُمع بالألف والتاء، وإذا قُصد فيه الكثرة جُرِّد من التاء، فيكون المجرد بمعنى الجمع الكثير، نحو: نملة ونمل ونملات. (4)

فيكون معنى القراءتين على النحو الآتي:

قراءة (أن ينفذ) أفادت أن قليل كلمات الله المعبر عنه بجمع القلة وهو: (كلمات) لا ينفذ وهو إلى ما لا نهاية.

أما قراءة (أن تنفذ) فأفادت أن كلام الله - وهو معنى كلمات الله - لا ينفذ وهو إلى ما لا نهاية.

الجمع بين القراءتين:

يمكن أن يُقال بالجمع بينهما: إذا كان قليل كلمات الله بهذه الكثرة فلا ينفذ ولا ينتهي فما بالناس بكثيره؟. وهو ما أشار إليه البقاعي، وإن كانت إشارته تدور حول التعبير عن كلام الله بجمع القلة؛ وهو قوله تعالى: (كلمات) دون التطرق إلى القراءتين بشكل مباشر، حيث يقول: "ولعله عبّر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه؟، وذلك أمر لا يدخل تحت وصف ". (5)

فسبحان من أظهر معاني عدة بكلمات قليلة، وجعل كل لفظ في كتابه معجزاً في بيانه.

(1) لمعة الاعتقاد: ابن قدامة المقدسي (96/1). (2) زاد المسير (201/5-202).

(3) معاني القرآن للفراء (435/1). (4) انظر: شرح الرضي على الشافعية (196/2). (5) نظم الدرر (511/4)

الفصل الثالث

تفسير سورة مريم من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: تعريف عام بسورة مريم .

المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة مريم المتضمنة للقراءات .

الفصل الثالث

سورة مريم

مقدمة:

سورة مريم هي السورة الثالثة والأخيرة في هذا البحث، والقصص هو مادة هذه السورة؛ فقد استغرق حوالي ثلثيها، وللسورة كلها جو خاص يظللها ويشيع فيها، ويتمشى في موضوعاتها، والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة والرضى والاتصال؛ وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية ودبيها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال. كما تحس انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطيقها فطرتة، كذلك تحس أن للسورة إيقاعاً موسيقياً خاصاً؛ فحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق. فأما المواضع التي تقتضي الشدة والعنف، فتجيء فيها الفاصلة مشددة دالاً - حرف الدال - في الغالب. وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجو والموضوع يبدو جلياً في هذه السورة.⁽¹⁾

والقصص فيها امتداد للقصص في سورة الكهف؛ فهناك ظهرت قدرة الله البالغة في حفظ أصحاب الكهف، وإحيائهم بعد موتهم، وإعطاء الرحمة والعلم للخضر عليه السلام، وفي منح ذي القرنين أسباب الملك والسلطان والسيادة، وهنا تظهر رحمة الله وفضله على زكريا إذ يمنحه يحيى على كبر وشيخوخة، وتظهر قدرة الله البالغة في خلق عيسى من أم دون أب.⁽²⁾

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " سورة مريم مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده، وأنّ خواص الخلق هم عباده، فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة، وتضمنت الرد على الغالين الذين زادوا في النسبة إلى الله حتى نسبوا إليه عيسى بطريق الولادة، والرد على المفرطين في تحقيق العبادة وما فيها من الكرامة، وجدوا نعم الله التي أنعم بها على عباده المصطفين.... فهذه السورة (سورة المواهب) وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذرية الطيبة والعمل الصالح والعلم النافع " .⁽³⁾

ونصيب هذه السورة من القراءات ليس كثيراً بالمقارنة مع السورة السابقة - سورة الكهف - التي استغرقت القراءات قدراً كبيراً منها.

(1) انظر: الظلال (2299/4 - 2300).

(2) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن (214/1).

(3) التفسير الكامل: شيخ الإسلام ابن تيمية (211/4).

المبحث الأول

تعريف عام بسورة مريم

ويشتمل على :

- أسماء السورة ووجه التسمية.
- مناسبتها لسورة الكهف.
- فضل السورة.
- أغراض السورة.
- الموضوعات التي تناولتها السورة.

المبحث الأول تعريف عام بالسورة

سورة مريم سورة مكية عند الجمهور، وعن مقاتل⁽¹⁾: أن آية السجدة مدنية، نزلت بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة⁽²⁾. أما عدد آياتها في عدد أهل المدينة ومكة فهو تسع وتسعون، وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمان وتسعون⁽³⁾. وعدد كلماتها ألف ومائة واثنان وتسعون، وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة واثنان⁽⁴⁾.

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول؛ نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه⁽⁵⁾، وهي السورة التاسعة عشرة بحسب الرسم القرآني⁽⁶⁾.

أسماء السورة ووجه التسمية:

سميت السورة بسورة مريم لاشتغالها على قصتها⁽⁷⁾؛ فقد بسطت فيها قصة مريم مع ابنها وأهلها قبل أن تُفصل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة⁽⁸⁾.

وسُميت بسورة كهيعص؛ فقد روي ذلك عن ابن عباس⁽⁹⁾، وكذلك وقعت تسميتها في صحيح البخاري في كتاب التفسير⁽¹⁰⁾.

(1) هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، مولاهم الخرساني المفسر، روى عن مجاهد والضحاك وغيرهما، وروى عنه سعيد بن الصلت وغيره، مدحه أهل التفسير وضعفه أهل الحديث، توفي سنة نيف وخمسين ومائة. { انظر: شذرات الذهب (227/1)، سير أعلام النبلاء (201/7-202) } .

(2) البحر المحيط (163/6). وانظر: زاد المسير (204/5).

(3) التحرير والتنوير (58/16) ، وانظر: روح المعاني (57/16) ، مجمع البيان (371/6). وقد ورد فيهما أن للمدنيين قولان.

(4) بصائر ذوي التمييز (305/1).

(5) التحرير والتنوير (58/16).

(6) الأساس في التفسير (3245/6).

(7) في رحاب التفسير (2309/13). وانظر: التفسير المنير (46/16).

(8) التحرير والتنوير (58/16).

(9) انظر: روح المعاني (56/16) ، التحرير والتنوير ((57/16) ، فتح القدير (401/3). قال الشوكاني: أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت بمكة سورة (كهيعص).

(10) هكذا (كهيعص) عنوان اسم السورة في صحيحه في كتاب التفسير. كما عنوان ابن حجر شرحه بقوله: قوله (بسم الله الرحمن الرحيم - سورة كهيعص). { انظر: فتح الباري (8 / 426-427) } .

كما روي عن أم سلمة مثل ذلك؛ فقد أخرج الإمام أحمد⁽¹⁾، وابن أبي حاتم⁽²⁾، والبيهقي في الدلائل⁽³⁾ عن أم سلمة أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به يعني: رسول الله ﷺ عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة".⁽⁴⁾

مناسبتها لسورة الكهف:

يقول السيوطي في تناسق الدرر: "أقول: ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها: أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من الخارقات، وقصة ذي القرنين. وهذه السورة فيها أعجوبتان: قصة ولادة يحيى بن زكريا، وقصة ولادة عيسى، فناسب تتاليهما."⁽⁵⁾

فضل السورة:

لم يرد في فضل سورة مريم أحاديث صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ، أما ما أورده البيضاوي وغيره من العلماء من حديث مرفوع إلى النبي ﷺ والذي جاء فيه: "من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به..." فهو حديث موضوع.⁽⁶⁾ وكل ما ورد ذكره في كتب السنن هو: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده⁽⁷⁾، عن محمد ابن اسحق من حديث أم سلمة، في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه فبكى النجاشي والأساقفة حتى اخضلت لحاهم، وقال النجاشي: هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.

(1) أخرجه أحمد في مسنده (202/1).

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في النقائ (65/1).

(3) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (144/9). وذكره السيوطي في الدر المنثور (476/5).

(4) فتح القدير (401/3).

(5) تناسق الدرر (ص101). وانظر: التفسير المنير (46/16).

(6) انظر هذا الحديث والحكم عليه في حاشية الشهاب على البيضاوي (320/6).

(7) انظر الخبر بتمامه في مسند أحمد بن حنبل (201/1-202) حديث رقم (1740). وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال ابن

اسحق، وقد صرح بالسماع { انظر: مجمع الزوائد (27/6) }.

أغراض السورة:

هذه السورة شأنها شأن غيرها من السور المكية؛ تعالج أمور العقيدة. فيدور سياق السورة على محور التوحيد، ونفي الولد والشريك، ويلم بقضية البعث⁽¹⁾ ويظهر أن هذه السورة نزلت للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير⁽²⁾.

الموضوعات التي تناولتها السورة:

افتتحت السورة بقصة ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام من أب شيخ كبير وأم عاقر خلافاً للمعتاد، واستجابة لدعاء زكريا عليه السلام، ثم بإيتاء يحيى النبوة في صباه. الآيات {1-15}.
الآيات {16-36}: تناولت كرامة مريم العذراء بخارق العادة في حملها من غير زوج وقصة ولادة عيسى عليه السلام وكلامه في المهد لتبرئة والدته، ووصف نفسه بصفات النبوة والكمال.
الآيات {37-40}: تناولت ما أحدثته حادثة الولادة من خلاف عقدي بين النصارى في شأن عيسى عليه السلام.

الآيات {41-50}: تحدثت عن جانب من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه واعتزاله لملء الشرك، وإكرام الله له بالذرية بعد الكبر وعقر زوجته، وجعل النبوة في ذريته.
الآيات {51-65}: أشارت إلى قصص النبيين موسى وهارون وإسماعيل وإدريس ونوح -عليهم السلام- لإثبات وحدة الرسالة، وأن الرسل جميعاً جاؤوا لدعوة الناس إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأوثان، وتحدثت عن اهتدى بهم، ومن خلفهم من الغواية، ومصير هؤلاء وهؤلاء. وتنتهي الآيات بإعلان الربوبية الواحدة لله.

الآيات {66-98}: تبدأ الآيات بالحديث عن الجدل في قضية البعث، ومناقشة الله لهم، وتستعرض بعض مشاهد القيامة. وتحدثت عن أهوال ذلك اليوم الرهيب، وتعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك.

وتنتهي الآيات بمشهد عميق من مصارع القرون ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾⁽³⁾.

(1) انظر: الضلال (2299/4). (2) التحرير والتنوير (58/16).

(3) انظر: الضلال (2301/4)، التفسير المنير (47-48/16)، التحرير والتنوير (58-59/16)، أهداف كل سورة ومقاصدها

(222/1)، صفوة التفاسير (182/2).

المبحث الثاني

عرض وتفسير آيات سورة مريم بالقراءات العشر

1- قال تعالى: ﴿ كَهَيْعَصَ ﴾ ﴿١١﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ أبو بكر والكسائي بإمالة الهاء والياء.
2. قرأ أبو عمرو بإمالة الهاء وفتح الياء.
3. قرأ ابن عامر وحمزة وخلف بفتح الهاء وإمالة الياء.
4. قرأ نافع وابن كثير وحفص وأبو جعفر ويعقوب بفتح الهاء والياء.⁽¹⁾
5. قرأ أبو جعفر بالسكت على كل حرف من حروف (كهيعص).⁽²⁾

البيان:

القراءة بإمالة الهاء لئلا تلتبس بالهاء التي للتنبيه، وإمالة الياء لئلا تلتبس بياء النداء.⁽³⁾ وإمالة هذه الحروف لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى، وإنما هي أسماء ما يُتَّهَجى به - أسماء لهذه الأصوات-، فلما كانت أسماء غير حروف جازت فيها الإمالة⁽⁴⁾ ، ويدل ذلك على أنها أسماء أنها إذا أُخبرت عنها أُعربتْها فتقول: هذه هاء، وياء.⁽⁵⁾

والقراءة بالسكت على حروف (كهيعص)؛ يلزم منها إظهار المخفى، فتظهر النون عند الصاد في (عص)، وليبين بهذا السكت أن الحروف مفصولة وإن اتصلت رسماً وفي كل واحد منها سر من أسرار الله تعالى الذي استأثر الله تعالى بعلمه.⁽⁶⁾

(1) انظر: النشر (51/2-52) ، الإتحاف (ص375).

(2) انظر: النشر (329/1) ، الميسر (ص305).

(3) انظر: حجة القراءات (ص437). وانظر: الحجة في القراءات السبع (ص139).

(4) مفاتيح الأغاني (ص266). وانظر: الحجة للقراء (5/185).

(5) حجة القراءات (ص437).

(6) انظر: النشر (329/1).

2- قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۗ ﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ أبو عمرو والكسائي (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) بجزم الفعلين.
2. قرأ الباقون (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) برفع الفعلين. (1)

اللغة والبيان:

قال الراغب: الوارثة والإرث: انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، وسمي بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث. (2)

وقراءة الجزم (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) على أن الأول مجزوم جواباً للدعاء (3)، في قوله: ﴿ هب لي ﴾. والولي على ذلك بمعنى (الوارث) فيكون تقديره: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً يرثني. ولأن (ولياً) رأس آية استغنى عن أن يكون ما بعده صفة له، لذلك كان جواباً للدعاء، أما (ويرث) فهو معطوف على (يرثني). (4)

أما قراءة الرفع (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) فالأول صفة للولي، كأنه قال: ولياً وارثاً. (5) لأن الأولياء قد يكون فيهم الوارث وغير الوارث. (6) وزكريا إنما سأل ولياً وارثاً علمه ونبوته. (7) والثاني معطوف عليه، والمعنى: فهب لي من لدنك ولياً وارثاً لي ووارثاً من آل يعقوب. (8)

(1) انظر: النشر (238/2) ، الميسر (ص305).

(2) مفردات الراغب (ص590).

(3) انظر: الملخص في إعراب القرآن (ص234).

(4) انظر: الكشف (84/2) ، المغني (5/3).

(5) مفاتيح الأغاني (ص266). وانظر: معاني القراءات (ص281) ، الحجة للقراء السبعة (191/5).

(6) انظر: حجة القراءات (ص438) ، الملخص (ص234) ، الحجة للقراء السبعة (191/5) .

(7) الكشف (84/2).

(8) المغني (5/3).

التفسير:

تتحدث الآيتان عن تضرع زكريا لربه بعد أن أصابه الكبر، أن يهبه ولداً صالحاً من صلبه يحافظ على دين الله، فيليه في النبوة والعلم؛ لأنه قد رأى ما حل بأبناء عمه وأقاربه من تضييع لحقوق الله والعباد، فخاف بموته أن يضيعوا الدين بعده، وألا يقوموا بدينه حق القيام، لذلك طلب من الله أن يهبه الولد الصالح بقدرته التي لا يعجزها شيء.

يقول الشنقيطي: " أي: خفتُ أقاربي وبني عمي وعصيتي أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام. وبهذا التفسير تعلم أن معنى قوله (يرثني) أنه إرث علم ونبوة، ودعوة إلى الله والقيام بدينه، لا إرث مال. ويدل لذلك أمران:

أحدهما: قوله ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين.

والأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين. فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحهما⁽¹⁾ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: " لا نورث، ما تركنا صدقة... فظاهر صيغة الجمع شمول جميع الأنبياء... وبهذا تعلم أن قوله هنا ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ يعني وراثته العلم والدين لا المال... وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة عن زكريا ﴿واجعله رب رضيعاً﴾ أي: مرضياً عندك، وعند خلقك في أخلاقه وأقواله وأفعاله ودينه، وهو فعيل بمعنى مفعول".⁽²⁾

قال الرازي: " واعلم أن زكريا عليه السلام قدّم على السؤال - طلب الولد - أموراً ثلاثة: **أحدها:** كونه ضعيفاً، **والثاني:** أن الله تعالى ما رد دعاءه البتة، **والثالث:** كون المطلوب بالدعاء سبباً للمنفعة في الدين، ثم بعد تقرير هذه الأمور الثلاثة صرّح بالسؤال... وذلك مما يزيد الدعاء توكيداً لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته والتبري عن الأسباب الظاهرة".⁽³⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفرائض . باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة. حديث رقم (6726) { فتح الباري (5/12) }. وأخرجه مسلم في صحيحه (3/1377-1379) في كتاب الجهاد . باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا فهو صدقة. حديث رقم (1757).

(2) انظر: أضواء البيان (2/442-446) باختصار وبيعض التصرف.

(3) انظر: التفسير الكبير (21/182-183) باختصار.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) بجزم الفعلين: أن زكريا عليه السلام دعا ربه أن يهب له ولداً وارثاً يرث العلم ويرث من آل يعقوب النبوة. وذلك رجاءً في الله أن يستجيب لدعائه. فطلبه للولد كان من أجل الوراثة للعلم والنبوة.

يقول الألوسي: " والمعنى إن تهب لي ذلك يرثني الخ، والمراد أنه كذلك في ظني ورجائي " . (1)

وأفادت قراءة (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) برفع الفعلين أن زكريا عليه السلام حينما سأل ربه الولد كان من جملة ذلك أن يكون هذا الولد وارثاً لعلمه ونبوته، موصوفاً بأن يكون كذلك صفته وحاله. لأنه ليس شرطاً أن يكون الولد شبيهاً لأبيه في دينه وعلمه وسلوكه، أو أن يكون وارثاً لما يتمتع به الوالد من صلاح وتقوى، فأراد عليه السلام أن يكون وليه صالحاً مرضياً من الله هادياً مصلحاً لبني إسرائيل.

يقول النسفي: " أي: هب لي ولداً وارثاً مني العلم ومن آل يعقوب النبوة، ومعنى وراثة النبوة: أنه يصلح لأن يوحى إليه، ولم يرد أن نفس النبوة تورث " . (2)

ويقول زادة في حاشيته على البيضاوي: " من جزم الفعلين قصد السببية على معنى إن تهب يرث، ومن رفعهما لم يقصدها وجعلها صفة لـ (ولياً) فعلى هذا يكون (يرث) من جملة المطلوب " . (3)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن زكريا عليه السلام دعا ربه أن يهبه ولداً من صلبه يكون صالحاً مرضياً من الله وأن يكون وارثاً يرث عنه العلم والنبوة كما يرث عن آل يعقوب العلم والنبوة والدين ويقوم به حق القيام رجاءً في الله أن يستجيب له؛ لأنه إنما كان مقصده هو الحفاظ على دين الله.

(1) تفسير الألوسي (63/16).

(2) تفسير النسفي (23/3).

(3) حاشية زادة على البيضاوي (528/5).

3- قال تعالى: ﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعُلْمِ اسْمِهِ يُحْيِي لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ﴿٧﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ حفص وحزمة والكسائي وخلف العاشر (زكريا) بالقصر من غير همز حيثما وردت في السورة.
2. قرأ الباقون (زكرياء) بالهمز والمد حيثما وردت في السورة. (1)
1. قرأ حمزة والكسائي (نُبَشِّرُكَ) بفتح النون وضم الشين من البشر وهو البشرى والبشارة.
2. قرأ الباقون (نُبَشِّرُكَ) بضم النون وتشديد الشين مكسورة من (بشراً) المضعف على التكثر (2)

البيان:

قراءة (زكريا) بالمد والقصر لغتان مشهورتان عند العرب. (3)

قال الأزهري: " في (زكريا) ثلاث لغات: القصر حتى لا يستبين في الألف نصب ولا رفع ولا خفض. واللغة الثانية: مد الألف فتُنصب وترُفع ولا تُخفض ولا تُتَوَّن؛ لأنه اسم لا ينصرف، وبهاتين اللغتين نزل القرآن. وأما اللغة الثالثة: فلا تجوز القراءة بها، وهو قولك: (هذا زكريُّ قد جاء). (4)

والقراءة في هذه السورة سواء بالمد أو القصر لا تأثير لها في تفسير الآية؛ حيث ورد ذكر زكريا ﷺ في السورة مرتين: المرة الأولى في الآية الثانية من السورة في قوله تعالى ﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾. والمرة الثانية في هذه الآية. وكما هو ملاحظ أن نصب لفظ زكريا في الآية الأولى ورفعها في الآية الثانية ليس له تأثير على تفسير الآيتين، وإنما تأثيره فقط في نوع المد.

أما قراءة (نُبَشِّرُكَ) فقد تقدم الكلام عليها عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ {الإسراء} (9) (5)

(1) انظر: النشر (180/2) في موضع الآية (37) من سورة آل عمران.

(2) انظر: النشر (180/2).

(3) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (342/1).

(4) معاني القراءات (ص100). (5) انظر: ص 72 من هذا البحث.

4- قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ حفص وحمزة والكسائي (عِتِيًّا) بكسر العين.
2. قرأ الباقر (عُنِيًّا) بضم العين. (1)

اللغة والبيان:

عُتِيًّا: أصله: عُنُوًّا وهو بزنة فُعُول (2) وهو مصدر عتا يعتو، فأبدلت الواو ياءً، والضمة التي قبلها كسرة لتصح الياء، أما قراءة (عِتِيًّا) بكسر العين فلاتباع الكسر (3) : وهو اليُئِس والجرارة في المفاصل والعظام كالعود القاحل، يُقال: عتا العود وعسا (4) إذا بلغ النهاية في الشدة والكبر. (5) وقال الراغب: أي: حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها. (6)

التفسير:

بعدما طلب زكريا عليه السلام من ربه ولداً وارثاً علمه ونبوته أتاه الملك ليبشره به، إلا أن زكريا عليه السلام تساءل متعجباً عن كيفية حدوث ذلك - لا مستبعداً لقدرة الله - مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد في شبابها فكيف يتم ذلك بعد أن وصلت إلى سن اليأس؟ وهو قد وصل إلى سن كبيرة فقد فيها القدرة على الإنجاب.

يقول ابن كثير: " هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أُجيب إلى ما سأل وبُشِّر بالولد ففرح فرحاً شديداً، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقراً لا تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعتا، أي: عسا عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح ولا جماع ". (7)

(1) انظر: النشر (238/2)، الميسر (ص305).

(2) الدر المصون (493/4).

(3) انظر: مشكل إعراب القرآن (ص450).

(4) الكشف (95/3).

(5) معاني القرآن للنحاس (720/2).

(6) مفردات الراغب (ص360).

(7) تفسير ابن كثير (221/5).

ويقول أبو السعود: " وإنما قاله ﷺ مع سبق دعائه بذلك، وقوة يقينه بقدرة الله لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران؛ استعظماً لقدرة الله تعالى وتعجبياً منها واعتداداً بنعمته تعالى عليه في ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله ﷻ وفضله مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعاداً له ". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (عَتِيًّا): شدة تعجب زكريا ﷺ من كيفية حدوث ما بُشِّر به، مع أنه قد وصل إلى درجة من الكبر والضعف تمنع في العادة من حدوث الإنجاب.

وأفادت قراءة (عُنْتِيًّا): المبالغة في وصف حالته وعدم قدرته على الإنجاب إلى الغاية التي ما بعدها غاية، لما في ضم العين من إفادة المبالغة والتقل.

وبهذا يتبين أن قراءة الكسر قد بينت الحالة التي وصف بها زكريا ﷺ نفسه، وجاءت قراءة الضم لتزيد هذا الوصف مبالغة لتدل على مدى قدرة الله التي لا تتعلق بالأسباب.

يقول الرازي في اللوامع: " والله تعالى في كل صنع تدبيران: أحدهما المعروف الذي يسلكه الناس من توجيه الأسباب إلى المسببات، والآخر يتعلق بالقدرة المحضة، ولا يعرفه إلا أهل الاستبصار ". (2)

5- قال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ

قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۗ ﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي (خَلَقْنَاكَ) بالنون والألف على لفظ الجمع.
2. قرأ الباقون (خَلَقْتُكَ) بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد. (3)

(1) تفسير أبي السعود (276/3).

(2) ذكره البقاعي في نظم الدرر (523/4).

(3) انظر: النشر (238/2) ، الميسر (ص305).

البيان:

قراءة (خَلَقْنَاكَ) على لفظ الجمع؛ فيه معنى التعظيم أي: على إرادة التعظيم لله تعالى، ومناسبة لقوله تعالى ﴿إنا نبشرك﴾.

أما قراءة (خُلِقْنَاكَ) على لفظ التوحيد؛ فلقوله تعالى قبله ﴿قال ربك هو علي هين﴾⁽¹⁾. وكلا القراءتان من إخبار الله تعالى عن نفسه.

التفسير:

جاءت هذه الآية لتجيب زكريا عليه السلام عما تعجب منه؛ فيقول له سبحانه إن الذي خلقك وأوجدك ابتداءً من العدم، -وفي ذلك إشارة إلى خلق آدم عليه السلام - أسهل عليه إيجاد الولد بطريق التوالد.

يقول الزحيلي: " أي: قال الله تعالى من جهة المَلَكِ مجيباً زكريا عما تعجب منه: الأمر كما قلت، سنبه لك ولداً على الرغم من العقم والهرم، هو عليّ سهل ميسور، إذا أردت شيئاً قلت له: كن فيكون، وقد خلقتك ابتداءً وأوجدتك من العدم المحض، ولم تك شيئاً قبل ذلك، فأيجاد الولد بطريق التوالد المعتاد أهون من ذلك وأسهل منه.

وهذا دليل على القدرة الإلهية الفائقة، فإنه تعالى يسهل عليه كل شيء، وقد قرر هنا أن الأمر سهل يسير عليه، وذكر ما هو أعجب مما سأل عنه زكريا، بحسب تقدير الناس، والحقيقة أن الأمرين على قدرة الله سواء، فسيان خلق الإنسان من العدم أو من طريق التوالد، ومن قدر على خلق الذات، فهو قادر على تبديل الصفات، فيعيد الله إليه وإلى زوجته القدرة على الإنجاب، كما قال: ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه﴾ الأنبياء {90}.⁽²⁾

ويقول المنصوري: " ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ أي: أوجدتك من قبل يحيى، والمراد به ابتداء خلق البشر، إذ هو الواقع إثر العدم المحض، وإنما لم ينسب إلى آدم عليه السلام بأن يُقال: وقد خلقت أباك آدم من قبل ولم يك شيئاً، لتأكيد الاحتجاج، وتوضيح منهاج القياس، حيث نبّه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه من العدم، وكان حال زكريا عليه السلام أولى بأن يكون معياراً لحال ما يشد به نسب الخلق المذكور إليه ".⁽³⁾

(1) انظر: الكشف (85/2)، الحجة في القراءات السبع (ص141)، المستنير (6/2).

(2) التفسير المنير (56/16).

(3) المقتطف (292/3). وانظر أصل هذا الكلام في تفسير أبي السعود (276/3-277). ونحوه في تفسير الألوسي (70/16).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (خَلَقْتَنَّاكَ) وحدانية الخالق وهو الله ﷻ.

أما قراءة (خَلَقْنَاكَ) فأفادت: مدى عناية الله بهذا المخلوق وعظمة هذا الخالق.

الجمع بين القراءتين:

القراءتان دلتا على وحدانية الخالق وعظمته، وأنه لا يعجزه شيء، وكمال عنايته بزكريا ﷺ .

6- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَمًا زَكِيًّا ﴾ ﴿١١﴾

مريم.

القراءات:

1. قرأ قالون بخلف عنه وورش وأبو عمرو ويعقوب (لِيَهَبَ) بالياء بعد اللام.

2. قرأ الباقر (لِأَهَبَ) بالهمزة، وهو الوجه الثاني لقالون. (1)

اللغة والبيان:

الهبية: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض. (2)

قراءة (لِيَهَبَ) : على إسناد الفعل إلى ضمير (ربك) في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ والإسناد على هذا حقيقي، لأن الواهب في الحقيقة هو: الرب ﷻ .

وقراءة (لِأَهَبَ) : على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو: المَلَكُ القائل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ والإسناد على هذا مجازي من إسناد الفعل إلى سببه المباشر لأنه هو الذي باشر النفخ. (3)

(1) انظر: النشر (238/2) ، الميسر (ص306).

(2) مفردات الراغب (ص608).

(3) المغني (7/3). وانظر: الحجة للقراء السبعة (5/195) ، الملخص في إعراب القرآن (ص237) ، الكشف (2/86) ، الفريد

(387) ، الحجة في القراءات السبع (ص141) ، حجة القراءات (ص440-441).

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن تعريف جبريل عليه السلام بنفسه وبيان سبب دخوله على مريم -عليها السلام- وهي في خلوتها، وبشراه لها، بعد فرقتها منه واستعادتها بالله لعدم معرفتها به.

يقول أبو السعود: " **﴿قال إنما أنا رسول ربك﴾** يريد - جبريل عليه السلام - أني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر، وإنما أنا رسول ربك الذي استعدت به **﴿لأهب لك غلاماً﴾** أي: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع، ويجوز أن يكون حكاية لقوله تعالى، ويؤيده القراءة بالياء، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها، والإشعار بعة الحكم، فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها، وفي بعض المصاحف أمرني أن أهب لك غلاماً **﴿زكياً﴾** طاهراً من الذنوب أو نامياً على الخير، أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح ". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (**لِيَهَبَ**) : أن جبريل عليه السلام جاء مريم مخبراً لها عن هبة الله لها بالغلام، فالواهب هو الله جل جلاله .

يقول الطبري: " بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاماً زكياً ". (2)
أما قراءة (**لِأَهَبَ**) فأفادت: أن جبريل عليه السلام أخبر عن نفسه أنه سيكون سبباً في هبة الغلام لأنه سينفخ في جيبها بأمر الله .

يقول الزمخشري: " إنما أنا رسول من استعدت به لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع ". (3)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن جبريل عليه السلام جاء مريم ليبشرها بهبة الله لها غلاماً طاهراً نامياً على الخير، وأمره ﷻ أن ينفخ في جيبها ليكون ذلك سبباً في تحقق البشري.

(1) تفسير أبي السعود (278/3).

(2) تفسير الطبري (47/16).

(3) الكشاف (98/3).

7- قال تعالى: ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴾ ﴿١٣﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (مِثُّ) بضم الميم.
2. قرأ الباقر (مِثُّ) بكسر الميم. (1)
1. قرأ حفص وحمزة (نَسِيًّا) بفتح النون.
2. قرأ الباقر (نَسِيًّا) بكسر النون. (2)

اللغة والبيان:

القراءتان (مِثُّ) و (مِثُّ) ترجعان إلى أصل الاشتقاق:

(مِثُّ): من (مات يمات) نحو (خاف يخاف).

(مِثُّ): من (مات يموت) نحو (قام يقوم). (3)

النَّسِيُّ: الشيء الحقيق الذي إذا أُلقي نسي. (4) وهو الاسم. (5)

النَّسِي: مصدر النسيان. (6) أي من قولك (نسيت) (7) أنسى نسيًّا ونسياناً (8) فهو مصدر

موضوع موضع المفعول للمبالغة. (9)

وقال ابن الأنباري: "من كسر النون قال: النَّسِيُّ اسم لما يُنسى، بمنزلة البُغْض اسم لما

يُبغض، والسَّبب اسم لما يُسبب، والنَّسِيُّ بفتح النون اسم لما يُنسى أيضا على أنه مصدر ناب عن

(1) انظر: النشر (182/2) ، الميسر (ص306).

(2) انظر: النشر (238/2) ، الميسر (ص306).

(3) انظر: روح المعاني (81/16-82) ، المغني (373/1).

(4) تفسير غريب القرآن (ص273). وانظر: غريب القرآن وتفسيره للزبيدي (ص237) ، مفاتيح الأغاني (ص267) ، معاني القراءات (ص283).

(5) حجة القراءات (ص441).

(6) معاني القرآن للفراء (165/2). الملخص في إعراب القرآن (ص238).

(7) الحجة في القراءات السبع (ص141).

(8) حجة القراءات (ص441).

(9) انظر: تفسير أبو السعود (279/3).

الاسم، كما يُقال: الرجل دِنْفٌ ودَنْفٌ، فالمكسور هو الوصف الصحيح، والمفتوح مصدر سد مسد الوصف " (1).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الحالة النفسية والجسدية التي مرت بها مريم-عليها السلام- عند مخاضها، وذلك بعدما نفخ الملك في جيبها بأمر الله لتحمل بعيسى عليه السلام، وانقضاء مدة حملها.

يقول د. القيسي: " فقد لجأت مريم - عليها السلام - إلى النخلة .. راجعة أعني أنها عادت إليها بعد أن كانت قد تجاوزتها، ماضية على وجهها، لكيلا يراها الناس وهي في ساعة الوضع، ولكن ألم المخاض الذي سبق حركتها.. لم يُمكنها من المضي في هربها، فحاولت أن تلجأ إلى أقرب سائر أو كالسائر.. فلم تجد شيئاً أقرب من النخلة فرجعت إليها أي: جاءت إليها. والمجيء لا يكون إلا عندما يكون المرء في طريق الرجوع " (2).

يقول البيضاوي: " فألجأها المخاض، وهو تحرك الولد في بطنها للخروج، إلى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، وهو ما بين العنق والغصن، وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فيها، وكان الوقت شتاء. والتعريف للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها، وكانت كالمتعالم عند الناس، ولعله تعالى ألهمها بذلك ليربها من آياتها ما يسكن روعتها، ويطعمها الرطب الذي هو خرُسَة النفساء (3) الموافقة لها. قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس، ومخافة لومهم، وكنت ما من شأنه أن يُنسى ولا يُطلب، منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم " (4).

ويقول ابن كثير: " وقوله تعالى إخباراً عنها ﴿قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة؛ فإنها عرفت أنها ستبتلي وتمتحن بهذا المولود، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد، ولا يصدقونها في خبرها، وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة، تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية، فقالت: ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ أي: قبل هذا الحال ﴿وكنت نسياً منسياً﴾ أي: لم أخلق ولم أك شيئاً " (5).

(1) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (220/5).

(2) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن: د. عودة الله منبع القيسي (ص65).

(3) الخرُسَة: ما تُطعمُ المرأة عند ولادها. { اللسان (1131/2) مادة: خرس }.

(4) انظر: تفسير البيضاوي (10/4-11) باختصار. (5) تفسير ابن كثير (230/5).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (مِتُّ): تمنى مريم للموت حين بدأت فيها آلام المخاض، لما عرفت أن هذا المولود سيكون محل ابتلاء وامتحان لها. وتمنيها هذا كان مشوباً بالحزن والأسى، والاستحياء من الناس؛ لما تفيدته الكسرة من الضعف الذي يوحى بالحزن والاستحياء. فهذه القراءة كانت وصفاً للحالة النفسية التي مرت بها السيدة مريم في هذا الموقف.

يقول ابن كثير: " وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل ".⁽¹⁾

أما قراءة (مِتُّ) فأفادت: شدة تمنيتها للموت مع شدة شعورها بآلام المخاض؛ لما في الضم من ثقل وقوة. وعليه جاءت هذه القراءة لتعبر عن الحالة النفسية والجسدية التي مرت بها مريم - عليها السلام - .

وقراءة (نَسِيًّا) أفادت: تمنى مريم أن تكون كأى شيء حقير يلقى فينسى من الذاكرة لحقارته وذلك من شدة تأثرها بما حدث لها، وشدة الامتحان الذي ستعرض له. أما قراءة (نَسِيًّا) فأفادت: المبالغة في تمنى كونها منسية من الذاكرة. فتنسى ولا يعتد بها، ولا تخطر على بال أحد، فتمحى من الذاكرة تماماً.

الجمع بين القراءات:

جاءت القراءات لتصف الحالة النفسية والجسدية التي مرت بالسيدة مريم - عليها السلام - حيث من شدة تأثرها بما حدث لها من حمل بدون بعل وخوفها على دينها مما ستعرض له من ابتلاء تمنى الموت بشدة موافقة لشدة آلام المخاض، وتمنت حينها أن تكون كأى شيء حقير يلقى فيمحي من الذاكرة فلا يخطر ببال أحد ليتذكره؛ حتى لا تتعرض لهذا الامتحان العسير.

(1) تفسير ابن كثير (230/5).

8- قال تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ

سَرِيًّا﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة ورويس (مِنْ تَحْتِهَا) بفتح الميم ونصب التاء.

2. قرأ الباقون (مِنْ تَحْتِهَا) بكسر الميم وخفض التاء. (1)

البيان:

القراءة بكسر ميم (مِنْ) وجر تاء (تَحْتِهَا) على أن (مِنْ) حرف جر، وما بعدها مجرور، والفاعل ضمير يعود على عيسى عليه السلام، أو على جبريل عليه السلام، والجار والمجرور متعلق بنادائها. أما القراءة بفتح ميم (مِنْ) ونصب تاء (تَحْتِهَا) على أن (مِنْ) اسم موصول فاعل (نادى) وتحت ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة. (2)

التفسير:

بعدما بينت الآية السابقة الحالة النفسية والجسدية التي تعرضت لها مريم عليها السلام حين التجأت من وجع الولادة إلى جذع نخلة يابسة في وقت الشتاء، جاءت هذه الآية لتبين كيف تولاها الله برعايته؛ حيث جعل مَنْ يزيل عنها هذا الحزن والألم، ويطمئنها.

يقول ابن الجوزي: " قوله تعالى ﴿فناداها من تحتها﴾ ففيه وجهان: أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة، وقيل: كانت على نشز (3) فناداها الملك أسفل منها، والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها، قال ابن عباس: كل ما رفعت إليه طرفك فهو فوقك، وكل ما خفضت إليه طرفك فهو تحتك، ومن قرأ بفتح الميم ففيه الوجهان المذكوران، وكان الفراء يقول ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً. قوله تعالى ﴿قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النهر الصغير، قاله جمهور المفسرين واللغويين، والثاني: أنه عيسى، فان قيل كيف ناسب تسليتها أن قيل لا تحزني فهذا نهر يجري؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنها حزنت لجذب

(1) انظر: النشر (238/2)، الميسر (ص306).

(2) انظر: المغني (8/3-9).

(3) النَّشْرُ: المكان المرتفع من الأرض. مختار الصحاح (ص685).

مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشراب والماء الذي تتطهر به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً. **والثاني:** أنها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج فأجرى الله تعالى لها نهراً فجاءها من الأردن، وأخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة، فكان ذلك آية تدل على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى ". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت القراءة (مِنْ تَحْتِهَا) بكسر الميم والتاء: أن عيسى عليه السلام كلمها وهو تحتها، أي: من تحت ثيابها، لأن ذلك موضع ولادة عيسى عليه السلام، وقيل إن الذي ناداها هو جبريل عليه السلام من أسفل من مكانها، أي: من دونها، كما تقول: داري تحت دارك، وبلدي تحت بلدك، أي: دونها.

أما القراءة (مَنْ تَحْتَهَا) بفتح الميم والتاء فأفادت: أن الذي كلمها هو الذي تحتها، فيكون: إما المراد به الذي تحت الثياب وهو عيسى عليه السلام، وإما أن يكون الذي دونها وأسفل منها في المكان وهو جبريل عليه السلام. (2)

وقد تباينت أقوال العلماء في تحديد المنادي بالنسبة للقراءتين على أقوال:

قال مكي بن أبي طالب: "وكون الضمير لـ(عيسى) في القراءة بفتح الميم أقوى في المعنى، وكون الضمير لجبريل عليه السلام في القراءة بكسر الميم أقوى في المعنى، ويجوز في القراءتين أن يكون لـ(عيسى) وأن يكون لـ(جبريل) عليهما السلام ". (3)

يقول محمد عمر بازمول: " القول بأن الفاعل هو جبريل عليه الصلاة والسلام مروى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وعمرو بن ميمون والبراء وسعيد بن جبير وقتادة (4) واستظهره القرطبي (5) . والقول بأن الفاعل هو عيسى عليه الصلاة والسلام مروى عن مجاهد والحسن وأبي بن كعب (6) واختاره الطبري (7) واستظهره أبو حيان (8) والشنقيطي (9) ". (10)

(1) انظر: زاد المسير (221/5-222) باختصار.

(2) انظر: الكشف (86/2-87) ، الفريد (391/3) ، المغني (9/3) ، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (793/2-794).

(3) الكشف (87/2).

(4) انظر: الدر المنثور (501/5-502).

(5) انظر: تفسير القرطبي (87/6).

(6) انظر: الدر المنثور (502/5).

(7) انظر: تفسير الطبري (52/16-53).

(8) انظر: البحر المحیط (173/6).

(9) انظر: أضواء البيان (463/2).

(10) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (794/2).

قلت: وقد جزم الفراء بكونه جبريل عليه السلام على القراءتين. (1) وكذلك فسّر به المنصوري والسعدي والصابوني (2)، واستظهره الزحيلي في تفسيره. (3)

وقد استدل الفريق القائل بأنه جبريل؛ بالقراءة الشاذة عن ابن عباس رضي الله عنه (فناداها ملك من تحتها)، (4) وكذلك بما روي عنه من أنه قال: ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها. (5) أما الفريق القائل إن المنادي هو عيسى عليه السلام فقد استدل على ترجيحه بقرينتين كما بينهما الشنقيطي وهي:

الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل. لأن الله قال (فحملته) يعني عيسى (فانبتت به) أي: بعيسى. ثم قال بعده (فناداها) فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى.

الثانية: أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه... وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته. (6)

والباحثة ترى أن كلاً من الرأيين له وجهة نظر واجتهاد مقبولة إلا أن الرأي القائل بأن جبريل هو المنادي يترجح على الرأي الآخر؛ وذلك لأن القراءة الشاذة المروية عن الصحابة هي في الأصل تفسير للقرآن. كما أن مريم عليها السلام عندما سمعت النداء لم تخف ولم تفرع لأن صوت المنادي مألوف لها، فلو كان المنادي هو عيسى عليه السلام لفرعت، وبذلك يكون المنادي هو جبريل عليه السلام، وذلك لأن جبريل عليه السلام حينما جاءها في المرة الأولى فرعت ولكن لأنها ألقت صوته لم تفرع هذه المرة بل اطمأنت إلى أن الله لن يتركها، لذلك حينما طلب منها أن تصمت حينما تأتي قومها تيقنت أن الله سيدافع عنها، وأنه سيحدث معجزة أخرى تتجيبها من الاتهام، كما أنها فهمت أن هذا الوليد سيكون مدافعاً عنها بقدرة الله لذلك أشارت إليه عند قدومها إلى قومها.

(1) انظر معاني القرآن للفراء (165/2).

(2) انظر: المقتطف (297/3)، تفسير السعدي (ص492)، صفوة التفسير (186/2).

(3) انظر: التفسير المنير (76/16).

(4) انظر: تفسير الألويسي (82/16).

(5) انظر: تفسير القرطبي (87/6).

(6) أضواء البيان (463-464/2).

قراءة حفص (تُسَاقِطُ): مضارع (سَاقَطَتِ تسَاقِطُ مساقطةً) والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً مفعوله. و(تساقط) على وزن تَفَاعَلَ، وهذا يدل على أن السقوط لا يكون دفعة واحدة، وإنما شيئاً بعد شيء.

وقراءة حمزة (تَسَاقِطُ): مضارع (تساقط) حُذِفَتْ منه إحدى التاءين تخفيفاً، والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً تمييز.

وقراءة (تَسَاقِطُ): مضارع (تساقط) أدغمت التاء في السين، والفاعل ضمير يعود على النخلة، ورطباً تمييز.

وقراءة (يَسَاقِطُ): أي: (يتساقط) مضارع (تساقط) أدغمت التاء في السين تخفيفاً، والفاعل ضمير يعود على (الجدع) ورطباً تمييز.⁽¹⁾

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن كرامة لمريم عليها السلام أمدها الله بها ليذهب حزنها ويُطمئن قلبها إلى أن كل ما حدث لها هو من أمر الله، يظهر من خلالها قدرته ﷻ .

يقول الصابوني: " أي: حركي جذع النخلة اليابسة يتساقط عليك الرطب الشهي الطري، قال المفسرون: أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موات الجذع بعد رؤيتها عين الماء العذب الذي جرى جدولاً، وذلك ليسكن ألمها وتعلم أن ذلك كرامة من الله لها.⁽²⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (تُسَاقِطُ): كثرة الرطب النازل على مريم عليها السلام من النخلة كأنها مأمورة بإسقاطه، وكأن الهز هو من قبيل الأخذ بالأسباب، كما تدل القراءة على نزول الرطب من النخلة تدريجياً، شيئاً بعد شيء وليس دفعة واحدة.

أما قراءة (تَسَاقِطُ) فأفادت: سهولة تساقطه وكثرته.

وقراءة (تَسَاقِطُ) أفادت: شدة تساقطه، مع الاستغراب من كونه من النخلة ليبسها وعدم إقنائها لكون الأمر في فصل الشتاء.

أما قراءة (يَسَاقِطُ) فأفادت: أن الرطب يسقط من الجذع بشدة وكثرة، وفي هذا دليل

(1) انظر: المستنير (9-8/2) ، حجة القراءات (ص442-443) ، الفريد (3/394).

(2) صفوة التفسير (2/186).

على أن النخلة التي التجأت إليها مريم عليها السلام لم تكن سوى جذع جاف، لا أوراق ولا ثمار لها ولكن بقدره الله تحولت إلى نخلة مثمرة.

يقول البقاعي: " والتعبير بصيغة التفاعل في قراءة الجماعة وحمزة للدلالة على أن التمر يسقط منها، ومن حقه أن يكون منتفياً لأنها غير متأهلة لذلك، فهو ظاهر في أنه على وجه خارق للعادة، وقراءة الجماعة بالإدغام تشير مع ذلك إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفى كونه منها لبيسها وعدم إقنائها، وقراءة حمزة بالفتح والتخفيف تشير إلى سهولة تساقطه وكثرته، وقراءة حفص عن عاصم بالضم وكسر القاف من فاعل، تدل على الكثرة وأنه ظاهر في كونه من فعلها".⁽¹⁾

الجمع بين القراءات:

يتبين بالجمع بين القراءات أن الله أوحى إلى مريم عليها السلام أن تأخذ بالأسباب، وتهز النخلة ليسقط عليها بشدة وكثرة وتتابع رطباً ناضجاً طيباً، من نخلة لم تكن في ذلك الوقت من السنة مهياًة لتحمل هذا الثمر، وينضج بهذه السرعة ويتحول إلى طعام صالح للأكل والتغذية في حالتها تلك، وهي حالة النفاس. وفي ذلك تطمين لها وبيان لقدرة الله على الإيجاد من العدم، فالذي قدرَ على أن يُثمرَ جذع النخلة في الشتاء قدرَ على أن يحبلها من غير زوج.

يقول البيضاوي: " روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر، وكان الوقت شتاء، فهزتها فجعل الله تعالى لها رأساً وخصاً ورطباً. وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها، فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش، والمنبهة لمن رآها عليه على أن من قدر على أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر على أن يحبلها من غير فحل، وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام".⁽²⁾

(1) نظم الدرر (529/4).

(2) تفسير البيضاوي (12/4).

10- قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ

﴿ مريم .

القراءات:

1. قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (قول الحق) بنصب اللام.
2. قرأ الباقر (قول الحق) برفع اللام. (1)

البيان:

لفظة (الحق) للعلماء فيها وجهان:

الأول: أن المراد بالحق ضد الباطل، بمعنى الصدق والثبوت.
فعلى ذلك فقراءة (قول الحق) بنصب اللام: على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، وعامله محذوف تقديره: أقول قول الحق.
وعلى قراءة (قول الحق) برفع اللام: فهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو، أي: هو قول الحق، أو هذا الكلام قول الحق.

الثاني: أن المراد بالحق في الآية اسم من أسماء الله تعالى.
فعلى قراءة النصب يكون (قول الحق) منصوب على المدح، أي: أمدح قول الحق، أي: قول الله وكلمته الذي هو عيسى عليه السلام .
وعلى قراءة الرفع فهو بدل من عيسى، أو خبر بعد خبر، وعلى هذا الوجه فـ(قول الحق) هو (عيسى) لأنه بكلمة الله كان، وقد سماه الله تعالى كلمة. والقول والكلمة على هذا الوجه من التفسير بمعنى واحد. (2)

التفسير:

تتحدث هذه الآية عن علو شأن عيسى عليه السلام وثبوت بشريته وبنوته من مريم من غير أب، وبعده عما اختلف فيه النصارى واليهود ؛ حيث ادعى النصارى أنه ابن الله، أو هو الله ،

(1) انظر: النشر (239/2) ، الميسر (ص307).

(2) انظر: أضواء البيان (479/2) ، الكشاف (103/3) ، البحر المحيط (178/6) ، الكشف (89-88/2) ، الملخص في إعراب القرآن (ص243) ، المغني (11-10/3).

وادعت اليهود -عليهم لعنة الله- أنه ساحر كذاب.

يقول السعدي: " أي: ذلك الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق وكلام الله، الذي لا أصدق منه قبلاً، ولا أحسن منه حديثاً، فهذا الخبر اليقيني عن عيسى عليه السلام، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكاً من قائله لا علم له به، ولهذا قال: «الذي فيه يمترون» أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقولهم علواً كبيراً " (1).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أولاً: على اعتبار تفسير (الحق) بالصدق:

أفادت قراءة (قول الحق) أن الأخبار عن عيسى عليه السلام وبنوته للسيدة مريم عليها السلام وبالتالي ثبوت بشريته، وأنها ولدته من غير مس بشر؛ أخبار صادقة.

يقول أبو حيان: " أي: هذه الأخبار عن عيسى أنه ابن مريم ثابت صدق ليس منسوباً لغيرها، أي: إنها ولدته من غير مس بشر، كما تقول: هذا عبد الله الحق لا الباطل، أي: أقول الحق، وأقول قول الحق، فيكون الحق هنا الصدق " (2).

وأفادت قراءة (قول الحق) أن نسبة عيسى عليه السلام إلى أمه فقط قول الصدق، وما عدا ذلك فهو كذب وافتراء. وعلى ذلك فالقراءتان بمعنى واحد؛ وهي بشرية عيسى عليه السلام، وبنوته لمريم عليها السلام، لا ما ادعاه المغرضون.

يقول الرازي: " أن يكون قول الحق خبراً لمبتدأ محذوف كأنه قيل: ذلك عيسى بن مريم ووصفنا له هو قول الحق، فكأنه تعالى وصفه أولاً ثم ذكر أن هذا الموصوف هو عيسى ابن مريم، ثم ذكر أن هذا الوصف أجمع هو قول الحق على معنى أنه ثابت لا يجوز أن يبطل كما بطل ما يقع منهم من المرية، ويكون في معنى «إن هذا لهو حق اليقين» " (3).

ثانياً: على اعتبار تفسير (الحق) باسم الله تعالى:

فيفيد قوله (قول الحق) سواء بالرفع أو بالنصب أن الله سمي عيسى عليه السلام كلمة الله، وقول الله؛ لأن الله أوجده بكلمته التي قالها كن فكان. والقراءتان بمعنى واحد.

(1) تفسير السعدي (ص493). (2) البحر المحيط (6/178). (3) التفسير الكبير (21/218).

الجمع بين تفسيري القراءتين:

يتبين بالجمع بين تفسيري القراءتين أن الله ﷻ وصف عيسى عليه السلام بأنه أوجده بكلمته وقوله كن فكان، وأنه بشر وهو ابن مريم عليها السلام أوجده من غير بعل ، وأنه ليس بإله ولا ابن لله كما يفترى النصارى، وأن كل ما قاله الله بشأنه هو الحق، فيجب الالتزام به، وما دونه هو الباطل، فيجب الانتهاء عنه.

11- قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٢٥﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ ابن عامر (فيكون) بنصب النون.

2. قرأ الباقر (فيكونُ) برفع النون. (1)

البيان:

قراءة (فيكون) بنصب النون: على تقدير إضمار (أن) بعد الفاء الواقعة بعد حصر بـ(إنما).

جاء في المغني في توجيه القراءات : قال الأشموني(2): " قد تُضمَر (أن) بعد الفاء الواقعة بعد حصر بإنما اختياراً نحو: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ في قراءة مَنْ نَصَبَ " لأن (فيكون) ليس بجواب لـ(كن) ؛ لأن (كن) ليس بأمر، وإنما معناه الخبر، إذ ليس ثمّ مأمور يكون (كن) أمراً له.

قال الصبان(3) : " إنما لم يُجعل منصوباً في جواب (كن) لأنه ليس هناك قول (كن) حقيقة، بل هو كناية عن تعلق القدرة تنجزاً بوجود الشيء، ولِمَا سيأتي عن ابن هشام من أنه لا يجوز توافق الجواب والمجاب في الفعل والفاعل، بل لا بدّ من اختلافهما فيهما، أو في أحدهما، فلا يُقال: (قم تقم)، وبعضهم جعله منصوباً في جوابه نظراً إلى وجود الصيغة في هذه الصورة، ويردّه ما ذكرناه عن ابن هشام " . اهـ (4)

(1) انظر: النشر (166/2) ، المغني (178/1-179).

(2) انظر: شرح الأشموني على الألفية (229/3).

(3) حاشية الصبان على شرح الأشموني (229/3).

(4) انظر: المغني (178/1-179) باختصار وتصرف.

وقراءة (فيكون) برفع النون: على الاستئناف، أي: فهو يكون. (1)

التفسير:

بعدما أثبت سبحانه في الآية السابقة بشرية عيسى عليه السلام ، وأنه ليس ابناً لله، جاءت هذه الآية لتؤكد ذلك، ولتبطل الافتراء؛ لأن اتخاذ الولد في حق الله من النقائص التي يتنزه عنها جل جلاله ، لأنه سبحانه لا يعجزه شيء، فكيف يعجز عن خلق عيسى من غير أب؟!.

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره: لقد كفرت الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وأعظموا الفرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولداً، ولا يصلح ذلك له ولا يكون، بل كل شيء دونه فخلقه. و(أن) من قوله «أن يتخذ» في موضع رفع بـ(كان)، وقوله: «سبحانه» يقول: تنزيهاً لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله. وقوله: «إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون» يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداءً، وأنشأه إنشاءً من غير فعل افتحل أمه، ولكنه قال له كن فيكون لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول إذا قضى خلق شيء أو إنشأه: كن فيكون موجوداً حادثاً، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدة " . (2)

ويقول ابن عاشور: " وجملة «إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون» بيان لجملة «ما كان لله أن يتخذ من ولد» لإبطال شبهة النصارى إذ جعلوا تكوين الإنسان بأمر التكوين عن غير سبب معتاد على أن المكوّن ابن الله تعالى، فأشارت الآية إلى أن هذا يقتضي أن تكون أصول الموجودات أبناء لله، وإن كان ما يقتضيه لا يخرج عن الخضوع إلى أمر التكوين " . (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

تعرض الباحث عبد الله الملاحي لهذه القراءة في بحثه عند تفسير قوله تعالى «بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» من سورة البقرة، وبيّن العلاقة التفسيرية بين القراءتين قائلاً: " إن لاختلاف القراءات (فيكون) و (فيكون) أثر كبير على المعنى من الناحية العقدية؛ من حيث بيان أن الأمر الإلهي لا يحتاج إلى مهلة لتحقيقه، بل يتحقق بمجرد توجه الإرادة الإلهية إليه بحيث يعامل معاملة الخبر. وبيان ذلك أن قراءة (فيكون) توحى بأن

(1) انظر: حجة القراءات (ص111) ، معاني القراءات (ص61).

(2) انظر: تفسير الطبري (64/16).

(3) التحرير والتنوير (103/16).

الأمر في قوله (كن) حقيقي يحتاج إلى جواب. ولكن بالنظر إلى قراءة الجمهور (فيكون) يتحقق لدينا أن الأمر ليس حقيقياً، بل هو أمر في صورة الخبر، قال الطاهر ابن عاشور⁽¹⁾: (كان) في الآية تامة لا تطلب خبراً، أي: يقول له اوجد فيوجد، والظاهر أن القول والمقول والمسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات عند تعلق الإرادة والقدرة بهما، بأن شبه فعل الله تعالى بتكوين شيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهلة توجه الأمر للمأمور بكلمة الأمر، وحصول امتثاله عقب ذلك لأن تلك أقرب الحالات المتعارفة التي يمكن التقريب بها في الأمور التي لا تتسع اللغة للتعبير عنها " اهـ (2)

12- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

مريم.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس (وَأَنَّ) بفتح الهمزة.
2. قرأ الباقون (وَأِنَّ) بكسر الهمزة. (3)

البيان:

قراءة (إِنَّ) بكسر الهمزة: على الاستئناف، لأنها رأس آية، أو عطف على قوله تعالى ﴿قال إني عبد الله﴾.

وقراءة (أَنَّ) بفتح الهمزة: على وجهين:

الأول: أنها مجرورة بلام محذوفة، والجار والمجرور متعلق بالفعل بعده (فاعبدوه)، والتقدير: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

الثاني: أنها عطف على (وأوصاني بالصلاة)، والتقدير: وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم فاعبدوه. (4)

(1) التحرير والتنوير (1/687-688).

(2) تفسير القرآن بالقراءات (رسالة ماجستير) / عبد الله الملاحي (ص100).

(3) انظر: النشر (2/239).

(4) انظر: الكشف (2/89)، الدر (4/506)، الفريد (3/401)، معاني القراءات (ص284)، الحجة في القراءات السبع

(ص142)، حجة القراءات (ص444)، المغني (3/11)، المستنير (2/11-12).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن عبودية عيسى عليه السلام لله كغيره من الخلق، ووصيته لقومه بإخلاص العبادة لله لأنه ربه وربهم ، وهذا هو الطريق الحق الذي يجب عليهم أن يسلكوه.

يقول السعدي: " أخبر عيسى أنه عبد مربوب كغيره، فقال: ﴿وإن الله ربي وربكم﴾ الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره، وصرفنا تقديره ﴿فاعبدوه﴾ أي: أخلصوا له العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني، ولهذا قال: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا فإنه من طرق الغيِّ والضلال " . (1)

ويقول البقاعي: " ولما كان اشتراك الخلائق في عبادة الخالق بعمل القلب والجوارح علماً وعملاً أعدل الأشياء، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿هذا﴾ أي الذي أمرتكم به ﴿صراط مستقيم﴾ لأننا بذلنا الحق لأهله بالاعتقاد الحق والعمل الصالح، ولم يتفضل أحد منا فيه على صاحبه " . (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (وإنَّ) بكسر الهمزة: أن هذا القول من جملة أقوال عيسى عليه السلام التي خاطب بها قومه وهو رضيع ليؤكد على عبوديته لله.

يقول ابن كثير: " ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده؛ أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربهم، وأمرهم بعبادته، فقال ﴿فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ أي: هذا الذي جئتمكم به عن الله صراط مستقيم، أي: قويم، من اتبعه رشد وهدى، ومن خالفه ضل وغوى " . (3)

ويقول البقاعي: " وقراءة الباقيين بالكسر على أنه مقول عيسى عليه السلام في الماضي، ويكون اعتراض ما تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد والاهتمام " . (4)

أما قراءة (وأنَّ) بالفتح فأفادت: تعليل أمر عيسى عليه السلام لقومه بعبادة الله وذلك لأنه ربه وربهم، فوجب عليهم عبادته.

يقول البقاعي: " ولما كان لسان الحال ناطقاً عن عيسى عليه السلام بأن يقول: وقد قضاني الله

(1) تفسير السعدي (ص493).

(2) نظم الدرر (533/4).

(3) تفسير ابن كثير (237/5).

(4) نظم الدرر (533/4).

فكنت كما أريد، فأنا عبد الله ورسوله، فاعتقدوا ذلك ولا تعتقدوا سواه من الأباطيل، عطف عليه في قراءة الحرمين⁽¹⁾ وأبي عمرو قوله: «وأن الله» أي: الذي له الأمر كله «ربي وربكم» أي: أحسن إلى كل منا بالخلق والرزق، لا فرق بيننا في أصل ذلك «فاعبدوه» وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده " . (2)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن عيسى عليه السلام خاطب قومه وهو في مهده ليعلم عبوديته لله، وأن الله هو ربه وربهم المنعم عليهم المتصرف في خلقه، الذي له الأمر كله، لذلك وجب عليهم عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه.

13- قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾

مريم.

القراءات:

1. قرأ يعقوب (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم.
2. قرأ الباقر (يُرْجَعُونَ) بضم الياء وفتح الجيم. (3)

اللغة والبيان:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله، ومن الرجوع قوله تعالى ﴿ثم إليه ترجعون﴾ {البقرة: 28}.

والرجع: الإعادة، والرجعة، والرجعة في الطلاق، وفي العود إلى الدنيا بعد الممات. مثل قوله تعالى ﴿وانتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ {البقرة: 281}. لذلك يصح أن يكون قوله: (يرجعون) من الرجع أو الرجوع. (4)

قراءة (يرجعون) بالفتح: على البناء للفاعل، وهو فعل مضارع من (رجع) اللزم.

(1) المقصود هما: نافع المدني، وابن كثير المكي.

(2) نظم الدرر (533/4).

(3) انظر: النشر (157/2) ، الميسر (ص308) ، الإتحاف (ص378).

(4) انظر: مفردات الراغب (ص212-213) مادة: رجع.

وقراءة (يُرْجَعُونَ) بالضم: على البناء للمفعول، وهو فعل مضارع من (رجع) المتعدي.
لأن (رجع) يكون لازماً ومتعدياً.⁽¹⁾

التفسير:

الآية الكريمة تهوين وتسلية للنبي ﷺ لما أصابه من تكذيب المشركين له وإنكارهم للبعث، وبيان أنه ﷺ الخالق المالك المتصرف، وأن الخلق يهلكون ويبقى هو ﷺ، وأن الذي خلقهم سيبعثهم بعد فناء الأرض، وسيعيدهم وغيرهم من مخلوقاته إليه يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم.

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائنا لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته ".⁽²⁾

ويقول البقاعي: " ولما كان الإرث هو حوز الشيء بعد موت أهله، وكان سبحانه قد قضى بموت الخلائق أجمعين، وأنه يبقى وحده، عبر عن ذلك بالإرث مقررًا به مضمون الكلام السابق، فقال مؤكداً تكذيباً لقولهم: إن الدهر لا يزال هكذا، حياة لقوم وموت لآخرين «إنا نحن» بعظمتنا التي اقتضت ذلك ولا بد، وأفاد الأصبهاني أن تأكيد اسم (إن) أفاد أن الإسناد إليه سبحانه لا إلى أحد من جنده «نرث الأرض» فلا ندع بها عامراً من عاقل ولا غيره. ولما كان العاقل أقوى من غيره، صرح به بعد دخوله فقال «ومن عليها» أي: من العقلاء، بأن نسلبهم جميع ما في أيديهم «وإلينا» لا إلى غيرنا من الدنيا وجبايرتها إلى غير ذلك «يرجعون» معنى في الدنيا وحسباً بعد الموت ".⁽³⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (يُرْجَعُونَ) إلى وجود قوة خارجة عن الإرادة تدفع بالرجوع إلى الله، وأن الأمر ليس بالإرادة الذاتية، أما قراءة (يَرْجَعُونَ) فأفادت الرغبة والإرادة في الرجوع إلى الله دون التدخل والإجبار في ذلك.

(1) انظر: المغني (1/131).

(2) تفسير الطبري (16/67).

(3) نظم الدرر (4/535).

قال أبو حيان: " لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه، إذ قد يرجع بنفسه من غير رادّ " . (1)

وقد بيّن الشعراوي مَن المقصود في القراءتين على النحو الآتي:

أن المقصود من قراءة البناء للمفعول هم الكفار لأنهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله، لذلك جاء بصيغة الإيجاب. أما قراءة البناء للفاعل فهي تنطبق على المؤمنين لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله. لذلك جاء بصيغة الرغبة والإرادة. (2)

ويقول ابن عاشور: " وقراءة الضم على اعتبار أن الله أرجعهم وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث. والقراءة الثانية باعتبار وقوع الرجوع منهم بقطع النظر عن الاختيار أو الجبر ". (3)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين على هذا التفسير أن الجميع من مؤمن وكافر سيعود إلى الله سواء أحب لقاء الله أم كره ذلك؛ ليحاسبه على عمله يوم القيامة، سواء رجع إلى الله مختاراً راعياً لإيمانه في الله ويقينه في عدل الله، أم رجع مجبراً لكفره بالبعث. وقد يحتمل لفظ (يرجعون) الرجوع يوم القيامة ويكون رجوعاً حسياً أي: بالبعث بعد الموت. وقد يُقصد به الرجوع في الدنيا، ويكون هذا الرجوع معنوياً، أي: رجوع من الكفر إلى الإيمان.

وقد أشار البقاعي إلى هذا المعنى في كلامه السابق، ولكنه فصله لاحقاً بقوله: " ولما ذم الضالين في أمر المسيح، وعلق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث، وغيرهم بأنهم لسوء أعمالهم كالمكذبين به، وختم ذلك بأنه الوارث وأن الرجوع إليه، ودخل في ذلك الإرث بغلبة أنبيائه وأتباعهم على أكثر أهل الأرض برجوع أهل الأديان الباطلة إليهم حتى يعم ذلك جميع أهل الأرض في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ". (4)

وعلى ذلك يكون المقصود بقراءة المبني للمفعول الرجوع يوم القيامة، والمبني للفاعل الرجوع في الدنيا. والله تعالى أعلم.

(1) البحر المحيط (278/1) عند تفسيره للآية (28) من سورة البقرة.

(2) انظر: تفسير الشعراوي (231/1) عند تفسيره للآية (28) من سورة البقرة. **تنبيه:** الآية (28) من سورة البقرة تم تفسيرها من قبل الأستاذ عبد الله الملاحي في رسالته {انظر: تفسير القرآن بالقراءات ص70(رسالة ماجستير)} .

(3) انظر: التحرير والتنوير (377/1) عند تفسير الآية (28) من سورة البقرة. (4) نظم الدرر (535/4).

14- قال تعالى: ﴿وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾

مريم .

القراءات:

1. قرأ ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان (إبراهيم) بفتح الهاء وألف بعدها.
2. قرأ الباقر (إبراهيم) بكسر الهاء وياء بعدها، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان. (1)
1. قرأ نافع (نبيئاً).
2. قرأ الباقر (نبياً). (2)

البيان:

- (إبراهيم) و (إبراهيم): هما لغتان بمعنى واحد. (3)
- قال الأزهرى: " القراءة بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ (إبراهام) فهي لغة عبرانية تركت على حالها ولم تعرّب " . (4)
- (نبيئاً): سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية الخامسة والخمسين من سورة الإسراء. (5)

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن أمر الله لنبيه الكريم ﷺ أن يذكر خبر إبراهيم ﷺ مع أبيه وقومه لأولئك المشركين الذين يعلمون أنهم من ذريته، ويدعون أنهم على ملته، أنه كان نبياً مرسلًا من عند الله، عالي القدر، بليغ الصدق في أقواله وأفعاله، فعليهم أن يقتدوا به ، لا أن ينكروا رسالة محمد لأنه نبي مثله.

يقول البقاعي: " واذكر يا محمد في الكتاب الذي أنزل عليك وتبلغه للناس، وتعلمهم أن هذه القصة من القرآن، وأن إبراهيم أعظم آبائكم الذي نهى أباه عن الشرك يا من يكفرون تقليدًا للآباء! ثم علل تشريفه بذكره له على سبيل التأكيد المعنوي بالاعتراض بين البديل والمبدل منه،

(1) انظر: النشر (166/2-167) ، المغني (191/1).

(2) انظر حجة القراءات(99/1) ، وانظر إتخاف فضلاء البشر(ص180) في موضع الآية {164}من سورة البقرة.

(3) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (263/1).

(4) معاني القراءات (ص63).

(5) انظر: ص101 من هذا البحث.

واللفظي بـ(إن) بقوله منبهاً على أن مخالفتهم له بالشرك والاستقسام بالأزلام، ونحو ذلك تكذيب بأوصافه الحسنة: ﴿إنه كان﴾ أي: جبلة وطبعاً ﴿صديقاً﴾ أي: بليغ الصدق في نفسه في أقواله وأفعاله، والتصديق بكل ما يأتيه مما هو أهل لأن يصدق لأنه مجبول على ذلك، ولا يكون كذلك إلا وهو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص ﴿نبياً﴾ أي: يخبره الله بالأخبار العظيمة جداً التي يرتفع بها في الدارين، وهو أعظم الأنبياء بعد محمد - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام- وإن كانوا مقرين بنبواتهم تنزيلاً لهم منزلة المنكر، لجريهم في إنكارهم نبوة البشر على غير مقتضى علمهم " . (1)

15- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ﴿٤٣﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ أبو جعفر وابن عامر (يا أبتِ) بفتح التاء في المواضع الأربعة من السورة.
2. قرأ الباقر (يا أبتِ) بكسر التاء في المواضع الأربعة من السورة. (2)
3. قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يا أبه) بالهاء عند الوقف.
4. قرأ الباقر (يا أبتِ) بالتاء عند الوقف. (3)

البيان:

قراءة (يا أبتِ) بفتح التاء: على اعتبار أن الفتحة عوض عن الألف المحذوفة المبدلة من ياء الإضافة؛ فأصل المنادى: (يا أبتا) بعد الإبدال.

أما قراءة (يا أبتِ) بكسر التاء: على اعتبار أن الكسرة عوض عن الياء المحذوفة من المنادى (يا أبتي). (4)

ويقول البقاعي: " (يا أبتِ) تاؤه للتأنيث ؛ لأنه يوقف عليها عند بعض القراء بالهاء،

(1) انظر: نظم الدرر (536/4). ببعض التصرف.

(2) انظر: النشر (220/2). عند ذكر القراءات الواردة في سورة يوسف.

(3) انظر: النشر (98/2) باب الوقف على مرسوم الخط.

(4) انظر: حجة القراءات (353-354/1) ، الكشف عن وجوه القراءات (3/2).

وكسرتها عند مَنْ كَسَرَ دالة على ياء الإضافة التي عوض عنها تاء التأنيث، واجتماع الكسرة معها كاجتماعها مع الياء، وفتحها عند من فتح عوض عن الألف القائمة مقام ياء الإضافة " . (1)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن نصيحة إبراهيم عليه السلام لأبيه بترك عبادة الأوثان، بلطف وأدب جم، ثم بيان سبب عدم أهليتها للعبادة.

يقول الزمخشري: " حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللفظ، والرفق واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن " . (2)

ويقول الألوسي: " لقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، واحتج عليه أبداع احتجاج بحسن أدب وخلق ليس له مِنْ هَاجٍ؛ لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد؛ حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل، ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحقق إلا لمن له الاستغناء التام، والإنعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب. ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميّزاً سميعاً بصيراً قادراً على النفع والضرر لكن كان ممكناً لاستتكف ذو العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر " . (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تنوع القراءات في (يا أبت) يدل على تنوع أسلوب الخطاب الذي انتهجه إبراهيم عليه السلام في إسداء النصيحة إلى والده، وفي تنوع الحالة النفسية التي كان عليها في أثناء خطابه لوالده، وبيان ذلك التالي: قراءة (يا أبت) بالكسر أفادت شدة استعطاف إبراهيم عليه السلام لأبيه في مخاطبته؛ لما تفيد الكسرة من الضعف.

(1) تفسير نظم الدرر للبقاعي (10/4) عند تفسير الآية (4) من سورة يوسف.

(2) تفسير الكشاف (106/3-107).

(3) روح المعاني (97/16).

وأفادت قراءة (يا أبت) شدة تضايق إبراهيم عليه السلام من حالة والده المنحرفة عن الصراط السوي؛ لما تفيد الألف المحذوفة التي عوض عنها بالفتحة من مد في الخطاب.

16- قال تعالى: ﴿وَأذْكَرٌ فِي أَلْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ

رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥١﴾ مريم .

القراءات:

1. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف (مُخْلِصًا).

2. قرأ الباقر (مُخْلِصًا) بكسر اللام. (1)

اللغة:

الإخلاص: هو القصد في العبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده (2)، أي: التبري عن كل ما دون الله تعالى. (3)

(مُخْلِصًا): أي: أخلصه الله للعبادة والنبوة.

(مُخْلِصًا): أي: أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله. (4)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفات موسى عليه السلام التي هيأته لاجتباء الله له وتحمله للرسالة.

يقول الشوكاني: " قفى سبحانه قصة إبراهيم بقصة موسى لأنه تلوه في الشرف. وقدمه

على إسماعيل لئلا يفصل بينه وبين ذكر يعقوب، أي: وقرأ عليهم من القرآن قصة موسى عليه السلام إنه

كان مخلصاً، قرأ أهل الكوفة بفتح اللام أي: جعلناه مختاراً وأخلصناه، وقرأ الباقر بكسرها

(1) انظر: النشر (221/2).

(2) التفسير الكبير (232/21).

(3) مفردات الراغب (ص174) مادة: خلص.

(4) البحر المحيط (187/6). وانظر: مجمع البيان (400/6)، حجة القراءات (ص444-445)، الملخص (ص246)، الفريد

(404/3).

أي: أخلص العبادة والتوحيد لله غير مرأى للعباد ﴿إنه كان رسولاً نبياً﴾ أي: أرسله الله إلى عباده فأنبأهم عن الله بشرائعه التي شرعها لهم، فهذا وجه ذكر النبي بعد الرسول مع استلزام الرسالة للنبوّة، فكأنه أراد بالرسول معناه اللغوي لا الشرعي، والله أعلم . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مخلصاً): أن موسى ﷺ أخلص العبادة والتوحيد لله فلم يُشرك ولم يرأى في عبادته. وأسلم وجهه لله.

وأفادت قراءة (مخلصاً): أن الله ﷻ استخلص موسى ﷺ واصطفاه للعبادة والنبوّة .

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن موسى ﷺ أخلص الطاعة والعبادة لله ﷻ مما جعله مؤهلاً للاختيار والاصطفاء من الله ﷻ ليكون رسولاً نبياً . فالقراءتان تكمل إحداهما الأخرى.

يقول السعدي: " والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه، وأجل حالة يوصف بها العبد: الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه" . (2)

17- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ مريم .

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي (وَبُكِيًّا) بكسر الباء.

2. قرأ الباقون (وَبُكِيًّا) بضم الباء. (3)

البيان:

بُكِيًّا: جمع (باك)، على وزن (فُعُول) جمع فاعل، وهو يأتي لأن فعله بكى بيكي، فأصله:

(1) فتح القدير (423/3).

(2) تفسير السعدي (ص495).

(3) انظر: المغني (12/3-13).

بُكُوِيٍّ، فلما اجتمع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وحُرِّكت عين الكلمة بحركة مناسبة للياء.⁽¹⁾، أما بِكِيًّا: فكُسِرَ الحرف الثاني لمناسبة الياء وكُسِرَ الحرف الأول تبعاً لكسر الحرف الثاني ليعمل اللسان فيهما عملاً واحداً.⁽²⁾ و(بِكِيًّا): منصوب على الحال من الضمير في (خروا).⁽³⁾

التفسير:

بعد أن أتى الله على كل رسول من رسله العشرة بما يخصه، جمعهم آخرأ بصفة واحدة: هي الإنعام عليهم بالنبوة، والهداية إلى طريق الخير، والاصطفاء من سائر خلقه. قال ابن كثير⁽⁴⁾: ليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط، بل جنس الأنبياء عليهم السلام، استطراد من ذكر الأشخاص إلى الجنس.⁽⁵⁾

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتضت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذرية آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتنبينا: يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح، وقوله تعالى ذكره: ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ﴾ يقول: إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خروا لله سجداً، استكانة وتذلاً وخضوعاً لأمره وانقياداً، ﴿وَبِكِيًّا﴾ يقول: خروا سجداً وهم باكون، والبكي جمع باك، كما العني جمع عات " .⁽⁶⁾

(1) انظر: التحرير والتنوير (133/16) ، حجة القراءات (ص439) ، مشكل إعراب القرآن لمكي (2/456-457) ، المغني (13-12/3) ، الفريد (406/3).

(2) انظر: حجة القراءات (ص439) ، مشكل إعراب القرآن لمكي (2/457) ، المغني (3/12-13) ، الملخص (ص248).

(3) الفريد (406/3) . وانظر: معاني القرآن للزجاج (3/335) ، الملخص (ص248).

(4) تفسير ابن كثير (5/249).

(5) التفسير المنير (16/127).

(6) تفسير الطبري (16/73).

ويقول البقاعي: " ولما ذكر ما حباهم به، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال مستأنفاً ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ﴾ العام النعمة، فكيف بهم إذا أعلاهم جلال أو خصتهم رحمة من جلائل النعم، من فيض الجود والكرم، فسمعوا خصوص هذا القرآن ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ للمنعم عليهم تقريباً إليه، لما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه إليهم ﴿وَبِكْيَا﴾ خوفاً منه وشوقاً إليه، فوصفهم بسرعة الخشوع من ذكر الله الناشئ عن دوام الخضوع والناشئ عنه الإسراع في السجود في حالة البكاء، وجعلهما حالتين بالعطف بالواو لعراقة المتحلي بهما في كل منهما على انفراده، وعبر بالاسم في كل من السجود والبكاء، إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل، لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلاً". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (بُكْيَا): شدة بكائهم وخوفهم الدائم من الله لما تفيده الضمة من القوة والمبالغة. وأفادت قراءة (بِكْيَا): سهولة بكائهم وخضوعهم لله مع تذللهم وانكسارهم أمام جلاله سبحانه. وذلك لما تفيده الكسرة من الضعف وسهولة الخروج.

الجمع بين القراءتين:

كل قراءة من القراءتين بينت جانباً من حال أولئك الأنبياء والصالحين، وبالجمع بينهما تكون الصورة قد اكتملت في بيان تلك الحال؛ فهم إذا تليت عليهم آيات الله أسرعوا بالسجود لله شكراً على نعمائه، وعيونهم تفيض من الدمع تذلاً وخضوعاً له وخشية منه سبحانه وانكساراً أمامه، دائمي البكاء والتذلل له جل في علاه.

18- قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ﴿٥٤﴾ مريم .

القراءات:

1. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر ويعقوب (يَدْخُلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء على البناء للمفعول.
2. قرأ الباقر (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء على البناء للفاعل. (2)

البيان:

(يَدْخُلُونَ): أُضيف الفعل إلى الداخلين لأنهم هم الداخلون بأمر الله لهم.

(يُدْخَلُونَ): أُضيف الفعل إلى الغير؛ لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله إياها.⁽¹⁾

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن بشرى الله للعائدين إليه المخلصين في توبتهم وإنابتهم إليه؛ حيث بشرهم بالجنة الدائمة، وتكفير لذنوبهم، وعدل وتمام في ثوابهم وجزاء أعمالهم.

يقول ابن كثير: " أي: إلا من رجع عن ترك الصلاة واتباع الشهوات، فإن الله يتقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من ورثة جنة النعيم. ولهذا قال: ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها وفي الحديث الآخر: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)⁽²⁾ ولهذا لا يُنْقَصُ هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئاً، ولا قوبلوا بما عملوه قبلها فيُنْقَصَ لهم مما عملوه بعدها؛ لأن ذلك ذهب هدرًا وتُرك نسيًا، وذهب مجاناً من كرم الكريم وحلم الحليم، وهذا الاستثناء هاهنا كقوله في سورة الفرقان ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ يَضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الفرقان {68-70} ⁽³⁾

ويقول ابن عاشور: " وذكر (شيئاً) في سياق النفي يفيد نفي كل فرد من أفراد النقص والإجحاف والإبطاء، فيعلم انتفاء النقص القوي بالفحوى دفعاً لما عسى أن يخالج نفوسهم من الانكسار بعد الإيمان بظن أن سبق الكفر يحط من حسن مصيرهم " .⁽⁴⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءتان متداخلتان، لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها، فهم داخلون مُدْخَلُونَ.⁽⁵⁾

(1) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (397/1) في موضع الآية (69) من سورة النساء.

(2) أخرجه ابن ماجة (1419/2-1420) كتاب: الزهد. باب: ذكر التوبة. حديث رقم (4250) من طريق معمر عن عبد الكريم عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه...به. والبيهقي في سننه (154/10). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (200/10) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ. وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

(3) تفسير ابن كثير (253/5).

(5) الكشف (398/1).

(4) التحرير والتنوير (136/16).

19- قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾

مريم.

القرءات:

1. قرأ رويس (نُورِثُ) بفتح الواو وتشديد الراء، مضارع (ورث) مضعف العين.
2. قرأ الباقر (نُورِثُ) بالإسكان والتخفيف، مضارع (أورث) معداً بالهمزة. (1)

البيان:

ورث: قال ابن فارس (2): الواو والراء والياء كلمة واحدة هي: الورث... وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب. (3)

تقول الدكتورة نجاه الكوفي: " والفعل الثلاثي (ورث) يتعدى بنفسه إلى المورث والموروث، نحو: ورث سليمان داود، ورث مالاً. ويأتي الفعل مزيداً بالتضعيف، يقال: ورثته بمعنى أدخله في ماله على ورثته، أي أن الفعل المضعف يتعدى إلى من يرث من غير الورثة الشرعيين. وتُراد الهمزة فيتعدى الفعل إلى الوارث والموروث، نحو: أورثه مالاً أو علماً، ونحو ذلك " (4).

وتفرّق بين صيغتي (أفعل) و (فعل) فنقول: والمعروف أن التكثير هو أشهر معاني (فعل)، كما أن التعدية هي أشهر معاني (أفعل) ولو كان اشتراكهما في هذا المعنى بلا مفاضلة لوقع الاختيار على (أفعل) لأن دلالتها على التعدية قياس مطرد، وظني أن الصيغتين بينهما فروق يقوم عليها الاختيار، فصيغة (فعل) تفيد التعدية مع ملحظ الدلالة على التكثير الذي هو أصل فيها (5).

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن استحقاق أهل التقوى للجنة التي وصف أحوالها في الآيات السابقة ودوامها لهم كالميراث.

(1) انظر: النشر (239/2) ، المغني (13/3).

(2) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، أبو الحسين، كان إماماً في علوم شتى خصوصاً في اللغة، من كتبه: المجمل في اللغة، معجم مقاييس اللغة. توفي بالري سنة 390هـ. { انظر: شذرات الذهب (131/2) } .

(3) انظر: معجم المقاييس (ص1089) باب الواو والراء وما يتلثهما.

(4) أبنية الأفعال (ص142). (5) المرجع السابق (ص 51).

يقول الألويسي: " ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ استئناف جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها، فاسم الإشارة مبتدأ و(الجنة) خبر له، والموصول صفة لها، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف، أي: نورثها " (1).

ويقول البيضاوي: " نبقها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقي على الوارث مال مورثه، والورثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد وإسقاط، وقيل: يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة في كرامتهم " (2).

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (نُورِثُ): التكثر والزيادة في ميراث المتقين؛ بحيث يثيبهم الله بالجنة التي هي مستحقهم، بالإضافة إلى الجنة التي كانت ستكون مستحقة لأهل النار إن آمنوا في الدنيا، وذلك زيادة في كرامة المتقين.

يقول الشنقيطي: " وقال بعض أهل العلم: معنى إيراثهم الجنة أن الله تعالى خلق لكل نفس منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، فإذا دخل أهل الجنة الجنة أراهم منازلهم في النار لو كفروا وعصوا الله ليزداد سرورهم وغبطتهم، وعند ذلك يقولون ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ الأعراف {43} الآية. وكذلك يرى أهل النار منازلهم في الجنة لو آمنوا واتقوا الله لتزداد ندامتهم وحسرتهم، وعند ذلك يقول الواحد منهم ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ الزمر {57}. ثم إنه تعالى يجعل منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، ومنازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة فيرثون منازل أهل النار في الجنة... قد جاء حديث يدل لما ذكر من أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب، لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، كما قد قال تعالى ﴿ وَنُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف {43} ونحوها من الآيات. ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار والواقع بخلاف ذلك كما ترى. والحديث المذكور هو ما رواه الإمام أحمد في المسند (3)،

(1) روح المعاني (112/16).

(2) تفسير البيضاوي (24/4).

(3) انظر: مسند أحمد (512/2) حديث رقم (10660).

والحاكم في المستدرك⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة (كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لولا أن الله هداني فيكون له شكر. وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لولا أن الله هداني فيكون عليه حسرة) .⁽²⁾

والباحثة تخالف ما ذهب إليه الشنقيطي في هذا الاستنتاج، نعم أهل الجنة يرثون منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، وهذا لا يمنع أن يزيدهم الله من فضله بوراثة منازل الكفار التي أعدت في الجنة لهم لو آمنوا ولكن حرّموا منها بسبب كفرهم، وأضيفت إلى ميراث المتقين لاستحقاقهم إياها زيادة في تكريمهم. وهذا من باب التعدية والتكثير كما أشارت إليه هذه القراءة. أما قراءة (نُورِثُ) فقد أفادت استحقاق المتقين للجنة كاستحقاق الوارث لميراثه.

يقول أبو حيان: " والتوريث استعارة أي: نبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث، والأتقياء يلقون ربهم قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فقد أورثهم من تقواهم، كما يورث الوارث المال من المتوفي ".⁽³⁾

الجمع بين القراءتين:

بينت كل من القراءتين ثواب المتقين باستحقاقهم للجنة، ولكن قراءة التشديد أضافت زيادة كرامة المتقين بحيث أنهم لا يستحقون الجنة ثواباً لأعمالهم فحسب بل يزيدهم الله من فضله بأن يمتعهم بمنازل الكفار في الجنة لو أنهم آمنوا، وهذه زيادة بينتها هذه القراءة.

وعليه فقد فصلت قراءة التشديد الثواب الذي أجملته القراءة الأخرى.

(1) انظر: مستدرك الحاكم (473/2) كتاب التفسير، تفسير سورة الزمر، حديث رقم (3629) وقال الحاكم فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح. {انظر: مجمع الزوائد (399/10)}.

(2) أضواء البيان (513/2).

(3) البحر المحيط (191/6).

20- قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْدَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ﴿٦٦﴾

مريم.

القراءات:

1. قرأ ابن ذكوان بخلف عنه (إذا) بهمزة واحدة على الخبر.
2. قرأ الباقرن (أنذا) بهمزتين على الاستفهام، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان. (1)
1. قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف (مِتُّ) بكسر الميم.
2. قرأ الباقرن (مِتُّ) بضم الميم. (2)

البيان:

قراءة (إذا ما مت) على الخبر الذي يفيد التهكم والاستهزاء.
وقراءة (أنذا ما مت) على الاستفهام الذي يفيد الإنكار. (3)

سبب نزول الآية:

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية يفتها بيده ويقول:
زعم لكم محمد أنا نبعت بعد ما نموت. (4)

التفسير:

تحدث الآية الكريمة عن أنكر البعث وتبين مقالته التي قالها في ذلك.

يقول ابن عاشور: " لما تضمن قوله ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ مريم {65} إبطال عقيدة الإشراف به ناسب الانتقال إلى إبطال أثر من آثار الشرك، وهو نفي المشركين وقوع البعث بعد الموت حتى يتم انتقاص أصلي الكفر. فالواو عاطفة قصة على قصة، والإيتان بفعل (يقول) مضارعاً لاستحضار حالة هذا القول للتعجيب من قائله تعجيب إنكار. والمراد بالإنسان جمع من الناس، بقرينة قوله بعده ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ فيراد من كانت هاته مقالته وهم معظم المخاطبين

(1) انظر: النشر (289/1).

(2) تم التعرض لهذا الموضوع عند تفسير الآية (23) من السورة صفحة (266) فانظره. لذلك سيتم تناول الموضوع الأول فقط عند تفسير هذه الآية.

(3) انظر: الكشف عن وجوه القراءات (90/2) ، معاني القراءات (ص285).

(4) أسباب النزول للواحد (ص231).

بالقرآن من أول نزوله... وقيل تعريف (الإنسان) للعهد لإنسان معين. فقيل قائل هذا أبي بن خلف، وقيل: الوليد بن المغيرة. (1)

ويقول السعدي: " المراد بالإنسان ها هنا كل منكر للبعث، مستبعداً لوقوعه، فيقول مستقهماً على وجه النفي والعناد والكفر ﴿إِذَا مَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا﴾ أي: كيف يعيدني الله حياً بعد الموت، وبعد ما كنت رميمًا؟! هذا لا يكون ولا يتصور، وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء، وعناده لرسول الله وكتبه، فلو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل لرأى استبعاده للبعث في غاية السخافة ". (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (أذا ما مت) إنكار الكافر لتحقيق البعث والجدد به عن طريق الاستفهام. وأفادت قراءة (إذا ما مت) الإخبار من الكافر على سبيل السخرية والاستهزاء بمن يقول بالبعث. يقول أبو حيان: " هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والإنكار، ومن قرأ (إذا ما) أن تكون حذفتم الهمزة لدلالة المعنى عليه، وإما أن يكون إخباراً على سبيل الهزاء والسخرية بمن يقول ذلك، إذ لم يرد به مطابقة اللفظ للمعنى ". (3)

الجمع بين القراءتين:

القراءتان سواء بالاستفهام أو الإخبار كلاهما تفيد المعنى نفسه وهو: الاستهزاء والسخرية الشديدة من قبل الكافر المنكر للبعث من قضية البعث وممن يقول بها.

21- قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ

شَيْئًا ﴿٧٧﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ نافع وابن عامر وعاصم (يَذْكُرُ) بتخفيف الذال والكاف مع ضم الكاف.
2. قرأ الباقر (يَذْكُرُ) بتشديدهما وفتح الكاف. (4)

(2) تفسير السعدي (ص498).

(4) انظر: النشر (2/239).

(1) انظر: التحرير والتنوير (16/144).

(3) البحر المحيط (6/195).

البيان:

قراءة (يَذْكُرُ) بالتخفيف هي من الذكر الذي يكون عقب النسيان والغفلة.⁽¹⁾ وقيل هي من ذكر يذكر، أي: أولاً يعلم، أولاً ينتبه، والحجة في ذلك قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ المدثر {54-55} .⁽²⁾ وحيث إن السياق سياق محاجة وأدلة على البعث، يترجح أن يكون معنى (يذكر) الانتباه، أي: أولاً يعلم، أولاً ينتبه من غفلته.

أما قراءة (يَذْكُرُ) بالتشديد فهي من التذكر الذي هو بمعنى التدبر والتفكر، فأصله (يتذكر) ثم أدغمت التاء في الذال. كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر {9} .⁽³⁾

التفسير:

هذه الآية رد على من أنكر قضية البعث، وقدرة الله على الإعادة، وفيها أقام الله الدليل على صحة البعث.

يقول الشنقيطي: " أيقول الإنسان مقالته هذه في إنكار البعث، ولا يذكر أنا أوجدناه الإيجاد الأول ولم يكن شيئاً، بل كان عدماً فأوجدناه، وإيجادنا له المرة الأولى دليل قاطع على قدرتنا على إيجاده بالبعث مرة أخرى " .⁽⁴⁾

ويقول أبو السعود: " «أولاً يذكر الإنسان» من الذكر الذي يراد به التفكير، والإظهار في موقع الإضمار⁽⁵⁾ لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شئون التكوين المنحية بالقلع عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلى الجنس، أو إلى الفرد، وبذلك العنوان، والهمزة للإنكار التوبيخي، والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه (يقول)، أي: يقول ذلك ولا يذكر «أنا خلقناه من قبل» أي: من قبل الحالة التي هو فيها، وهي حالة بقائه «ولم يك شيئاً» أي: والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً، فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع، فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة، وإيجاد مثل ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر، فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير " .⁽⁶⁾

(1) انظر: الكشف (90/2).

(2) انظر: حجة القراءات (ص445).

(3) انظر: الكشف (90/2) ، حجة القراءات (ص445-446).

(4) أضواء البيان (514/2).

(5) يقصد بذلك إظهار لفظ (الإنسان) فلم يقل: أولاً يذكر أنا خلقناه؛ وذلك للسبب الذي بينه المفسر .

(6) تفسير أبي السعود (288/3).

ويقول البقاعي: " ولما كان المقام لتحقيره بكونه عدماً، أعدم من التعبير عن ذلك ما أمكن إعدامه، وهو النون، لتناسب العبارة المعترية فقال: «ولم يك شيئاً» أصلاً، وإنا بمقتضى ذلك قادرون على إعادته فلا ينكر ذلك". (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (يذكر) بالتخفيف نعي الله على الكافر المنكر للبعث عدم انتباهه وعلمه من حال نفسه أنه لم يكن شيئاً في الدنيا، ثم صار إنساناً حياً موجوداً.

يقول الفخر الرازي: " أما إذا قرئ (أولا يذكر) بالتخفيف فالمراد: أولاً يعلم ذلك من حال نفسه لأن كل أحد يعلم أنه لم يكن حياً في الدنيا، ثم صار حياً". (2)

أما قراءة (يذكر) بالتشديد فأفادت: نعي الله على الكافر عدم تفكره وتدبره في أول خلقه فيستدل بذلك على البعث.

يقول الشوكاني: " والمراد بالذكر هنا إعمال الفكر أي: ألا يتفكر هذا الجاحد في أول خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة، والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة، لأن النشأة الأولى هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداءً واختراعاً، لم يتقدم عليه ما يكون كالمثال له، وأما النشأة الآخرة فقد تقدم عليها النشأة الأولى فكانت كالمثال لها". (3)

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن أدنى انتباه وعلم من الكافر لابتداء خلقه يرشده إلى الحق، ولكن الكافر لاستغراقه في الغفلة يحتاج إلى تأمل وتدبر شديد لعله يعي ذلك.

يقول البقاعي: " ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما هو أكبر من ذلك من جميع الأكوان: «أولا يذكر» بإسكان الذال على قراءة نافع وابن عامر وعاصم إشارة إلى أنه أدنى ذكر من هذا يرشده إلى الحق، وقراءة الباقيين بفتح الذال والكاف وتشديدهما يشير إلى أنه لاستغراقه في الغفلة يحتاج إلى تأمل شديد". (4)

(1) نظم الدرر (551/4).

(2) التفسير الكبير (242/21).

(3) فتح القدير (430/3).

(4) نظم الدرر (551/4).

22- قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ مريم.﴾

القراءات:

١. قرأ حفص وحمزة والكسائي (جِثِيًّا) و (عِتِيًّا) و (صِلِيًّا) بكسر أوائل الثلاثة.
٢. قرأ الباقون (جِثِيًّا) و (عِتِيًّا) و (صِلِيًّا) بضم أوائلهن. (١)

اللغة والبيان:

جِثِيًّا : باركين على ركبهم من شدة الهول. (٢) أو جماعات (٣) وجثياً: جمع جاث. (٤) وهو منصوب على الحال. (٥)

عِتِيًّا : العتو: النبو عن الطاعة. (٦) أي: عصياناً، أو جراءة. (٧) أو كفراً (٨). وهو مصدر عتا يعتو. وهو منصوب على التمييز. (٩)

صِلِيًّا : دخولاً، أو مقاساة لحرّها. (١٠) وهو مصدر صلى يصلى. (١١) وهو منصوب على التمييز. (١٢) وقيل منصوب على الحال، أي: ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عتياً فهم أولى بها صلياً. (١٣)

والكسر والضم لغتان فيهن ولكن القراءة بالضم تفيد المبالغة لما في الضم من الثقل.

(١) انظر: النشر (١٧٢/١).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٧٢/٢) ، معاني القرآن للنحاس (١٧٢/٣).

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش (١٧٢/٤).

(٤) غريب القرآن وتفسيره للزبيدي (ص١٧٢) ، مجاز القرآن (١٧٢/٥).

٤١) الفريد (٣٧/٦) ، مشكل إعراب القرآن لمكي (٤٤٧/٦) ، الملخص (ص٣٤).

٤٢) مفردات الراغب (ص٣٤).

٤٣) النكت والعيون (٣٧/٦).

٤٤) معاني القرآن للنحاس (٣٧/٦).

٤٥) الفريد (٣٧/٦).

٤٦) كلمات القرآن (ص٣٤). وانظر: النكت والعيون (٣٧/٦).

٤٧) غريب القرآن وتفسيره للزبيدي (ص٣٤).

٤٨) الفريد (٣٧/٦) ، وانظر: تفسير النسفي (٣٧/٦).
٤٩) معاني القرآن للزجاج (٣٧/٦).

التفسير:

تتحدث الآيات الكريمة عن تهديد الله للكافرين الذين أنكروا البعث وسخروا منه، وبيّنت شدة غضبه عليهم، فأقسم سبحانه على حشرهم تأكيداً على صحة البعث، معرضاً عنهم مخاطباً لنبيه ﷺ تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره، متوعداً إياهم بالعذاب الشديد مبيناً كيفيته وحجمه ليكون أكثر إيلاًماً وإرهاباً لهم، لعلهم يتعظون فيعودون إلى خالقهم.

يقول الزحيلي: " ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جنباً ﴾ أقسم الرب تبارك وتعالى بذاته الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله، بأن يخرجهم من قبورهم أحياء، ويجمعهم إلى المحشر مع شياطينهم الذين أغوهم وأضلوهم، ثم ليحضرنهم حول جهنم بعد طول الوقوف، جاثين قاعدين على ركبهم ، لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب، كما قال تعالى: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ الجاثية٣٣. وهذا الإحضار يكون قبل إدخالهم جهنم، ويكون على أذل صورة لقوله: ﴿جنباً﴾. ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ أي: لننزعن ونأخذن من كل فرقة دينية أو طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم وأعتاهم وأكثرهم تكبراً وتجاوزاً لحدود الله، وهم قادتهم ورؤساؤهم في الشر. فهذه وجوه التهديد: أولها: الحشر مع الشياطين. وثانيها: الإحضار قعوداً حول جهنم في صورة الدليل العاجز. وثالثها: تمييز البعض من البعض، فمن كان أشدهم تمرداً في كفره خُصَّ بعذاب أعظم، كما قال تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يُفسدون﴾ النحل١٢٩. وقال: ﴿وأنقالاً مع أنقالهم﴾ العنكبوت٣٣، ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ﴾ أي: أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى نار جهنم،

ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب، كما قال سبحانه: ﴿ لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ الأعراف ٣٤ . (١)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان بالكسر والضم في الكلمات الثلاث صورت حال أولئك الكافرين المعاندين لله وشدة المعاناة التي توعدهم الله بها يوم القيامة، ولكن القراءة بالضم في (جُنِيًّا) و(عُنِيًّا) و(صُلِيًّا) بينت شدة غضب الله على أولئك الكافرين المعاندين، ومدى المعاناة التي توعدهم الله بها يوم القيامة وازدياد هذا الغضب بزيادة كفرهم وتمردهم ؛ لما في الضم من الشدة والمبالغة.

(١) التفسير المنير (٣/١٤٤-١٤٥).

23- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

مريم ﴿ ٧٢ ﴾

القراءات:

1. قرأ الكسائي ويعقوب (نُجِّي) بالتخفيف.
2. قرأ الباقر (نُجِّي) بالتشديد. (1)

اللغة والبيان:

أصل النجاء: الانفصال من الشيء، ومنه: نجا فلان من فلان وأنجيتَه ونجيتَه. (2)
قراءة (نُجِّي) بالتخفيف من (أنجى يُنجي). وقراءة (نُجِّي) بالتشديد من (نَجَّى يُنجي). (3)
قال مكي بن أبي طالب: وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، كأنه نجا بعد نجا. (4)
وقال السامرائي: الملاحظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نَجَّى) للتلبث والتمهل في التنجية، ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها. فإن (أنجى) أسرع من (نَجَّى) في التخليص من الشدة والكرب، وإن البناء اللغوي لكل منهما يدل على ذلك كما ذكرنا. (5)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن صفة من ينجو من النار بعد ورودها، ومن يذره الله فيها.

قال ابن كثير: " أي إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم - وهي مواضع السجود - وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه،

(١) انظر: النشر (194/2)، المغني (52/2-53).

(٢) مفردات الراغب (ص538).

(٣) انظر: حجة القراءات (ص446)، الكشف عن وجوه القراءات (91/2)، الحجة في القراءات (ص142)، الدر (519/4).

(٤) الكشف عن وجوه القراءات (91/2).

(٥) بلاغة الكلمة (ص70).

حتى يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر: (لا إله إلا الله)، وإن لم يعمل خيراً قط، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولهذا قال: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾ . (1)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (ننجي) بالتخفيف: سرعة إنجاء الله للمتقين، مع شمول هذا الإنجاء لكل الموحدين. وأفادت قراءة (ننجي) التدرج في التنجية والتكرير لها مع كثرتها، فتكون على مراحل، نجاة بعد نجاة، كل بحسب عمله ودرجة إيمانه، حتى لا يذر فيها من قال يوماً من الدهر: (لا إله إلا الله)، وإن لم يعمل خيراً قط، ويكون آخرهم خروجاً منها.

يقول البقاعي: " ولما كان الخلاص منها(2) بعد ذلك مستبعداً، قال مشيراً إليه بأداة البعد

﴿ ثم ننجي ﴾ أي: تنجية عظيمة على قراءة الجماعة، ومطلق إنجاء على قراءة الكسائي، وكأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لا ينافي المقيد " . (3)

الجمع بين القراءتين:

قراءة (ننجي) بالتخفيف جاءت مطلقة؛ فقد بينت أن الإنجاء من النار يشمل جميع الذين اتقوا وبسرعة، ولكن جاءت قراءة (ننجي) لتبين أن هذا الإنجاء ليس بسرعة واحدة لكل الذين

اتقوا وليس على دفعة واحدة وإنما على دفعات ودرجات في السرعة ومراتب كل بحسب عمله وتقواه. وبذلك قيدت قراءة التشديد قراءة التخفيف وزادت في إيضاح المعنى وبينت دقة اللفظ القرآني في التعبير. وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

(1) تفسير ابن كثير (265/5).

(2) يقصد هنا الخلاص من النار التي وردها كل من المؤمن والكافر لقوله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ .

(3) نظم الدرر (552/4).

24- قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمۡ آيَاتُنَا بِيِّنٰتٍۭ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ أَىٰ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌۭ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٢﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ ابن كثير (مُقَامًا) بضم الميم.

2. قرأ الباقر (مَقَامًا) بفتح الميم. (1)

اللغة والبيان:

مَقَامًا: منزلاً وسكناً. (2)

(مُقَامًا): فهو مصدر أو اسم مكان من: أقام يقيم إقامةً.

(مَقَامًا): وهو أيضاً مصدر أو اسم مكان من: قام يقوم مَقَامًا. فالقراءتان بمعنى. (3)

ولكن ابن عاشور فرّق بين القراءتين وبين معناهما قائلاً: (مَقَامًا) اسم مكان من قام، أطلق مجازاً على الحظ والرفعة، كما في قوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ الرحمن {46} فهو مأخوذ من القيام المستعمل مجازاً في الظهور والمقدرة، (مُقَامًا): من أقام بالمكان، وهو مستعمل في الكون في الدنيا. والمعنى: خيرٌ حياةً. (4)

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن شبهة أخرى احتج بها منكرو البعث على كونهم على الحق في إنكارهم للبعث وفي كرامتهم على الله؛ وذلك لأنهم خير منزلاً ومسكناً ومكانة من المؤمنين بحسب اعتقادهم.

يقول القرطبي: " قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ أي: على الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله تعالى ﴿أنذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ مريم {66} وقال فيهم: ﴿ونذر الظالمين فيها جنياً﴾ أي: هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تعزّزوا بالدنيا، وقالوا: فما بالنا - إن كنا على باطل - أكثر أموالاً وأعز نفراً، وغرضهم إدخال الشبهة على المستضعفين، وإيهامهم أن من كثر ماله دل ذلك على أنه المحق في دينه، وكأنهم لم يروا فيهم فقيراً ولا في المسلمين غنياً، ولم يعلموا

(1) انظر: النشر (239/2).

(2) البحر المحيط (198/6).

(3) انظر: الكشف (91/2).

(4) انظر: التحرير والتنوير (154/16). وقد ألمح ابن زنجلة إلى هذا المعنى فانظره في كتابه: حجة القراءات (ص446).

أن الله تعالى نحى أوليائه عن الاغترار بالدنيا، وفرط الميل إليها. و﴿بينات﴾ معناه: مرّاتلات الألفاظ، ملخصة المعاني، مبينات المقاصد، إما محكمات، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات، أو تبين الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً، أو ظاهرات الإعجاز تحدّى بها فلم يقدر على معارضتها، أو حججاً وبراهين، والوجه أن تكون حالاً مؤكدة، كقوله تعالى ﴿وهو الحق مصدقاً﴾ البقرة {91}، لأن آيات الله تعالى لا تكون إلا واضحة وحججاً. ﴿قال الذين كفروا﴾ يريد مشركي قريش النضر بن الحارث وأصحابه. ﴿للذين آمنوا﴾ يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يربطون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين ﴿أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾... أي: أي الفريقين أكثر جاهاً وأنصاراً. ﴿وأحسن ندياً﴾ أي: مجلساً⁽¹⁾ عن ابن عباس، وعنه أيضاً المنظر وهو المجلس في اللغة وهو النادي، ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يتشاورون فيها في أمورهم،... والندي على فعيل؛ مجلس القوم ومتحدثهم".⁽²⁾

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (مقاماً): أن منكري البعث احتجوا على المسلمين في كونهم محقين في دينهم بكونهم خيراً منهم معيشة في المسكن ورغد العيش، مما يدل على كرامتهم على الله. وأفادت قراءة (مقاماً): زعم المشركين أنهم خير مكاناً ومنزلة وحظاً ومقدرة من المؤمنين.

الجمع بين القراءتين:

بينت قراءة الضم الظاهر الذي ادعاه المشركون في معيشتهم سواء في الشكل أو في المسكن وما فيه من رغد العيش. أما قراءة الفتح فقد بينت ما ادعاه المشركون من المنزلة والمكانة التي حظوا بها في الحياة من حظ ورفعة وقدرة. وبذلك فقد بينت كل قراءة جانباً من الجوانب التي ادعاه المشركون، وتفاخروا فيها أمام المؤمنين ليدلوا على كونهم على الحق في كفرهم وإنكارهم للبعث في زعمهم.

(1) الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري (87/16)، وابن كثير (265/5).

(2) انظر: تفسير القرطبي (129/6-130).

25- قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئِيَاً

مريم. 

القراءات:

1. قرأ قالون وابن ذكوان وأبو جعفر (وِرِيَاً) بإبدال الهمز ياء وإدغامها في الياء التي بعدها.

2. قرأ الباقون (وَرِئِيَاً) بتركها على أصلها. (1)

اللغة والبيان:

(رِئِيَاً) : منظرًا، من رأيت (2) أي: ما ترى في صورة الإنسان، ولباسه(3).

(رِيَاً) : من الرِّي وهو ضد العطش، والمراد به: أن منظرهم مرتو من النعمة، كأن

النعيم بيّن فيهم (4) ؛ لأن الرِّي يتبعه الطراوة كما أن العطش يتبعه الذبول. (5) أي: أحسن نعمة وترفهاً. (6)

التفسير:

الآية الكريمة رد على اعتقاد المشركين الفاسد بأن رغد العيش ورفعة المقام دليل على رضا الله عنهم وعن معتقداتهم. وتهديد لهم بأن نهايتهم ستكون مماثلة لنهاية الأمم البائدة التي كانت أفضل حالاً منهم ولكن ماتلتهم بالكفر والضلال؛ ألا وهي: الهلاك.

يقول الزحيلي: " هذا هو الجواب الأول عن شبهتهم، أي: وكثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم السابقة المكذابين رسلهم بكفرهم، وكانوا أحسن من هؤلاء متاعاً ومنظراً. والأثاث: المال أجمع، من الإبل والغنم والبقر والمتاع، أو متاع البيت خاصة من الفرش واللباس والستائر

(1) انظر: النشر (303/1).

(2) معاني القرآن للزجاج (342/3)، معاني القرآن للنحاس (736/2). وانظر: معاني القرآن للفراء (171/2)، غريب القرآن وتفسيره للزبيدي (ص241)

(3) معاني القرآن للنحاس (736/2). وانظر: تفسير غريب القرآن (ص275)، مجاز القرآن (10/2).

(4) انظر: معاني القرآن للزجاج (342/3)، حجة القراءات (ص447).

(5) مفاتيح الأغاني (ص271).

(6) انظر: الكشاف (122/3)، التفسير الكبير (247/21)، تفسير أبي السعود (290/3).

والبسط والأرائك والسرر (الأسرة). والرئي: المنظر في تقدير الناس من جهة حسن اللباس أو حسن الأبدان وتنعّمها. والمعنى: أن مظاهر الثراء والنفوذ والكرامة لا تدل على حسن الحال عند الله، فقد أهلك الله المترفين، ونجى الفقراء الصالحين. وهذا تهديد ووعد لكل من يتوهم من العوام وجهلة الأغنياء من المسلمين أن حسن حالهم في الدنيا دليل على رضا الله عنهم وحسن حالهم في الآخرة". (1)

ويقول الفخر الرازي: " وتقرير هذا الجواب أن يُقال إن من كان أعظم نعمة منكم في الدنيا قد أهلكهم الله تعالى وأبادهم، فلو دل حصول نعم الدنيا للإنسان على كونه حبيباً لله تعالى لوجب في حبيب الله أن لا يوصل إليه غمّاً في الدنيا، ووجب عليه أن لا يهلك أحداً من المنعمين في دار الدنيا، وحيث أهلكهم دل إما على فساد المقدمة الأولى؛ وهي: أن من وجد الدنيا كان حبيباً لله تعالى. أو على فساد المقدمة الثانية؛ وهي: أن حبيب الله لا يوصل الله إليه غمّاً، وعلى كلا التقديرين فيفسد ما ذكرتموه من الشبه". (2)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

أفادت قراءة (رئياً) أن الله قد أهلك من القرون الأولى من هم أحسن هيئة ومنظراً ولباساً من أولئك المشركين المنكرين للبعث.

يقول الشنقيطي: " وقوله «ورئياً» على قراءة الجمهور مهموزاً، أي: أحسن منظراً وهيئة، وهو فعل بمعنى مفعول من رأى البصرية. والمراد به الذي تراه العين من هيأتهم الحسنة ومتاعهم الحسن". (3)

وأفادت قراءة (رياً): أن الله أهلك من هم أكثر من المشركين ترفهاً ونعمة بادية عليهم من الأمم البائدة.

يقول ابن عاشور: " (رياً) بتشديد الياء بلا همز؛ إما على أنه من قلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء الأخرى. وإما على أنه من الرِّي الذي هو النعمة والترفة، من قولهم: رِيَّان من النعيم، وأصله من الري ضد العطش، لأن الري يستعار للتعمُّ كما يستعار التلهف للتألم." (4)

(1) التفسير المنير (151/16-152).

(2) التفسير الكبير (247/21).

(3) أضواء البيان (522/2).

(4) التحرير والتنوير (155/16).

الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أن من أهلكه الله من الأمم البائدة كانوا أكثر أموالاً بصنوفها المختلفة، كما كانوا على قدر كبير من النعيم ورفاهية العيش بحيث ظهر ذلك على معاشهم وهيئاتهم من حسن اللباس بالإضافة إلى تمتعهم بحسن منظرهم وأبدانهم .
ومن هذا البيان تبين أن كلاً من القراءتين وصفت حالاً من أحوالهم سواء الجسدية أو أحوالهم المادية والمعيشية. وهذا بالطبع إنما يدل على بلاغة القرآن في ألفاظه الدالة على إعجازه.

26- قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا

وَوَلَدًا ﴾ ﴿ مريم.

القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي (وُلْدًا) بضم الواو وإسكان اللام.

2. قرأ الباقر (وُلْدًا) بفتح الواو واللام. (1)

اللغة والبيان:

الولد: المولود. يقال للواحد والجمع والصغير والكبير. (2)

(وُلْدًا): اسم مفرد قائم مقام الجمع. أي: يكون المعنى على الجنس لا ملحوظاً فيه الإفراد وإن كان مفرد اللفظ. (وُلْدًا): جمع ولد، كقولهم: وأسَدٌ وأسَدٌ. (3)

سبب نزول الآية:

أخرج البخاري عن خباب بن الأرت قال: " كنت قيناً (4) في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يمينك الله ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك. فنزلت: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً*أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ (5). "

-
- (1) انظر: النشر (239/2).
(2) مفردات الراغب (ص605).
(3) انظر: البحر المحيط (200/6-201)، الدر (4/522-523)، التحرير والتنوير (159/16).
(4) أي: حداداً. {مختار الصحاح (ص586)}.
(5) أخرجه البخاري (736/2) في كتاب البيوع، باب ذكر القين والحداد، حديث رقم (1985).

التفسير:

يقول الفخر الرازي: " اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل أولاً على صحة البعث، ثم أورد شبهة المنكرين، وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعناً في القول بالحشر فقال ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾. (1)

يقول الزحيلي: " ألا أخبرك بقصة هذا الكافر الذي تجرأ على الله وقال: لأعطين في الآخرة مالاً وولداً. وإيراد هذه القصة على سبيل التعجب للبشر. " (2)

ويقول الألوسي: " الهمزة للتعجب من حال ذلك الكافر، والايذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها أن يؤمن بها كل من وقف عليها، ﴿وقال﴾ مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين الفاجرة والله ﴿لأوتين﴾ في الآخرة ﴿مالاً وولداً﴾ والمراد انظر إليه وتعجب من حالته البديعة وجرأته الشنيعة. " (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

قد تأتي قراءة لتفيد عدة معان، فتجيء قراءة أخرى لتحدد معنى بعينه مقصوداً من هذه المعاني. وهذا الذي ينطبق على هاتين القراءتين، حيث إن قراءة (وُلْدًا) تفيد الجنس لأنها

تصلح للمفرد والجمع. أما قراءة (وُلْدًا) فهي تفيد الجمع، وبذلك جاءت لتبين أن المقصود من (وُلْدًا) هو الجمع وليس المفرد.

(1) التفسير الكبير (250/21).

(2) التفسير المنير (156/16).

(3) انظر: تفسير الألوسي (130-129/16).

27- قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ

الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ﴿ مريم.

القراءات:

1. قرأ نافع والكسائي (يكاد) بالياء على التذكير.
2. قرأ الباقون (تكاد) بالتاء على التأنيث.
3. قرأ نافع وابن كثير وحفص والكسائي وأبو جعفر (يَتَفَطَّرْنَ) بالتاء وفتح الطاء مشددة.
4. قرأ الباقون (يَنْفَطَّرْنَ) بالنون وكسر الطاء مخففة. (1)

اللغة والبيان:

الفطر: الشق طولاً. (2)

ينفطرن: مضارع انفطر. أي: ينشققن.

يتفطرن: مضارع تفطر. أي: يتشققن. وهو على وزن يتفعل، ويفيد التكثير وتكرير

الفعل. (3)

وقراءة (تكاد) بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل (السموات) مؤنث غير حقيقي⁽⁴⁾ وهو جمع قلة، والعرب تذكر فعل المؤنث إذا كان قليلاً كقوله تعالى ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ﴾ التوبة {5}

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن الأثر المترتب على غير العاقل من مخلوقات الله لادعاء اليهود والنصارى باتخاذ الله للولد، أو بما قاله مشركو العرب بأن الملائكة بنات الله، استعظماً لقباحة هذا الادعاء، وبياناً لعظم كفر قائله.

يقول الزحيلي: " تقارب السموات أن تتشقق منه، وأن تتصدع وتخسف الأرض، وتسقط بصوت شديد، وتهدم الجبال هدماً شديداً تتضعض منه، لشدة نكرانه ، إعظاماً للرب وإجلالاً ،

(1) انظر: النشر (239/2).

(2) مفردات الراغب (ص 428).

(3) انظر: حجة القراءات (ص448-449) ، الكشف (2/93) ، الفريد (3/419) ، الملخص (ص255).

(4) انظر: الدر (4/528).

(5) انظر: حجة القراءات (ص448).

لأنهن مخلوقات على توحيده، وأنه لا شريك له ولا نظير ولا ولد ولا صاحبة. قال ابن عباس وكعب: فزعت السموات والأرض والجبال، وجميع المخلوقات إلا الثقلين (الإنس والجن)، وكادت أن تزول، وغضبت الملائكة فاستعرت جهنم، وشاك الشجر، واكفهرت الأرض وجذبت حين قالوا: اتخذ الله ولداً. وقال محمد بن كعب: لقد كاد أعداء الله أن يقيموا علينا الساعة؛ لقوله تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ وهذا تهويل عظيم، وأنه موجب غضب الله وسخطه، ولكن لولا حكمة الله وحلمه وأنه لا يبالي بكفر الكافر لقامت القيامة، واستوصل الكفار " . (1)

ويقول الزمخشري: " فإن قلت: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور

الجبال؟ ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن الله ﷻ يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري⁽²⁾، وأني لا أعجل بالعقوبة؛ كما قال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ فاطر {41} .

والثاني: أن يكون استعظماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين، وهدمها لأركانها وقواعده، وأن مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتتشق وتخر " . (3)

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (يكاد السموات) هي إشارة إلى مجموع السموات وإن كان قليلاً مقابل كلمة الكفر التي قالها الكافرون في حق الله استخفافاً بها وهم لا يدرون عظمها. أما قراءة (تكاد السموات) فهي إشارة إلى عظم هذه السموات مقابل قول المشركين على الله جَلَّالاً .

وقراءة (ينفطرن) أفادت أن السموات تريد أن تتشقق غيظاً من شدة قول الكافرين، ولكن قراءة (ينفطرن) دلت على أن هذا التشقق وهذا الغيظ هو يدوم منهن ويكثر إعظماً لقول المشركين.

(1) التفسير المنير (166/16-167).

(2) هذه اللفظة مما لا يليق، وكان ينبغي على الكاتب أن يستخدم لفظة مما ساغ في وصفه جَلَّالاً مما يتصل بأسمائه الحسنی.

(3) الكشاف (128/3).

يقول ابن زنجلة: " فقلوه (ينفطرن) أشد مبالغة في تغيظهن على من نسب إلى الله ولداً كقوله في قصة النار: ﴿ تكاد تميّز من الغيظ ﴾ الملك {8} ولم يقل: (تتماز) " . (1)

التشديد يدل على التكرير وتكرير الفعل، والتخفيف يحتمل التكرير وغيره، والتشديد هنا أجود لما فيه من معنى المبالغة في الإخبار عن عظم كفرهم . (2)

الجمع بين القراءات:

هذه القراءات مجتمعة تصور شدة كفر المشركين وعظم ما يطلقونه من كلمات يظنونها هينة وهي عند الله عظيمة ، وعظمها يشعر به كل ما في الكون حتى غير العاقل من مخلوقات الله فينتفض انتفاضة قوية تتشقق من هولها السموات مرة تلو الأخرى.

يصور سيد قطب رحمه الله تعالى هذا المشهد قائلاً: " إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو: جو الغضب والغيرة والانتفاض ! وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات

العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره.

هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال، والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاج.

وما تكاد الكلمة النابية تنطلق: ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ حتى تنطلق كلمة التنظيع والتبشيع ﴿ لقد جنتم شيئاً إداً ﴾ ثم يهتز كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون كله لبارئه. وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته؛ وتجافي ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه؛ وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها: ﴿ تكادُ السَّمَاوَاتُ يَنْقَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾. (3)

(1) حجة القراءات (ص449).

(2) الفريد (419/3).

(3) الطلال (2321-2320/4).

28- قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ

بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ ﴿٩٧﴾ مريم.

القراءات:

1. قرأ حمزة (لَتُبَشِّرُ) بفتح التاء وإسكان الباء الموحدة وضم الشين مع تخفيفها.
 2. قرأ الباقون (لَتُبَشِّرَنَّ) بضم التاء وفتح الباء وكسر السين مع تشديدها. (1)
- سبق التعرض لهذه القراءة عند تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء. (2)

(1) انظر: النشر (180/2).

(2) انظر: ص 72 من هذا البحث.

الخاتمة

تتضمن الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع جملة من المقترحات التي توصي بها الباحثة.

وتتلخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث في التالي:

- 1- حديث الأحرف السبعة من الأحاديث المتواترة.
- 2- الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب بما فيها من نواحي الاختلافات الكثيرة، والتي فيها اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى، وكذلك الاختلاف في هيئات النطق والأداء، والتي يظهر فيهما التيسير ورفع الحرج.
- 3- العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات هي علاقة عموم وخصوص؛ فالقراءات هي جزء من الأحرف السبعة.
- 4- إن الاختلاف الواقع بين القراءات هو اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد أو تناقض، وإن هذا الاختلاف له حكم وفوائد متعددة.
- 5- تواتر القراءات السبع والقراءات المتممة للعشر، والقطع بقرآنيتهما، وعدم جواز إنكار أيّ منها.
- 6- إن تنوع القراءات من جهة أثره في التفسير على قسمين:
الأول: قراءات لها أثر في تفسير الآية وبيان معناها.
الثاني: قراءات لا أثر لها في تفسير الآية وبيان معناها، وإنما تفيد من نواح أخرى هي:
 - مادة ثرية لعلماء اللغة والنحو.
 - حفظت على أبناء العربية لغتهم سليمة بلهجاتها المتنوعة.
- 7- إن تنوع القراءات المتواترة أنتج تنوعاً في أثره على التفسير من جهات متعددة:
 - أ- قراءات بينت معنى الآية.
 - ب- قراءات وسعت معنى الآية.

ج- قراءات أزلت الإشكال عن معنى الآية.

د- قراءات خصصت عموم الآية.

هـ- قراءات بينت إجمال الآية.

8- إن القراءات التي اعتبرها كثير من العلماء من قبيل تعدد اللغات، أو الاختلاف في أصول القراءات كالإمالة والإخفاء والإدغام، لا أثر لها في التفسير ليس دقيقاً؛ لأن كثيراً منها كما ظهر في أثناء تفسير السور الكريمة كان له أثر واضح في التفسير من جهات مختلفة:

أ- منها ما هو بيان للحالة النفسية. (كالإمالة والإخفاء والتنوع في بعض الحركات في القراءات الذي اعتبره أكثر العلماء من قبيل تعدد اللغات).

ب- منها ما هو توصيف للفظ القرآنية. (كالاختلاف في بعض الحركات بين القراءات مما اعتبر من قبيل تعدد اللغات).

ج- منها ما أنتج تنوعه إظهاراً لإعجاز علمي في القرآن (كالاختلاف في " تحسبهم " بفتح السين وكسرها) .

9- إن الاختلاف بين السور الثلاث (الإسراء والكهف ومريم) ظهر من جهات متعددة:

أولاً: عدد الآيات المتضمنة للقراءات في كل سورة ونسبتها بالنسبة لعدد آيات السورة:

أ- سورة الإسراء: ثلاثون آية، بنسبة 27% تقريباً من آيات السورة.

ب- سورة الكهف: ثمان وأربعون آية، بنسبة 43,5% تقريباً من آيات السورة.

ج- سورة مريم: ثمان وعشرون آية، بنسبة 28,5% تقريباً من آيات السورة.

ثانياً: الأساليب التي تناولتها القراءات في كل سورة:

أكثر السور تنوعاً في الأساليب التي تناولتها القراءات هي سورة الكهف تليها سورة الإسراء، أما سورة مريم فظهر فيها تعدد اللغات.

ثالثاً: القراءات التي وجدت في سورة ولم توجد في الأخرى:

ويُقصد بها ياءات الزوائد والإضافة، أما ياءات الزوائد فقد ظهر من خلال تفسير السور الكريمة أثرها على التفسير، أما ياءات الإضافة فليس لها أثر على التفسير لذلك لم يتم الإشارة إليها واعتبارها في أثناء التفسير، ولكن لا بد من الإشارة إليها هنا باعتبارها قراءات وردت في السور الكريمة بدرجات متفاوتة لبيان الفروق بين السور.

فسورة الإسراء وردت فيها اثنتان من ياءات الزوائد، وياء إضافة واحدة. أما سورة الكهف فقد احتوت على ست ياءات زوائد وتسع ياءات إضافة. أما سورة مريم فاحتوت على ست ياءات إضافة، ولم تحتو على أي من ياءات الزوائد.

10- تقرير أن تعدد القراءات هو ضرب من الإعجاز القرآني، ودليل على صدق ما جاء به محمد ﷺ، وأنه مبلغ عن ربه ﷻ.

أما أهم المقترحات فهي التالية:

1- أثناء اشتغالي بهذا البحث ظهر لي مدى الحاجة إلى كتاب يجمع القراءات التي من باب تعدد اللغات في سور القرآن ودراستها، ومحاولة تفسير الآيات التي وردت فيها، ومحاولة البحث عن السبب الذي كان من وراء ورودها في آيات معينة وعدم ورودها في آيات أخرى، ولعل في ذلك حكمة من الله خافية علينا.

لذلك أقترح أن يقوم باحث بالكشف عن سر هذه الحكمة، فيجليها، وبذلك يكون قد شارك في بيان وجه من وجوه إعجاز القراءات.

2- أقترح على من له توجه إلى البحث في موضوع القراءات أن يولي اهتماماً بالقراءات المتواترة التي طعن فيها بعض علماء النحو، فيجمعها في كتاب يضمنه سبب طعن هؤلاء العلماء لها، ويكشف عن الملابسات التي دفعتهم إلى إنكارها، ويظهر مدى صحتها، مضمناً كتابه تفسيراً للآيات التي وردت فيها.

3- وأخيراً أنصح الباحثين في مجالات الدراسات الشرعية بالاهتمام بالقراءات المتواترة والشاذة على السواء والاستفادة منها في أبحاثهم؛ فإنها تفتح أمام الباحث آفاقاً جديدة لم يدركها من قبل، فتزيد بحثه ثراءً وتنوعاً.

تمت والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

هذا كل ما استطعت بذله من جهد في سبيل إبراز جانب من جوانب إعجاز تعدد القراءات وبيان أثرها على التفسير الدال على إعجاز القرآن وصدق محمد ﷺ فيما بلغ عن رب العزة. وأرجو الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به عباده الصالحين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

آيات القراءات القرآنية

ر . م	الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الإسراء			
1.	﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾	2	67
2.	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا...﴾	7	69،42
3.	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ...﴾	9	72
4.	﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ...﴾	13	74
5.	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا...﴾	16	76،44
6.	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾	23	78
7.	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ...﴾	31	81
8.	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾	33	83
9.	﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ...﴾	35	85
10.	﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾	38	87
11.	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا...﴾	41	89
12.	﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعَوْا...﴾	42	92
13.	﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾	43	94
14.	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...﴾	44	96
15.	﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ...﴾	49	98
16.	﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	55	100
17.	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا...﴾	61	104،53
18.	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾	62	107

ر . م	الآية	رقم الآية	الصفحة
.19	﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ... ﴾	64	109
.20	﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ... ﴾	68	111،55
.21	﴿ أَمْرٌ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً ... ﴾	69	111،55
.22	﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ... ﴾	72	114
.23	﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ... ﴾	76	117
.24	﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	82	119،51
.25	﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ... ﴾	83	121
.26	﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ ... ﴾	90	124
.27	﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا ... ﴾	92	126
.28	﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ... ﴾	93	128
.29	﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ... ﴾	97	130
.30	﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ... ﴾	98	98
.31	﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ ... ﴾	102	132

سورة الكهف

.1	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ . . . عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِّبُنْدَرٍ... ﴾	2، 1	143
.2	﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ... ﴾	16	146
.3	﴿ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ... ﴾	17	148
.4	﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ... ﴾	18	51، 57، 1 51
.5	﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ... ﴾	19	155
.6	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ اِنِّي...عَدَا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ... ﴾	24، 23	157
.7	﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ... ﴾	25	159

الصفحة	رقم الآية	الآية	ر . م
160 ، 4 6	26	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ ... ﴾	.8
162	28	﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ... ﴾	.9
165	33	﴿ كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا ﴾	.10
167	34	﴿ وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ... ﴾	.11
167	42	﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ... ﴾	.12
170	36	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي ... ﴾	.13
171	38	﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾	.14
173	39	﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ ... ﴾	.15
175	40	﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ ... ﴾	.16
177	43	﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴾	.17
179 ، 4 3	44	﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ... ﴾	.18
182	45	﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا ءَأَنْزَلْنَاهُ ... ﴾	.19
184	47	﴿ وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ... ﴾	.20
186	49	﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ... ﴾	.21
188	50	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ... ﴾	.22
190	51	﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	.23
193	52	﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ... ﴾	.24
194	55	﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ... ﴾	.25
197	56	﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾	.26
199	59	﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ... ﴾	.27
201	63	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ... ﴾	.28

الصفحة	رقم الآية	الآية	ر . م
203، 5 6	64	﴿ قَالَ ذَلِكْ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	.29
204، 4 8	66	﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ ... ﴾	.30
206	70	﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ ... ﴾	.31
208، 4 7	71	﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ... ﴾	.32
210	73	﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي ... ﴾	.33
212	74	﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ... ﴾	.34
216	76	﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ... ﴾	.35
218	77	﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ... ﴾	.36
220	81	﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ ... ﴾	.37
223	92، 89، 85	﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٤٦﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٤٧﴾ ﴾	.38
225	86	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَعْرُبُ ... ﴾	.39
228، 4 8	88	﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ... ﴾	.40
231	93	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا ... ﴾	.41
233، 4 9	94	﴿ قَالُوا يَلَذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ ... ﴾	.42
236	95	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ... ﴾	.43
238، 5 4	96	﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ ... ﴾	.44
241	97	﴿ فَمَا اسْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾	.45
244	98	﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ... ﴾	.46
246	109	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ... ﴾	.47

سورة مريم

ر . م	الآية	رقم الآية	الصفحة
1.	﴿ كَهَيْعَصَ ﴾	1	256
2.	﴿ يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾	6	257
3.	﴿ يَزَكِّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ... ﴾	7	260
4.	﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي ... ﴾	8	261 ، 52
5.	﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ... ﴾	9	262
6.	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾	19	264
7.	﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ... ﴾	23	266
8.	﴿ فَنَادَلَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ ... ﴾	24	269
9.	﴿ وَهَزَيْتَنِي بِالْجِدِّعِ النَّخْلَةِ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا ... ﴾	25	272
10.	﴿ ذَٰلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾	34	275
11.	﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ ... ﴾	35	277
12.	﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾	36	279
13.	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴾	40	281
14.	﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	41	284
15.	﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ... ﴾	42	285
16.	﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ... ﴾	51	287 ، 44
17.	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ... ﴾	58	288
18.	﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ... ﴾	60	290
19.	﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾	63	292 ، 50
20.	﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾	66	295

رقم الآية	الآية	ر . م
296 ، 46	67	21. « أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ... »
299	68	22. « فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ ... »
299	69	23. « ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ... »
299	70	24. « ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا »
301	72	25. « ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ ... »
303	73	26. « وَإِذَا تَتَلَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... »
305	74	27. « وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا »
307	77	28. « أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا ... »
309	90	29. « تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ ... »
312	97	30. « فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ... »

كشاف الأحاديث والآثار

رقم	طرف الحديث	الصفحة
1.	استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: " لا إله إلا الله ...	هامش 244
2.	أخذ عظماً بالية يفتها بيده ويقول: زعم لكم محمد أنا نبعث بعد ما نموت.	295
3.	إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش..	21 ، 18
4.	أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفاً من ورق .	هامش 155
5.	أقراني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني..	4
6.	ألا أخبركم بسورة ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض ..	139
7.	إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ...	5
8.	إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي .	63
9.	إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم... .	243
10.	بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود... .	139
11.	التائب من الذنب كمن لا ذنب له.	291
12.	خيرُ المال ، مُهْرَةٌ مأمُورَةٌ، أو سِكَّةٌ مأمُورَةٌ.	76
13.	"خيركم من تعلم القرآن وعلمه".	خ
14.	ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته... .	هامش 240
15.	سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ،...	4
16.	عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قرأ (متكئين على رفارف خضر وعباقري...)	24
17.	فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم ...	209
18.	فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ..	243
19.	قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: سلوه عن... .	247

الصفحة	طرف الحديث	ر.م
183	قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه.	.20
141	قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تتفر... ..	.21
63	كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر... ..	.22
163	كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ اطرده هؤلاء... ..	.23
307	كنت قيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه.. ..	.24
258	لا نورث، ما تركنا صدقة .	.25
ب	"لا يشكر الله من لا يشكر الناس" .	.26
10 ، 5	لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين... ..	.27
138،141	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال.	.28
227	نظر النبي ﷺ إلى الشمس حين غربت، فقال: "نار الله الحامية ..	.29
هامش 234	يقول الله ﷻ : يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك30
131	يا رسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه؟.. ..	.31

كشافه الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الاسم	ر.م
221	أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري.	.1
3	أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني.	.2
15	أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد.	.3
18	أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع ، أبو العباس الكواشي.	.4
98	أحمد بن يوسف بن محمد شهاب الدين أبو العباس.	.5
72	إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج.	.6
16	الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري.	.7
116	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، أبو علي الفارسي.	.8
179	الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون، أبو عبد الله .	.9
163	الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني.	.10
9	القاسم بن سلام ، أبو عبيد الخرساني الأنصاري .	.11
79	المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد أبو السعادات.	.12
147	حسين بن أبي العز بن الرشيد الهمذاني الشافعي.	.13
172	حميد بن حريث بن بحدل، الكلبي.	.14
168	زياد بن معاوية.	.15
223	سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري.	.16
23	سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي .	.17
8	عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار، أبو الفضل الرازي.	.18
75	عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ.	.19
8 ، 79	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد.	.20
22	عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، أبو الفتح.	.21
215	علي بن عبد الكافي السبكي، أبو الحسن.	.22
91	عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، أبو حفص.	.23

108	فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدرى السامرائي.	.24
151	محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور.	.25
الصفحة	الاسم	ر.م
73	محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، أبو القاسم.	.26
8	محمد بن الطيب بن جعفر، أبو بكر الباقلائي.	.27
158	محمد بن القاسم ابن محمد بن بشار النحوي.	.28
130	محمد بن أيوب بن الصلت ، أبو الحسن.	.29
25	محمد بن جعفر الخزاعي، أبو الفضل الخزاعي .	.30
7	محمد بن سعدان، أبو جعفر الكوفي الضريير.	.31
25	محمد بن عبد الرحمن بن السميع، أبو عبد الله اليماني.	.32
23	محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي.	.33
3	محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، أبو الخير.	.34
2	محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم ابن منظور، أبو الفضل.	.35
152	محمد جميل عبد الستار الحبال.	.36
224	معمر بن المثنى التيمي البصري، النحوي اللغوي.	.37
253	مقاتل بن سليمان الأزدي، أبو الحسن.	.38
10	مكي بن حموش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي .	.39
72	يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي، أبو زكريا.	.40
16	يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدوي .	.41
71	يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي .	.42

فهرست المصادر والمراجع

يشتمل على:

أولاً: فهرس المصادر والمراجع. (1)

ثانياً: فهرس للكتب والمواقع الإلكترونية في شبكة المعلومات الدولية.

ثالثاً: المكتبات الإلكترونية التي سهّلت عملية البحث (CD – RW).

(1) سرت في ذكر المصادر والمراجع ، على الطريقة التالية:

1. لم أعتبر في الترتيب (ال) التعريف.

2. شمل هذا الفهرس الكتب التي أحيل إليها في الهامش.

3. الفهرس مرتب على حروف المعجم: (أ ، ب ، ت ... إلخ)، وبدأت بأجل الكتب : القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم ، وأرقام الآيات فيه على عد الكوفيين.

فهرست المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.

2. الإبانة عن معاني القراءات / مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: د. محيي الدين رمضان: دار المأمون للتراث - دمشق ، بيروت - ط الأولى - 1979م.
3. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم / صديق بن حسن القنوجي - تحقيق: عبد الجبار زكار: دار الكتب العلمية - بيروت - 1978م.
4. أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية) / د. نجاه عبد العظيم الكوفي: دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - 1989م.
5. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / شهاب الدين الدمياطي الشهير بالبناء - وضع حواشيه: الشيخ أنس مهرة: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - 2001م.
6. الإتيقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي - تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير - دمشق ، بيروت - ط5 - 2002م.
7. الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها / حسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط الأولى - 1409هـ - 1988م.
8. الأساس في التفسير / سعيد حوى: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - ط3 - 1412هـ - 1991م.
9. أسباب النزول / أبو الحسن الواحدي - تحقيق: أيمن صالح شعبان: دار الحديث - القاهرة - 2003م.
10. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين الشنقيطي: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط الأولى - 1417هـ - 1996م.

11. إجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي - تحقيق: عبد الله المنشاوي: مكتبة الإيمان - المنصورة - ط الأولى - 1417هـ - 1997م.
12. إعراب القرآن الكريم وبيانه / محيي الدين الدرويش: دار ابن كثير و اليمامة - دمشق ، بيروت - ط4 - 1994م.
13. إنباه الرواة على أنباه النحاة / جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار الفكر العربي - القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط الأولى - 1406هـ - 1986م.
14. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم / عبد الله محمود شحاتة: الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط2 - 1981م.
15. الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني: دار إحياء العلوم - بيروت - ط4 - 1998م.
16. البداية والنهاية / أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: مكتبة المعارف - بيروت.
17. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن علي الشوكاني: دار المعرفة - بيروت.
18. البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري / عبد الفتاح القاضي: مكتبة أنس بن مالك - مكة المكرمة - ط الأولى - 1423هـ، 2002م.
19. البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - خرّج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - 2001م.
20. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / الفيروز آبادي - تحقيق: محمد علي النجار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - ط2 - 1986م.
21. بغية الطلب في تاريخ حلب / كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة - تحقيق: سهيل زكار: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - 1988م.
22. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية - بيروت.

23. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمار - عمّان - ط الأولى - 1999م.
24. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة / محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - تحقيق: محمد المصري: جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ط الأولى - 1407هـ.
25. تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ط الأولى - 1306هـ.
26. تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: دار الكتب العلمية - بيروت.
27. تأويل مشكل القرآن / عبد الله بن مسلم بن قتيبة - شرحه ونشره: السيد أحمد صقر: دار التراث - القاهرة - ط الثانية - 1393هـ ، 1973م.
28. التحرير والتنوير / محمد الطاهر ابن عاشور: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997م.
29. التعبير القرآني / فاضل السامرائي: دار عمار - عمّان - ط الأولى - 1998م.
30. تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / أبو السعود محمد بن محمد العمادي: المطبعة المصرية - ط الأولى - 1347هـ، 1928م.
31. تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي - دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 2001م.
32. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) / الإمام البيضاوي - تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة: دار الفكر - بيروت - 1996م.
33. تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
34. تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) / علاء الدين علي ابن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن: مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ط 2 - 1955م.
35. تفسير الشعراوي / محمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم - قطاع الثقافة.

36. تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - 1981م.
37. تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) / محمد جمال الدين القاسمي - تعليق وتخريج الآيات والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء الكتب العربية - 1970م.
38. تفسير القرآن العظيم / الحافظ ابن كثير - تحقيق: د. السيد محمد السيد وآخرون: دار الحديث - القاهرة - 1423هـ ، 2002م.
39. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (الفاتحة ، البقرة ، آل عمران) رسالة ماجستير / إعداد الباحث: عبد الله الملاحي ، إشراف: د. مروان أبو راس - 2002م.
40. التفسير الكامل / شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وتحقيق: أبو سعيد عمر بن غلامه العمري: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - 2002م.
41. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / د. وهبة الزحيلي: دار الفكر - دمشق - ط 2 - 1418هـ ، 1998م.
42. تفسير النسفي / أبو البركات النسفي: مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - مصر .
43. تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قنينة - تحقيق: السيد أحمد صقر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1398هـ ، 1978م.
44. تفسير مجاهد / مجاهد بن جبر المخزومي التابعي - تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي : المنشورات العلمية - بيروت.
45. تقريب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد عوامة: دار الرشيد - سوريا - ط الأولى - 1986م.
46. تناسق الدرر في تناسب السور / جلال الدين السيوطي - دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا: دار الكتب العلمية - بيروت.
47. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / أبو طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي: دار الفكر .
48. تهذيب الأسماء / أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الحزامي النووي: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - 1996م.

49. تهذيب اللغة / أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى - تحقيق: عبد السلام هارون و محمد علي النجار: الدار المصرية والمؤسسة المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - 1964م.
50. تهذيب تاريخ دمشق الكبير / أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر - تحقيق: عبد القادر بدران: دار المسيرة - بيروت - ط2 - 1979م.
51. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تحقيق عبد الرحمن بن معلاً اللويحق: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى - 2000م.
52. الثقات / محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي - تحقيق: السيد شرف الدين أحمد: دار الفكر - ط الأولى - 1395هـ ، 1975م.
53. جامع البيان في تفسير القرآن / ابن جرير الطبري : دار المعرفة - بيروت - ط3 - 1978م.
54. الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - راجعه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان: دار الحديث - القاهرة - 1423هـ ، 2002م.
55. حاشية الجمل على الجلالين المسماة (الفتوحات الإلهية) / سليمان الجمل: المكتبة الإسلامية.
56. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي / القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي - ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ عبد الرازق المهدي: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1417هـ ، 1997م.
57. حاشية محمد علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك، وبهامشها: شرح العلامة الأشموني مع بعض تقارير للشيخ أحمد الرفاعي: مطبعة مصطفى محمد - مصر. (بدون).
58. حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي / محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي - خرج آياته: محمد عبد القادر شاهين: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1419هـ ، 1999م.

59. **حجة القراءات / أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة - تحقيق: سعيد الأفغاني:**
مؤسسة الرسالة - بيروت - ط5 - 1418هـ - 1997م.
60. **الحجة في القراءات السبع / أبو عبد الله ابن خالويه - تحقيق: أحمد فريد المزيدي:**
منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1999م.
61. **الحجة للقراء السبعة / أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي - تحقيق: بدر الدين قهوجي ، بشير جويجاني:** دار مأمون للتراث - دمشق ، بيروت - ط الأولى - 1413هـ ، 1992م.
62. **حروف المعاني / أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي - تحقيق: علي توفيق الحمد:** مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى - 1984م.
63. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون / شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي - تحقيق: علي محمد معوض وآخرون:** دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1414هـ، 1993م.
64. **الدر المنثور / جلال الدين السيوطي:** دار الفكر - بيروت - 1993م.
65. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني - دار الجيل - بيروت.**
66. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب / إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون:** دار الكتب العلمية - بيروت.
67. **الرسالة المستطرفة / محمد بن جعفر الكتاني - تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي الكتاني:** دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط4 - 1406هـ - 1986م.
68. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود الألوسي:** إدارة الطباعة المنيرية - مصر - ط2.
69. **زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: زهير الشاويش:** المكتب الإسلامي - بيروت - ط3 - 1404هـ.
70. **سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن / عودة الله منيع القيسي:** مؤسسة الرسالة ، دار البشير - بيروت ، عمان - ط الأولى - 1416هـ، 1996م.

71. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة / محمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض - ط2 - 1420هـ ، 2000م.
72. سنن ابن ماجة / أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر - بيروت.
73. سنن أبي داود / سليمان بن أشعث السجستاني - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الفكر.
74. سنن البيهقي الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي - تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة - 1414هـ ، 1994م.
75. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
76. سنن الدارمي / عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي: دار الكتاب العربي - بيروت - ط الأولى - بيروت - 1407هـ.
77. سنن النسائي (المجتبي) / أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ط2 - 1406هـ ، 1986م.
78. سير أعلام النبلاء / أبو عبد الله الذهبي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوس: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط9 - 1413هـ.
79. السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) / عبد الملك بن هشام - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد: دار الجيل - بيروت - ط الأولى - 1411هـ.
80. الشامل في القراءات المتواترة / محمد حبش: دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - ط الأولى - 1422هـ ، 2001م.
81. شذرات الذهب في أخبار من ذهب / الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: دار الكتب العلمية - بيروت.
82. شرح التصريح على التوضيح (وبهامشه حاشية الحمصي): / خالد بن عبد الله الأزهرى: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

83. شرح الشافية / رضي الدين الإستربادي - تحقيق: محمد محيي الدين وجماعة: مطبعة حجازي - القاهرة.
84. شرح المفصل / ابن يعيش: عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتنبي - القاهرة.
85. صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق: مصطفى ديب البغا: دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ط3 - 1407هـ ، 1987م.
86. الصحيح المسند من أسباب النزول / أبو عبد الرحمن الوادعي: دار ابن حزم - بيروت - ط2 - 1994م.
87. صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
88. صحيح مسلم بشرح النووي / أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط2 - 1392هـ.
89. صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط الأولى - 2004م.
90. طبقات الحفاظ / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1403هـ.
91. طبقات الحنابلة / محمد بن أبي يعلى أبو الحسين - تحقيق: محمد حامد الفقي: دار المعرفة - بيروت.
92. طبقات الشافعية / أبو بكر ابن قاضي شهبة - تحقيق: الحافظ عبد العليم خان: عالم الكتب - بيروت - ط الأولى - 1407هـ.
93. طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي - تحقيق: عبد الفتاح الحلو ، محمود الطناحي: هجر للطباعة والنشر - الجيزة - ط2 - 1992م.
94. طبقات المفسرين / الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي - تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة وهبة - القاهرة - ط2 - 1415هـ ، 1994م.
95. طبقات المفسرين / عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة وهبة - القاهرة - ط الأولى - 1396هـ.

96. غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري: عني بنشره ج برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط3 - 1982م.
97. الفائق في غريب الحديث / محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: دار المعرفة - بيروت - ط2.
98. فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: عبد العزيز بن عبدالله بن باز. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر.
99. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي بن محمد الشوكاني - اعتنى به: يوسف الخوش: دار المعرفة - بيروت - ط3 - 1997م.
100. الفريد في إعراب القرآن المجيد / حسين بن أبي العز الهمداني - تحقيق: فهمي حسن النمر و فؤاد علي مخيمر: دار الثقافة - الدوحة.
101. الفهرست / محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم - دار المعرفة - بيروت - 1398هـ، 1978م.
102. في رحاب التفسير / عبد الحميد كشك: المكتب المصري الحديث.
103. في ظلال القرآن / سيد قطب: دار الشروق - بيروت ، القاهرة - ط الأولى - 1989م.
104. القراءات أحكامها ومصدرها / شعبان محمد إسماعيل : مطبوعات رابطة العالم الإسلامي - جدة - السنة الثانية - 1402هـ - العدد 19.
105. القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) / عبد الهادي الفضلي: دار القلم - بيروت - ط3 - 1405هـ ، 1985م.
106. القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية / فضل عباس: مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر - العدد السابع - 1987م.
107. القراءات القرآنية وموقف النحو والاستشراق منها / راضي نواصرة : مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع - اربد - الأردن - 2003م.
108. القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (رسالة دكتوراة) / محمد بن عمر بن سالم بازمول- إشراف: د. عبد الستار فتح الله سعيد : دار الهجرة - الرياض - ط الأولى - 1417هـ ، 1996م.

109. القراءات وأثرها في علوم العربية / محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - ط الأولى - 1998م.
110. كتاب الأغاني / أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني - تحقيق: سمير جابر: دار الفكر - بيروت - ط 2 .
111. كتاب السبعة في القراءات / ابن مجاهد - تحقيق: شوقي ضيف: دار المعارف - ط 3 .
112. كتاب سيبويه / أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون: عالم الكتب - بيروت - 1975م.
113. كتاب عمل اليوم والليلة / أحمد بن شعيب بن علي النسائي - تحقيق: فاروق حمادة: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط 2 - 1406هـ.
114. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير / أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي: مكتبة ابن تيمية.
115. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - شرحه وضبطه وراحعه: يوسف الحمادي: مكتبة مصر - الفجالة.
116. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / إسماعيل بن محمد العجلوني - تحقيق: أحمد القلاش: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط 4 - 1405هـ.
117. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي: دار الكتب العلمية - بيروت - 1413هـ ، 1992م.
118. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: محيي الدين رمضان: مؤسسة الرسالة - ط 5 - 1418هـ ، 1997م.
119. كلمات القرآن تفسير وبيان / حسنين محمد مخلوف: ط 2 - 1956م.
120. لباب النقول في أسباب النزول / جلال الدين السيوطي - خرج أحاديثه: محمود بن الجميل: مكتبة الصفا - القاهرة - ط الأولى - 2002م.
121. اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الدمشقي الحنبلي - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1998م.

122. لسان العرب / ابن منظور - تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون: دار المعارف - القاهرة.
123. لطائف الإشارات لفنون القراءات / شهاب الدين القسطلاني - تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيد عثمان ، د. عبد الصبور شاهين : لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - 1972م.
124. لمعة الاعتقاد / أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي - تحقيق: بدر بن عبد الله البدر: دار السلفية - الكويت - ط الأولى - 1406هـ.
125. المؤتلف والمختلف / محمد بن طاهر بن علي القيسراني - تحقيق: كمال يوسف الحوت: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1411هـ.
126. مباحث في التفسير الموضوعي / مصطفى مسلم: دار القلم - دمشق - ط الأولى - 1989م.
127. مباحث في علوم القرآن / مناع القطان: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط 9 - 1980م.
128. مجاز القرآن / أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي - تحقيق: محمد فؤاد سزكين: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
129. مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: دار الفكر - بيروت - 1994م.
130. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / علي بن أبي بكر الهيثمي: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي-القاهرة ، بيروت - 1407هـ.
131. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق: علي النجدي ناصف ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - 1420هـ ، 1999م.
132. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد : دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1993م.

133. مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي - عُني بترتيبه: محمود أفندي خاطر، وضبطه وراجعه: الشيخ حمزة فتح الله: طباعة نظارة المعارف العمومية - المطبعة الأميرية بمصر - ط2 - 1910م.
134. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز / شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ابن إبراهيم (المعروف أبو شامة المقدسي) - تحقيق: طيار آلتى قولاج: دار صادر - بيروت - 1395هـ، 1975م.
135. المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1990م، 1411هـ.
136. المستنير في تخريج القراءات المتواترة / د. محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت.
137. مسند أحمد / الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مؤسسة قرطبة - مصر.
138. مسند الفردوس بمأثور الخطاب / أبو شجاع شيرويه بن شهر دار الديلمي - تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1986م.
139. مشكل إعراب القرآن / مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: حاتم صالح الضامن: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط4 - 1988م.
140. معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي / أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق: خالد العك، مروان سوار: دار المعرفة - بيروت - ط2 - 1987م.
141. معاني الأبنية في العربية / فاضل السامرائي: ساعدت جامعة بغداد على نشره - ط الأولى - 1981م.
142. معاني القراءات / أبو منصور الأزهرى - تحقيق: أحمد فريد المزيدي: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1999م.
143. معاني القرآن / أبو جعفر النحاس - تحقيق: يحيى مراد: دار الحديث - القاهرة - 1425هـ، 2004م.
144. معاني القرآن / أبو زكريا الفراء: عالم الكتب - بيروت - ط3 - 1983م.
145. معاني القرآن / الأخفش - دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد أمير الورد: عالم الكتب - بيروت - ط الأولى - 1985م.

146. معاني القرآن وإعرابه / أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي: عالم الكتب - بيروت - ط الأولى - 1408هـ ، 1988 م.
147. معترك الأقران في إعجاز القرآن / الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق علي محمد البجاوي: دار الفكر العربي.
148. معجم الأدباء (من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م) / كامل سلمان الجبوري: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1424هـ ، 2003م.
149. معجم البلدان / أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - تحقيق: عبد العزيز الجندي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1410هـ ، 1990م.
150. معجم المقاييس في اللغة (مجلد واحد) / أبو الحسن ابن فارس - تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو: دار الفكر - بيروت - ط الأولى - 1994م.
151. معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني - خرج آياته وشواهد: إبراهيم شمس الدين: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1997م.
152. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (مجلد واحد) / الإمام أبي عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي- تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1417هـ ، 1997م.
153. مغني اللبيب عن كتب الأعراب / جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري - تحقيق: مازن المبارك ، محمد علي حمد الله: دار الفكر - بيروت - ط 6 - 1985م.
154. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة / محمد سالم محيسن: دار الجيل بيروت - ط 2 - 1988م.
155. المغني في علم التجويد برواية حفص عن عاصم / د. عبد الرحمن الجمل: ط 2 - 1420هـ ، 1999م.
156. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / أبو العلاء الكرمانى - دراسة وتحقيق: د. عبد الكريم مصطفى مدلج: دار ابن حزم - بيروت - ط الأولى - 1422هـ ، 2001م.

157. **المقتطف من عيون التفاسير / مصطفى الخيري المنصوري - حقه وخرج أحاديثه:**
محمد علي الصابوني: دار السلام - القاهرة - ط الأولى - 1996م.
158. **ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل /**
أحمد بن الزبير الغرناطي - تحقيق: د. محمود كامل أحمد : دار النهضة العربية - بيروت -
1985م .
159. **الملخص في إعراب القرآن / الخطيب التبريزي - تحقيق: يحيى مراد: دار الحديث -**
القاهرة- 2004م.
160. **مناهل العرفان في علوم القرآن / الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني - تحقيق: أحمد بن**
علي: دار الحديث - القاهرة- 1422هـ ، 2001م.
161. **منجد المقرئين ومرشد الطالبين / ابن الجزري: دار الكتب العلمية - بيروت -**
1400هـ ، 1980م.
162. **المنجد في الأعلام / مجموعة من المؤلفين: دار المشرق - بيروت - ط17 - 1991م.**
163. **منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل (هامش شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) /**
محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الخير - بيروت ، دمشق - ط الأولى - 1990م.
164. **منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره (رسالة ماجستير) / إعداد: د. عبد**
الرحمن الجمل: إشراف: د. فضل عباس - 1412هـ ، 1992م.
165. **الموسوعة العربية العلمية / مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - ط2 -**
1419هـ، 1999م.
166. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال / شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - تحقيق: علي**
محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود: دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - 1995م.
167. **الميسر في القراءات الأربع عشرة وبذيله أصول الميسر في القراءات الأربع عشرة**
وتراجم القراء الأربع عشر/ محمد فهد خاروف: دار الكلم الطيب - دمشق ، بيروت - ط
الأولى - 1420هـ ، 2000م.
168. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري**
بردي الأتابكي: المؤسسة المصرية العامة للتأليف - مصر .

169. النشر في القراءات العشر / الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - خرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - ط2 - 1423هـ ، 2002م.
170. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / برهان الدين البقاعي - خرج آياته وأحاديثه: عبد الرازق المهدي: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى - 1415هـ ، 1995م.
171. النكت والعيون (تفسير الماوردي) / أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي - راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم: دار الكتب العلمية - بيروت.
172. النهاية في غريب الحديث والأثر (في جزء واحد) / مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - أشرف عليه وقدم له: علي ابن عبد الحميد الحلبي الأثري: دار ابن الجوزي - السعودية - ط 2 - 1423هـ.
173. الهادي (شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها) / محمد سالم محيسن: دار الجيل - بيروت - ط الأولى - 1997م.
174. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية / جلال الدين السيوطي: دار المعرفة - بيروت.
175. وفيات الأعيان وأنباء الزمان / أبو العباس ابن خلّكان - تحقيق: إحسان عباس: دار الثقافة - بيروت - 1968م.

كتب ومواقع إلكترونية :

1. الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني / إياد السامرائي: (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www. Tafsir .net](http://www.Tafsir.net)) .
2. أهم الإشارات الطبية والعلمية لقصة أصحاب الكهف / دكتور محمد الحبال. (شبكة المعلومات الدولية(الإنترنت)- جوجل- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).
3. الكشف والبيان عن تفسير القرآن / أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www. Tafsir .net](http://www.Tafsir.net)).
4. المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات / د.أحمد سعد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية - شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www. Tafsir .net](http://www.Tafsir.net)).
5. موقع لمسات: شبكة المعلومات الدولية- جوجل/<http://www.lamasaat.8m.com>).

مكتبات إلكترونية مُساعدة :

1. مكتبة التفسير وعلوم القرآن.
2. المكتبة الألفية للسنة النبوية.
3. مكتبة اللغة العربية وعلومها.
4. مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية.

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ث	مفتاح مختصرات ورموز الرسالة
خ	المقدمة
57-1	التمهيد: القراءات وعلاقتها بالأحرف السبعة وفوائدها
2	المطلب الأول: تعريف القراءات لغة واصطلاحاً
4	المطلب الثاني: الأحرف السبعة معناها وفوائدها وعلاقتها بالقراءات
4	أولاً: أحاديث الأحرف السبعة
6	ثانياً: رتبة حديث نزول القرآن على سبعة أحرف
6	ثالثاً: معنى الأحرف السبعة
10	رابعاً: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف
15	خامساً: صلة القراءات بالأحرف السبعة
19	المطلب الثالث: أقسام القراءات وأنواعها
19	أولاً: نشأة القراءات
20	ثانياً: أقسام القراءات
24	ثالثاً: أنواع القراءات وأحكامها
27	رابعاً: التعريف بالقراء العشرة ورواتهم
36	المطلب الرابع: علاقة القراءات بالإعجاز وأهميتها في التفسير
37	أولاً: علاقة القراءات بالإعجاز
39	ثانياً: أهمية القراءات في التفسير
42	القسم الأول: القراءات التي لها أثر مباشر في معنى الآية
42	قراءات بينت معنى الآية
44	قراءات وسعت معنى الآية
46	قراءات أزال الإشكال عن معنى الآية
48	قراءات خصصت عموم الآية

الصفحة	الموضوع
49	قراءات بينت إجمال الآية
51	القسم الثاني: القراءات التي لها أثر غير مباشر في معنى الآية
51	القراءات التي أفادت التكثر أو المبالغة
53	القراءات التصويرية
55	القراءات التي دللت على بلاغة القرآن
57	قراءات أنتج تنوعها إظهار لإعجاز علمي في القرآن
-58 134	الفصل الأول: تفسير سورة الإسراء من خلال القراءات العشر المتواترة
60	المبحث الأول: تعريف عام بسورة الإسراء
61	أسماء السورة ووجه التسمية
62	مناسبتها لسورة النحل
63	فضل السورة
63	المحور الأساس للسورة
63	أغراض السورة
64	الموضوعات التي تناولتها السورة
66	المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة الإسراء المتضمنة للقراءات العشر
-135 249	الفصل الثاني: تفسير سورة الكهف من خلال القراءات العشر المتواترة
137	المبحث الأول: تعريف عام بسورة الكهف
138	أسماء السورة ووجه التسمية
139	سبب نزول السورة
140	مناسبتها لسورة الإسراء
141	فضل السورة
141	أغراض السورة
141	الموضوعات التي تناولتها السورة
143	المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة الكهف المتضمنة للقراءات العشر
-250 312	الفصل الثالث: تفسير سورة مريم من خلال القراءات العشر المتواترة

252	المبحث الأول : تعريف عام بسورة مريم
253	أسماء السورة ووجه التسمية
الصفحة	الموضوع
254	مناسبتها لسورة الكهف
254	فضل السورة
255	أغراض السورة
255	الموضوعات التي تناولتها السورة
256	المبحث الثاني: عرض وتفسير آيات سورة مريم المتضمنة للقراءات العشر
-313 315	الخاتمة
313	أولاً: النتائج
315	ثانياً: التوصيات
-316 348	الكشافات العامة والفهارس
317	كشاف آيات القراءات القرآنية
323	كشاف الأحاديث والآثار
325	كشاف الأعلام المترجم لهم
327	فهرست المصادر والمراجع
344	فهرست الموضوعات
347	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

ABSTRACT

This thesis study the interpretation of Quran by the ten ways of reciting through Al-Isra, Al-Kahf and Maryam sorats.

The thesis is devided into an introduction, three main chapters and a conclusion.

* In the introduction I discussed the following

- 1) The meaning of the ways of reciting Quran both in the language and the legal name.
- 2) The meaning of the seven letters, and their relation to the reciting of Quran. Here I presented the Hadiths of the seven letters, their meanings and benefits, and their relation to the ways of reciting.
- 3) The types of reciting; the starting of the recitings, and a brief definition of the ten readers and their narrators.
- 4) The relation between reciting and miracle, and its reflection and importance for the interpretation.

* The first chapter was concerned for:

1- the interpretation of Sorat Al-Isra' (Its' names, its' relation to other sorats which comes before and after, its purpos and the topics that it discusses)

2- the interpretation of Sorat Al-Isra's verses which include the ten ways of reciting.

* The second chapter was concerned for:

1- the interpretation of Sorat Al-Kahf (Its' names, its' relation to other sorats which comes before and after, its purpos and the topics that it discusses).

2- the interpretation of Sorat Al-Kahf verses which include the ten ways of reciting.

* The third chapter was concerned for:

1- the interpretation of Sorat Maryam (Its' names, its' relation to other sorats which comes before and after, its purpos and the topics that it discusses).

2- the interpretation of Sorat Maryam verses which include the ten ways of reciting.

* In the conclusion, I presented the most important results and recommendations.